المشروع القومي للترجمة

تأليف : مجموعة من كتاب الهوسا

# مأساة العبيد

## ( وقصص أخرى )

ترجمة : مصطفى حجازى السيد

تقديم : محمود فهمى حجازى

298

المشروع القومى للترجمة

# مأساة العبيد
## (وقصص أخرى)


تأليف : مجموعة من كتاب الهوسا

ترجمة : مصطفى حجازى السيد

تقديم : محمود فهمى حجازى

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

. العدد : ٢٩٨


. مأساة العبيد ( وقصص أخرى )

. مجموعة من كتاب الهوسا

. مصطفى حجازى السيد - محمود فهمى حجازى

. الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م



شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت :٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 7352396   Fax:7358084   E.Mail: G.ASFOUR@starnet.com.eg

# تقـــــديـــم

يطيب لـــي أن أقـدم للقــارئ العربــي هــذه المجموعــة القصصية الأفريقية مترجمة إلى اللغـــة العربيــة ، إنـــها أول جهود تنشر فى مصر فى هذا المجال، وتعـد بــاكورة حركـة الترجمة الأدبية من لغة الهوســا والدراســات الأفريقيــة فــى اللغــات والآداب المنشــورة بلغــات هــذه القــارة ، ولنشــأة الاهتمام باللغات الأفريقية قصة مهمة ، كـــانت البدايــة عــام ١٩٦٩ عندما كان التفكــير فــى تحويــل معــهد الدراســات السودانية ــ التابع فــي ذلــك الوقــت لكليــة الآداب ــ إلــى معهد كامل يدرس القارة كلها ، ولا يقتصــر علــى الجغرافيــا والتاريخ بفروعهما ، بل يستوعب كـــل مجــالات الدراســات العليا للقارة مـــن حيــث اللغــات والآداب والتــاريخ والنظــم السياسية والموارد الاقتصاديـــة والأنثربولوجيــا .

وفى مناقشة علمية مع المرحوم الأســتاذ الدكتــور محمــد السيد غلاب اتفــق الــرأى علــى أهميــة الاهتمــام باللغــات الأفريقية،وكان صاحب رؤية لغوية جعلته فيمــا بعــد عضــوًا بمجمع اللغة العربية، فكلفنى المعـــهد بتدريــس مقــرر عــام فى هذا المجال لكل طلاب المعـــهد، وهكــذا كنــت أول مــن درّس تعريفًا بالفصائل اللغوية واللغــات الأفريقيــة وقضاياهــا لمدة عــام دراســى واحــد ١٩٦٩ / ١٩٧٠، ولكــن الاتجــاه

العلمى إلى مزيد من الاهتمام باللغات الأفريقية أدى فور ذلك إلى إنشاء قسم كامل للغات الأفريقية على مستوى الدراسات العليا، وهكذا بدأ تكون أول مجموعة مصرية متخصصة فى لغة الهوسا وآدابها بالجامعات المصرية .

وفى هذا الإطار كان دور الصديق الدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى كبيرًا ، لقد تخرج فى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨ ، وبدأ منذ وقت مبكر الاهتمام بتاريخ القارة وثقافتها ولغاتها ، فحصل على دبلوم معهد الدراسات الأفريقية عام ١٩٦٩ ، ثم كان أول من حصل على الدكتوراه فى لغة الهوسا من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦، وكان موضوع رسالته " دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا "، وهو أول من درس هذه اللغة وقام بتدريسها فى الجامعات المصرية والعربية ، وقد قام بسلسلة من الأبحاث نشر أكثرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناول فيها الأثر العربى فى هذه اللغة من حيث الأصوات والصرف والدلالة، إلى جانب ذلك كله له مؤلفات فيها طبعت فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تدرج فى عدة وظائف فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، فشغل وظيفة مدرس للغة الهوسا بقسم اللغات الأفريقية، ثم كان أستاذًا مساعدًا ورئيسًا للقسم فوكيلاً للمعهد لشئون خدمة المجتمع والبيئة ، وأخيرًا عضوًا باللجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعات

وجامعة الأزهر في مجال تخصصه ، كما أنشأ مركـزًا لتعليـم اللغة العربية للأفارقة ، وفى هذا الإطار أشرف على عدد مـن الرسائل الجامعية تمثل بداية الاهتمام بلغة الهوسا وآدابـها فـى الجامعات العربية ؛ لقد مكنه تخصصه فى لغـة الهوسـا مـن دراسة آدابها وإبراز الأثر العربى فيه ، وها هو اليـوم يقـوم بترجمة هذه المجموعة من القصص من لغة الهوسـا مباشـرة، وهو أول عربى يقوم بهذا العمل .

وقد كان الأديب الراحل على شلش مهتمًا بالأدب الأفريقـى، إلا أن اهتمامه كان منصبًا على ما كتب باللغـات الأوربيـة ، وكان يلاحظ أن أحدًا لم يتناول الأدب الأفريقـى الـذى كتـب باللغات المحلية الأصلية ، كالهوسا والسـواحيلية حتـى تقـابل الأديب الراحل ـ وكان منتدبًا لتدريس الأدب الأفريقى فى معهد الدراسات الأفريقية مع المترجم ـ فطلب منه أن يقوم بترجمـة قصة " الشيخ عمر " لأبى بكر تفـاوا ـ أول رئيـس لـوزراء نيجيريا بعد الاستقلال ، كان الأستاذ على شلش يرى أنها ترجمة لحياة أبى بكر ، إلا أن المترجم كان مشغولاً فى هـذا الوقـت بأعمال علمية أخرى ظهر أكثرها فى مجلة مجمع اللغة العربيـة بالقاهرة ، تناولت الصلة بين العربية ولغة الهوسا ، أما رغبـة المثقفين التى عبر عنها صديقنا الأديب على شلش فقـد بـدأت تتحقق ونشرت هذه القصة ضمن كتاب " أدب الهوسا الإسلامى" الذى قامت بنشره حالياً جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية بالرياض، وأن القصة بمعناها المعاصر لم تعرفها الهوسا إلا بعد

سنة ١٩٣٤، وهى فى حاجة إلى الدراسة والبحث شأنها شأن الشعر ، فما زال الأدب بوجه عام حقلاً بكرًا يتسع للعشرات من الدارسين والباحثين.

ويسعدنى أن أقدم هذه المجموعة لقراء العربية مع التمهيد الذى كتبه المترجم لها ، بالتعريف بلغة الهوسا ومتكلميها وعلاقاتها باللغة العربية وتأثيرها من حيث الشكل والصور والأفكار ، وبعد ذلك تأتى القصص المترجمة .

القصة الأولى التى أطلق عليها المؤلف اسم " الشيخ عمر " وأطلقت عليها اسم " مأساة العبيد"؛ لأن أحداثها تدور حول طفل صغير ، سرقه أحد النخاسين وظل يباع من نخاس إلى نخاس،حتى خدم فى بيت رجل يتعامل مع أحد التجار العرب ، الذى أعجب به فطلب شراءه ، وفعلاً اشتراه وعاد به إلى مصر، حيث علمه وأدخله الأزهر ، ولما كبر طلب من سيده أن يصطحبه معه فى رحلة إلى نيجيريا ليبحث عن أمه التى افتقدها وتوالت الأحداث .

القصة الثانية : المغامر (Gandoki) ، هى أول ما ظهر من قصص الهوسا بعد إنشاء دار جسكيا (Gaskiya) للنشر ، سنة ١٩٤٣ ، ومؤلفها هو الحاج محمد بللو ، وتصور وصول الإنجليز إلى شمال نيجيريا ، وما أظهره الوطنيون من مقاومة عنيفة ، وتسرد جانبًا من البطولات التى كان يقوم بها القادة والمحاربون فى ميدان القتال ، إلا أن الأسلحة والبنادق القديمة

التى كان يستعملها المواطنون لم تستطع الصمود أمـام أسـلحة الإنجليز الحديثة ، فأخذت هذه الأسلحة القديمة تسقط الواحدة بعد الأخرى حتى يئس بطل هذه القصة الأسطورى من التغلب علـى الإنجليز ، فخرج مع ابنه إلى الخلاء ، فأخذته سِـنة من النـوم استيقظ بعدها فوجد نفسه فى جزيرة سيلان بين يدى ملك الجـان الذى أكرمه وضمه إلى جنده ، فأخذ يحارب فـى صفوفـهم ، ويقوم بالبطولات الخارقة حتى قضى على كـل أعـداء ملـك الجان، وبعد ذلك تجد البطل يعود إلى نيجيريا فيجد مجموعة من الجنود تتدرب على إطلاق المدافع واستعمال أجهزة اللاسـلكى فيقف أمامهم مبهورًا ، وهكذا تمثل هذه القصة ربطًا بارعًا بيـن الأحداث والثقافة الشعبية الأفريقية .

القصة الثالثة : هـى المـاء الشـافى (Ruwan Bagaja) ومؤلفها أبو بكر إمام،من كبار كتاب الهوسا ، وفيـها يتضـح الجانب الشعبى الأفريقى مع تأثيرات عربية.

والقصة الرابعة هى: إيليا الابن القوى من تـأليف أحمـدو إنجاوا (Ahmadu Ingawa) .

ويبدو فى هاتين القصتين الأثر العربى الواضـح فـى أدب الهوسا ، ولاسيما قصص " ألف ليلة وليلة " التى كان لها أثـر بعيد عند المثقفين الأفريقيين .

أما القصة الخامسة : وهى قصة Wusasa Tafida فـهى توضح عادة الشعوب الأفريقية فى الاعتقاد فى السحر ، وتـدور

أحداثها حول شاب يحب فتاة منذ الطفولة ، ويتفق معها على الزواج فيأتى أحد أثرياء المدينة الذى لم يرزق ولدًا ، فيرى فى منامه أنه إذا تزوج هذه الفتاة فسيرزق بالطفل ، ويهيم على وجهه فى الأرض حتى يصل إلى أكبر ساحر ، وبعد أن يجتاز المخاطر والأهوال يكون السحر سببا فى إفساد ابن الثرى .

هذه نماذج من الأدب الأفريقي المكتوب بلغة الهوسا الذي وصلت إليه القصة فى قارتنا الأفريقية السوداء ، نضعها أمام الباحثين والدارسين وجمهور القراء.

إن هذه المجموعة القصصية نرجو أن تكون بداية اهتمام أدبي وثقافى بالشعوب المختلفة فى القارة الأفريقية ، ولقد كتب الأفارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكرى تارة باللغة العربية وتارة أخرى بلغاتهم المحلية ، مدونة بالحرف العربى، ولكنهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة إلى الحرف اللاتينى – فى عدة مواقع – فى تأليف أدبى له طابع جديد ، واستمر الحرف العربى فى مواقع أخرى كثيرة ،ولغة الهوسا مثال لكل هذه الأنماط ، وكلها تستحق الاهتمام الجاد بحثا وتأصيلا ومقارنة ، وإذا كان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة ، فإن الوعى بالذاتية الثقافية للشعوب الأفريقية يصبح مطلبا جادا .

ومن هنا تأتى أهمية هذه المجموعة القصصية التى لم يكن من الممكن أن تظهر من قبل؛ فقد فرض مترجمها الأستاذ الدكتور/ مصطفى حجازى السيد على نفسه فى بداية شبابه أن

يسافر إلى نيجيريا مع معرفته بالصعوبات، كان مخاطرا ومغامرا رغبة منه فى إتقان لغة الهوسا ، وظل هناك عدة سنوات وله هدف لغوى واحد حققه على خير وجه ، وعاد إلى مصر ليكون أول مصرى تخصص فى هذه اللغة ، ثم كون جيلا من الباحثين فى هذه اللغة ، يستطيعون المشاركة العلمية والثقافية فى حياتنا من خلال تخصصهم ، وهذا كله يمثل لونا من العمل الجاد فى نسق جامعة القاهرة ، والأمل كبير أن تنتظم هذه الجهود من أجل معرفة متوازنة بآداب الشعوب المتعددة فى أفريقيا وآسيا فى ثوابتها ومتغيراتها ، فى ماضيها وحاضرها ، فى مشكلاتها الداخلية وعلاقتها بنا ، وطموحها نحو المستقبل، ويطيب لى فى ختام هذه المقدمة أن أشكر الأستاذ الدكتور / مصطفى حجازى السيد على هذا العمل ،ونأمل المزيد من العطاء فى هذا المجال ، بقلمه وبجهود طلابه الذين يشكلون أول مجموعة مصرية متخصصة فى اللغات الأفريقية وآدابها.

**والله ولى التوفيق**

**محمود فهمى حجازى**

# مأساة العبيد
# (الشيخ عمر)

تأليف : أبو بكر تفاوابليو

## مقـــدمة :

مؤلف هذه القصة هو الحاج أبو بكر تفـاوابليو أول رئيـس لوزراء نيجيريا فى عهد الاستقلال ، ولد فى عام ١٩١٢م مـن أسرة مسلمة فى بلدة تفاوابليوا ــ جرت العادة فى شمال نيجيريا أن يذكر اسم القرية أو الحى بدلا من اسم الأب ــ وهى قريـة صغيرة فى إقليم ليرى Lere فى أمارة بوتشى ، تلقى تعليمـه الأولى فى إقليم بوتشى ( ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨م ) ثم التحق بكليـة تدريب المعلمين كتسينا ( ١٩٢٨ ــ ١٩٣٣م ) وبعـد تخرجـه عين مدرسا ثم مديرا لمدرسة كتسينا المتوسطة ، وفـى سـنة ١٩٤٣م كان أحد مؤسسى حلقة المناقشة Discussion Circle الشهيرة فى بوتشى ، ثم التحق بمعهد التربية فى جامعة لنـدن للحصول على شهادة التخصص التربوى ( ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦م ) وبعد عودته إلى وطنه اختارته الإدارة المحليـة فـى بوتشـى لتمثيلها، ثم اختير عن طريق هذا المجلس كعضو يمثل اجتمـاع المجلس Northern House of Assembly الإقليم الشـمالى فى المجلس التشـريعى النيجـيرى Nigerian Legislative Council ،وفى عام ١٩٤٨م أنشأ اتحاد مدرسى الشمال، وكان صادقا فى نقده للمؤسسات الحكومية ونظام الحكـم علـى كـل المستويات، فبرز بصفته المعبر الأول عن آراء أهل الشمال فى السياسة ونظام الحكم.

وفى أغسطس سنة ١٩٥٠م تعرض لعداوة بعض الأمراء فى الوقت الذى نال فيه مركزا ساميا بين مؤسسى نيجيريا الحديثة ؛ ففى إحدى اجتماعات المجلس الشمالى اقترح تعيين لجنة مستقلة لوضع توصيات لتحديث وإصلاح نظام الحكم المحلى ، وفى إحدى خطبه الشهيرة نادى بإلغاء هذا النظام الذى كان يراه مستبدا ومخالفا للتقاليد ، حيث كانت السلطة مركزة فى يد الأمير أو الرئيس المحلى ، ويخضعان اسميا للحكومة المركزية ، وكان هذا مقدمة للقانون الذى أتاح الفرصة أمام هؤلاء الأمراء والرؤساء للعمل ضمن المجلس المركزى ، وقد فاز هذا الاقتراح بأغلبية صوت واحد ( ٢٠ ــ ١٩ ) وهذا دليل على قوة التيار المعارض له ومدى مقاومة الإصلاحات التى كانت ترمى إلى بسط نفوذ الحكومة المركزية على الأقاليم المختلفة والقبائل المتعددة ،وقد حاول بعض هؤلاء الأمراء أن يحول دون انتخابه فى المجلس التشريعى سنة ١٩٥٠م ، وقد أخذ يكافح فى سبيل هذه الإصلاحات التى كانت ترفع من شأن الإقليم الشمالى ذى الأغلبية المسلمة حتى نالت نيجيريا استقلالها على يده ويد أحمد بللو أمير سكوتو ، فكان الأول رئيسا للوزراء والثانى رئيسا للجمهورية مما أثار حقد بعض العناصر المتعصبة فى الجيش فقاموا بثورة دموية سنة ١٩٦٦م قتل على أثرها الاثنان وتولى يعقوب جون بعدها رئاسة الجمهورية.

* * *

الله سبحانه وتعالى أعلى من كل الملوك ، وأطهر من كل المخلوقات ، وهو الملك الذى لا شبيه له ، بالقرب من مدينة بوتشى بشمال نيجيريا كانت توجد مدينة صغيرة تسمى"روتا "
Rauta وفى هذه المدينة الصغيرة كان يعيش أحد العلماء النابغين ، على علم بالنجوم والقرآن وكتب الدين ، وإلى جانب ذلك فهو على خلق كريم ومتمسك بالدين ، هذا العالم كان من الرجال المعدودين فى أفريقيا الذين وهبهم الله حضور البديهة وسرعة إدراك الأمور ، كان يسمى الشيخ عمر ، ولعمق علمه، ورجاحة عقله ،ذاعت شهرته وأخباره فى كل البلاد المجاورة لمدينته ؛ لذلك أخذ كثير من الناس يغدون إليه من البلاد المجاورة طلبا للعلم على يديه ، ولم يمض وقت طويل حتى صار عدد المريدين يزداد يوما بعد يوم وضاقت المدينة الصغيرة بهم ، وصار من العسير على الوافدين الجدد العثور على المنازل التى ينزلون فيها ، فكان عليهم أن يبحثوا عن منازل لهم فى القرى المجاورة لمدينة روتا " .

لم يحدث مرة واحدة أن لاحظ أحد الطلاب الذين يتلقون العلم على يد الشيخ عمر أنه غضب مرة ، ولم يسمعوا منه مرة واحدة منذ أن وفدوا عليه أنه قال لهم إننى متعب اليوم ، حتى ولو بدا عليه الإعياء من كثرة العمل لا تقعده الآلام ، لقد كان الشيخ عمر رجلا فريدا، لا مثيل له فى أى مكان آخر ، وكان إذا أصابته مصيبة لا يقول إلا " إنا لله وإنا إليه راجعون " لا يغضب مطلقا فقد كان طلق الوجه دائما ، ولا يتدخل مطلقا فى

أمر لا يعنيه ، ولا يجادل أحدا بالباطل ، بل إنه لم يكن يحب الجدال ، لذلك لم تنشأ بينه وبين أى إنسان أية مشكلة ، لكل ذلك أخذ كثير من الناس يقولون إنه من أولياء الله الصالحين .

وذات يوم بعد أن ألقى الشيخ عمر دروسه على طلابه بعد العصر . جلسوا يتحدثون فى أمور الحياة الدنيا؛ فسأله أحد تلاميذه قائلا " يا معلمى إنى أريد أن أسألك سؤالا ، ولكنى أخشى فى نفسى أن تظن أننى أريد أن أجرح مشاعرك بهذا السؤال " فرد عليه الشيخ عمر قائلا : " إن قلبى لا يغضب أبدا من أى سؤال الإنسان لا يحيط بكل شىء علما ، فاسأل عن كل ما تريد معرفته ولا تخش شيئا فى نفسك ، وأرجو من الله أن يعيننى على ما تسألنى عنه " .

قال الطالب : " مغفرة يا سيدى ، إن ما أريد معرفته عنك أمرين اثنين ، الأمر الأول أن تخبرنى من أية بلدة جئت ، وأن تحدثنى عن أخبار مدينتكم ، أكل أهل هذه المدينة علماء مثلك ؟ لأن علمك الغزير لا يثير دهشتى وحدى بل كل إنسان فى دهشة من أمرك ، الأمر الثانى أريد أن تحدثنى عن أصلك ؛ لأننى أراك لا تشبه أهل مدينتنا، فأنت تتحدث اللغة العربية بطلاقة العرب فرد قائلا: " الحقيقة أنك سألتنى سؤالين لهما أهميتهما وسأجيبك عنهما إجابة صريحة ، ولكنها ستكون طويلة ومثيرة لدهشة وشفقة كل من يسمعها ، وسأحاول الآن أن أقص عليك قصة مدينتنا وأصلى والأسفار التى قمت بها والصعاب التى واجهتها .. قبل أن أصل إلى مدينتكم " .

## أنا رجل من كاجرا :

قال الشيخ عمر: لقد كنت أحد أبناء هذه المدينة ، ومع ذلك لم أشب وأترعرع فيها ، فقد نشأت في إحدى البلاد العربية ، وإن كنت في الأصل من بلدة بالقرب من مدينة " بيد " تعرف باسم " كاجرا " . كان والدى رجلا متوسط القامة صناعته رتق الأحذية وأمي امرأة من فاتيكا " توفي والدى وأنا جنين في بطن أمي ، وترك لي من الميراث ست بقرات وثلاث نعجات وفرسته التي كان يركبها ، وكانت حاملا في هذا الوقت ، وقد سلم هذا الميراث إلى يد أمي ، وطلب منها أن تحتفظ بهذه الفرسة حتى تلد بإذن الله لأنها ميراث مولودها ، وأن زوجها ليس له أقارب يرثونه .

ومرت الأيام ووالدتي على حالها حتى ولدتني ، وعندما حان موعد تسميتي أمرت بشاه مما ورثت وذبحتها، وأطلق علي اسم عمر ، ومرت الأيام وبلغت من العمر عامين ، وحان موعد الفطام ، فأخذتني جدتي لأبي لتفطمني ، ومكثت معها حتى حان الوقت الذى طلبت فيه والدتي للزواج ، فقالت والدتي لجدتي: " إنك تعلمين أنه ليس لي أخ في هذه المدينة ، وليس لي إلا أنت وهذا الغلام الصغير ، والآن أريد أن أتزوج ، وها هم يطلبونني للزواج،عددهم يزيد يوما بعد يوم ، ويقولون لابد من

عقد الزواج على من أفضل منهم ، وقد جئت الآن لمشـــورتك، فلان وفلان يطلبوننى ، ولكنى حتى الآن لم أستقر على رأى . أريد أن أستمع إلى رأيك ، ومنهم أيضا أحد رجال حاشية الأمير والمقربين إليه تماما ، وهو "ماكو" " Makau .

وعندما سمعت جدتى اسم " ماكو " من بين الطالبين قالت " يا ابنتى لقد كتب الله لك السعادة إذا أخذتى بنصيحتى ، فليس مـــن بين الطالبين أفضل من ماكو زوجا ، فإننى أعرفـــه رجـــلا ذا حياء، عزيز النفس ، وستكونين سعيدة إذا جعله الله زوجا لك "، واستمعت والدتى إلى هذه النيصحة . وفى اليوم التـــالى عقـــد الزواج ، وحدد اليوم الذى ستزف فيه إلى زوجها ، وعندما حان الحين انتقلت والدتى إلى بيت زوجها وبقيت أنـــا مـــع جدتـــى، وبينما كنت أعيش معها فى هناء وسعادة أصابها مرض الموت، فلما شعرت أنه لا مفر من هذا المرض إلا الموت بعثـــت إلـــى والدتى ، فلما جاءت أخذت توصيها قائلة: " أنت تريـــن أنـــه لا يبدو أننى سأعافى من هذا المرض ، لذلك أريد أن تأخذى معـــك هذا الغلام الصغير وتذهبى به إلى منزلك لأننى لا أريـــد أن أراه مطلقا وهو يبكى ، فإننى أزداد ألما لبكائه " . قالت والدتى: " لك ما تريدين "

وبعـــد أن خرجت بوقت قليل توفيت جدتى فاجتمع الكثيرون من أهل المدينة وصلوا عليها صلاة الجنـــازة، ونقلوهـــا إلـــى مقرها الأخير .

وبعد انتهاء هذا الأمر ، مرت أيام وأنا أعيش فى سعادة مع والدتى فى منزل زوجها " ماكو " .

وذات يوم استدعى الأمير كل رجال الحاشية ، فلما اجتمعوا قال لهم: " أمر واحد جعلنى أستدعيكم ، إنى أريد أن تستعدوا للذهاب للإغارة على قبيلة " حوارى " الوثنية ، فإننى فى حاجة شديدة إلى المال ، لذلك أريد أن تستعدوا بسرعة وتذهبوا لتعودوا إلى مسرعين" .

عندما سمع رجال الحاشية هذا الكلام من الأمير صاروا جميعا كالمجانين من شدة السرور ، لقد شعر الجميع بالسعادة وأخذوا يتصايحون قائلين: " لقد كنا نتمنى ذلك من قبل فما بالك عندما تأمرنا به " ، وسبب سعادتهم هو أنه عندما يقومون بهذه الإغارة سيسلبون كثيرا من الدواب والعبيد ، وعندما يعود سيجعل الأمير لكل منهم ربع ما سلب وربما إذا اقتنص أحدهم ثلاثة عبيد أخذ الأمير عبدين وترك للقانص الثالث . وسبب هذه الإغارة التى أمر بها الأمير حاجته الشديدة إلى الحصول على بعض العبيد الذين يضمهم إلى ما لديه ويبعث بهم إلى مدينة "كانو" ليباعوا فى سوق الرقيق ، ويشترى بثمنهم بعض الملابس وأدوات الزينة لحصانه ، ويرسل البعض الآخر إلى مدينة "بيدا " لشراء بعض البنادق ، وكان من بين الفرسان الذين اختارهم الأمير لهذه الإغارة ماكو .

وعندما حان وقت رحيلهم وطلب الأمير أحد العلماء ليدع لهم بالتوفيق والنصر عاد ماكو إلى منزله وجمع كل أهلـــــه وقـــال لهم:"تعلمون الآن أننى ذاهب فى إغارة على بلدة "حـــوارى" ولا أعرف متى سأعود ، وربما قتلت هناك ، الله أعلم ، لذلك أريـــد أن أستودعكم الله ، وأن تعفو عما أذنبت فى حقكم جميعا " فـــرد عليه أولاده جميعا فى وقت واحد " والله تالله لم يحدث منك شىء يكدر نفوسنا ، ونرجو أن تذهب بالسلامة وتعود بالســـــلامة " ، وانفجرنا جميعا فى البكاء ، ولم يشعر أحدنا بأخيه ...

استعد كل الذاهبين إلى هذه الإغارة ، وفى الصباح البــــاكر خرجوا مباشرة إلى قبيلة جوارى ، وأوغلوا فى الســـــير حتـــى وصلوا إلى قرية صغيرة من قرى الوثنيين فى سفح جبل الغابة، وعند وصولهم إلى هذا المكان نزلوا جميعا من فــــوق ظـــهور خيولهم ، ورقدوا أسفل شجرة ضخمة مورقة حيث لا يســـتطيع أحد أن يراهم ، وفى هذا الوقت أخذت الأمطار تهطل بغـــزارة حيث يخرج بعدها كل المزارعين لرعاية مزارعهم ولا يـــزرع هؤلاء الوثنيون أى محصول طوال العام يمكن أن يغل عليـــــهم الخير إلا فى هذه الأيام . لذلك خرجـــوا جميعـــا مـــن مدنـــهم وتوجهوا إلى حقولهم وأخذوا يصلحون مزارعهم فى العـــراء . ومع ذلك لا يستطيعون العمل فى أمان فهم فى خشية دائمة مـــن المغيرين.

عندما وصل المغيرون إلى هذه القرية اختبأوا عند حافة المزرعة، وفى الصباح الباكر بدأ الوثنيون يخرجون من قراهم ويذهبون إلى مزارعهم بينما المغيرون راقدين على الأرض لا يتحركون يراقبون كل ما يجرى فى المزرعة ، وانتظروا حتى خرج كل سكان القرية ، خرج المزارعون جميعا وأخذوا يشتغلون فى مزارعهم بجد وهم يحسبون أنهم فى مأمن من المغيرين ولن يصيبهم أى سوء ، إلا أن المغيرين هجموا عليهم مرة واحدة وأخذوا يقتنصون النساء والرجال والأطفال الصغار، وقبل أن ينتبه الوثنيون كان المغيرون قد بدأوا بالهجوم عليهم ، وفى الحال بدأ الوثنيون يخرجون استعدادا للقتال لتخليص إخوانهم الذين أسروا ، ولكن قبل أن يستعدوا كان المغيرون قد لاذوا بالفرار فتعقبوهم ولكن انعدم الأمل فى اللحاق بهم ، وأرهق الوثنيون خيولهم وأصبح المغيرون أثرا بعد عين .

## الإيقاع بين الأمير وماكو :

عندما رأى المغيرون أنهم نجوا ، اتخذوا الطريق المباشر ليضللوا الوثنيين الذين يعتقدون أنهم سيغيرون الطريق حتى لا يلحقوا بهم ، وعندما اتخذوا طريقهم المباشر أخذوا يسرعون فى السير وكل يقول لرفيقه " الوداع " وأوغلوا فى سيرهم حتى شاء الله أن يصلوا إلى بلدهم سالمين، وعندما وصلوا إلى المدينة اتخذ كل منهم طريقه إلى قصر الأمير بما حصل عليه من غنائم أثناء هذه الغارة ، وقد كانت أسلاب كل منهم تتراوح من عبدين إلى ثلاثة عبيد ، ومنهم من حصل على أربع عنزات ، وقدم كل منهم ما حصل عليه إلى الأمير إلا ماكو وحده الذى لم يأخذ طريقه إلى قصر الأمير عند عودته ، ولكنه قصد منزله ولم يكن يعنى شيئا من وراء ذلك .

وعندما حضر الجميع بين يدى الأمير وقدم كل منهم ما غنمه حينئذ قال الأمير " عجبا أين ماكو ؟ هل قتل هناك وأنتم تخفون عنى الأمر ؟ " فرد الناس جميعا قائلين: " لا .. أطال الله حياة الأمير، إنك تعرف أخلاق الناس فى هذه الأيام ، لقد كنا نكظم غيظنا من قبل فقط عندما رأينا أنك اتخذته من المقربين إليك أحسسنا بما سينتهى إليه الأمر لأننا نعرف أن كل من أمن له الناس وخانهم لابد أن يفضحه الله على أعينهم ، فما بالك أنت

وماكو الذى أسلمت إليه كل شئونك !!! فليسمح لنا الأمير أن نقص عليه كل شىء . فى هذه المدينة لا تجدمن يخون أمانتك مثله ، أن ماكو يكشف أسرارك بين أفراد الشعب الذين يعصونك ويتكبرون عليك الآن، ولا يوجد سر من أسرار تطلعه عليه حتى يذيعه بين الناس ، وهو منذ أن خرجنا لهذه الغارة حتى عدنا ، وعبد الله هذا لا يكف عن لومك حتى إن رئيس الحرس غضب واستل السيف وكاد أن يقطع عنقه ، إلا أن الفرسان هدأوا من روعه ، وهذا هو السر فى عدم رؤيتك له بيننا ، لقد ذهب إلى بيته بأربعة عبيد اقتنصهم ، منهم غلامان صغيران ، وفتاتان ولكن إحداهما تجاوزت المثل فى الجمال ، ولكننا لا نعرف ما سيقدمه إليك ".

عندما سمع الأمير هذا الكلام قال: " حقا ولكن ماكو عمل خيرا " وبعد قليل أقبل ماكو بالعبدين اللذين اقتنصهما ، جاء بهما مختالا ، ولم يدر ما قاله رفاقه من وشايات ، هذان العبدان اللذان أقبل بهما هما فى الواقع كل ما حصل عليه من الغنائم ، وأن اقتناصه لأربعة من العبيد أكذوبة من صنع أعدائه ، ولما اقترب ماكو من بوابة قصر الأمير رأى من بعيد الأمير يجلس فى الخارج بين رجال الحاشية ؛ فلما رأوه أخذوا يقولون ها هو ماكو قادم بعبدين فقط لقد أخفى الاثنين الآخرين

ولما وصل حيث يجلس الأمير ركع وأى له التحية إلا أن الأمير لم يرد عليه التحية ، ولم يعره أحد من الحاضرين أى

اهتمام ، وتجاهلوه جميعا ، وأخذ كل منهم يحدق فيه بعينيه وقد ملأ السرور قلوب أعدائه حتى فاض على وجوههم ، وبعد مضى وقت قصير قال الأمير: " ماكو هل وصلت الآن فقط ؟ " فرد عليه قائلا: " لا ، أطال الله حياة الأمير ، لقد ذهبت إلى بيتى لربط حصانى وأغير ثيابى ثم أحضر إليك "، حينئذ قال الأمير حسنا .. "كم عبدا اقتنصت ؟" قال ماكو " عبدين " قال الأمير " أحقا غنمت عبدين اثنين فقط ، هل توافق إذا فتشت ووجدت أنك لم تحصل على عبدين اثنين فقط أن أفعل بك ما أريد ؟ " ، قال ماكو " والله أوافق " . وعندما انتهى هذا الكلام استدعى الأمير رئيس الحرس وسأله قائلا "كم عبدا حصل عليه ماكو من هذه الغارة ؟ " لقد كان رئيس الحرس يتمنى وقوع هذا الحدث من قبل ولذلك بادر بالقول " أربعة عبيد ، ولكنه وصل بعبدين فقط إلى هذه المدينة ؛ لأنه باع عبدين فى الطريق لإحدى القوافل المتجهة إلى مدينة كانو ، الذاهبة لنقل الدخن المتجهة إلى بوتشى " ، قال الأمير " حسنا أسمعت يا ماكو ؟ " فرد عليه ماكو قائلا " أطال الله حياة الأمير ، ليس لدى الآن ما أقوله ؛ لأن هؤلاء الناس سبقونى وأفسدوا الأمر بيننا ، ولم يبق شىء أقوله لك ترض به " .

## تفتيش منزل ماكو :

غضب الأمير وغضب المجلس ، وأمر رجال الحاشية بالذهاب إلى منزل ماكو وتفتيشه والاستيلاء على كل ما فيه ولا يتركون له شيئا مهما كان صغيرا .

ذهب رجال الحاشية وصادروا المنزل تماما حتى العشب الذى تسقف به الحجرات استولوا عليه جميعا، وكان له بعض البقرات فى قرية صغيرة قريبة بعثوا فى الحال بأحد رجال الحاشية فذهب إلى القرية واستولى عليها، وعندما ذهبوا للاستيلاء على الأبقار استولوا على أبقارى وشويهاتى ، وفرستى وابنها التى ورثتها عن والدى، بعد الاستيلاء على كل هذه الأشياء جمعت كلها وقدمت إلى الأمير، وعندما وضعت بين يديه تقدم ماكو وقال له " أطال الله حياة الأمير يوجد بين هذه الأشياء ما هو ليس ملكا لى مثل هذه الفرسة وابنها والشويهات وبعض هذه الأبقار، هذه الأشياء تخص الغلام اليتيم الذى تزوجت والدته، وكل ما أرجوه أن تخرج هذه الأشياء الخاصة بهذا اليتيم لأردها عليه "، عند سماع هذا الكلام تمتم كل رجال الحاشية قائلين " أسمعتم لقد بدأ يردد الأكاذيب التى تعود على ترديدها، من أين وجدت ثروة اليتيم حتى تقول إنها لديك حفظ الله الأمير إنه يكذب، إن ثروة هذا اليتيم التى يتحدث عنها

ليست لديه بل هى طرف والدة الغلام فهى تعرف أيـــن تحفــظ ثروتها "، وفى هذا الوقت كنت غلامـــــا صغـــيرا لا أدرك ولا أعرف ما يجرى من حولى إلا أننى أتذكر أنه عنـــد مصــــادرة منزلنا رأيت والدي يبكيان ــ وفى الحال اقتنع الأمير بما قالــــه رجاله ولم يجر أى بحث لمعرفة الحقيقة .

وبعد أن انتهت الجلسة قال لماكو " حسنا أرأيت هذا الجـزاء الذى لقيته من الله لخيانتك لأمانتى بعد أن أمنت لك ؟ والآن لــن أقول لك شيئا ، فما حدث لك يكفينى، وبعد ذلك، بما أننى أمـــير هذه المدينة فلن أرضى لك بالإقامة فيها، فسأطردك الآن منــــها وتخرج إلى حيث لا يصل سلطانى، وحتى الآن لن أمنعك مـــن السفر بأهلك وكل امرأة من نسائك إذا أردت فتتبعك أو تخرجـــا معا وإذا لم تكن تريدك فيجب أن تتركها " قال ماكو " أطـــال الله حياة الأمير ، سمعا وطاعة، ولكن أتوسل إليك بعظمة ملكـك أن تتركنى أياما قلائل هنا لأحصل على الزاد القليل الذى ســـأقتات به أثناء الطريق لأنك تعلم أننى سأذهب الآن إلى حيث لا أعلم"؛ فرفع الأمير رأسه مدة وجيزة ثم رد على ماكو قائلا "إنه موافـق ولكن أربعة أيام فقط سيسمح له بها ليستعد لهذه الرحلة ، شـــكر ماكو الأمير وقام وذهب إلى منزله وجمع أولاده جميعا صغـيرا وكبيرا ورجالا ونساء وقال لنا " حسنا رأيتم كيف قدر الله لــــى هذا الأمر ، لقد أمرنـى الأمير أن أرحل عن إمارته، ولكنه سمح لى أن أذهب بالنساء اللاتى يردن اللحاق بى من زوجاتى وبعــد ذلك قال: قبل أربعة أيام يجب أن أترك هذه المدينة ، وما أريـده

الآن آنه من منكن تجد فى نفسها الطاقة على تحمل الحياة معــى فلتتبعنى".انفجر كل أهلى فى البكاء فى وقت واحد ، وقلنــا والله تالله لن تذهب إلى بلد آخر ـــ حتى لو ذهبت إلى الدار الآخرة ـــ إلا ذهبنا معك.وسألنا ماكو ثلاث أســـئلة تســتوجبها الشــريعة الإسلامية فلم يختلف أحدنا فى الإجابة عنها عن الآخر .

## إخراج ماكو من المدينة :

بعد أن فعل ماكو ذلك مع أهل بيته خرج إلى ردهة منزلـــه وجلس يفكر فى المدينة التى سيذهب إليها، وأخذ كثير من الناس وأصدقائه وغيرهم يفدون إليه لمواساته لما أصابه مـــن حـــزن شديد ، وكان أكثر هؤلاء إذا جاء انهمر فى البكاء وبعضهم يأتى ببعض المال ويقدمه إليه قائلا له : " إليك هذا الشـــىء البســيط ربما تحتاج أن تشرب ماء فى الطريق "، وعندما حان المغــرب قام ماكو وتوضأ وصلى ، وكان هذا اليوم الذى تصنع والدتـــى فيه الثريد ، وبعد أن انتهى الجميع من الحديـــث دخـــل مـــاكو المنزل لينام ومر على حجرة والدتى فوجدها تبكى بصورة لـــم يسبق لها مثيل، فلما رأى ذلك قال لها هذا الأمر لا يحله البكـــاء فقد تجاوز حد البكاء ، وطالما أنك امـــرأة مسـلمة يجـب أن تتذكرى أن كل ما يصيب الإنسان فى هذه الحيـــاة بقضـــاء الله وقدره، لذلك الأفضل لنا جميعا أن نتوكل على الله الذى يفعل كل ما يريد ، فردت عليه أمى قائلة حسنا يا ماكو ، ماذا يمنعنى من البكاء فى هذه الحياة ؟ فكل هذه المدينة على سعتها ليس لى فيها قريب من ناحية الأم ولا الأب ، وباستثناء هذا اليتيم الصغـــير ليس لى أحد إلا أنت الذى جمعنى الله بك، بعد هذا ما أفكر فيـــه الآن هو هذا الشر الذى أصابك لأن ما يمس حياتك فـــى هـــذه

الدنيا يمس حياتى أيضا ، ولكن أهم ما أفكر فيه هو هذا الطفل فقد احترت ماذا أفعل معه ، لقد كنت أنتظر حتى تعود من هذه الإغارة وأطلب منك الإذن لأذهب إلى مدينتنا لأرى أهلى ، ثم أعود ، وها هو ما حدث .

عندما سمع ماكو هذا الكلام أطرق برأسه وأخذ يفكر تفكيرا عميقا وبعد وقت قصير رد عليها قائلا حقيقة أنك تكتمين فى نفسك أمورا محزنة ، ولكن طالما الأمر كذلك فالله قادر على كل شيء جففى دموعك ، لا راد لقضاء الله، ولكن بخصوص هذا الموضوع الذى تحدثتى عنه والذهاب لزيارة والدتك سأقدم إليك نصيحة واحدة ، الآن طالما أصبح الأمر هكذا والحال الذى وصلنا إليه ولا أعرف أية مدينة معرفة جيدة أستطيع الإقامة فيها لذلك فقد سمحت لك بالذهاب لزيارة أهلك .

وعندما أجد مكانا مناسبا أستقر فيه سأبعث إليك لتلحقى بى هناك ، وهذا الولد طالما أنك لا تستطيعين الذهاب به ، يجب أن تتركيه هنا ، لدى رجل أمين ، حتى تذهبى وتعودى وتأخذيه ".

قالت الأم " وهو كذلك " .

ومرت الأيام وحان وقت الموعد الذى حدده الأمير ، ومنذ الصباح الباكر بعث الأمير من يخبره بأن اليوم حان الموعد ، وعليه أن يستعد وينتظر رسوله ، الذى سيصحبه ليخرجه خارج الحدود ، وقبل أن يحين وقت الصباح الباكر ، بادر ماكو

بالاستعداد التام ولكن رسول الأمير لم يأتـــه إلا بعــد صـــلاة العصر، وكان ماكو جالسا يتفحص الطريق ، وبعـــد فـــترة إذا بحارس الأمير يصطحب شخصا آخر يسمى سنتيلى ، يصـــلان على ظهر حصانيهما؛ فلما وصلا إليه قال له " لا بأس ، هيـــا بسم الله " ، قام ماكو فسألاه عن الجهة التى يريد أن يخرج منها فقـــال " الجهة المقابلة لمدينة زاريا " .

فقالا " هيا أمامنا "

وجعلاه أمامهما وأخذا يحثانه على السير حتى وصلوا إلـــى الحدود ، وهنا تركاه ، فى مكان لم يصل إليه منـــذ خلقـــه الله ، فقالا له " الآن عليك أن تعرف وجهتك ، فقد أمرنا الأمـــير أن نتوقف هنا " ، وهنا سنتركك ، لعلك تموت ، أو يقتنصك تجـــار الرقيق ، هذا لا يهمنا ".

قال ماكو " وهو كذلك ، إذا وصلتما فبلغا الأمير شـــكرى ، وأسأل الله أن يقيكما شر الطريق ، آمين ".

## ماكو يلتقى بصياد :

عندما تركاه بحث عن شجرة كبيرة وجلس تحتها يفكر ، ويسأل الله ورسوله ، حتى يئس ، ولما رفع رأسه رأى صيادا يتجول ، ويحمل على كتفه جراب السهام ، وقد حان العصر والظمأ يكاد يقتله ، فلما رآه الصياد اتجه نحوه ، فرآه قد وضع رأسه بين ركبتيه ، فلما وصل إليه ألقى عليه السلام ، فرفع رأسه ورد السلام .وبعد أن تبادلا التحية قال الصياد لماكو " أنت يا عبد الله من أين جئت ؟ وما سبب حضورك إلى هذا المكان فى هذا الوقت ؟ لعلك ذهبت لاقتناص الرقيق وغابت الشمس فهمت على وجهك فى الغابة " قال ماكو " سبب حضورى إلى هذا المكان " ، فقدم الصياد إلى ماكو الماء وبعد أن شرب بوقت قصير وهدأت نفسه قال الصياد " الحمد لله أشكرك جازاك الله خيرا على ما قدمت لى من مساعدة ، سبب حضورى إلى هنا هو كذا وكذا " .

عندما سمع الصياد هذه القصة تعجب وقال " حقيقة ما قدر الله يكون ، المؤمن فى هذه الحياة لن يضل أبدا " . قال ماكو " وما سبب هذا الكلام ؟ " فرد الصياد قائلا " نعم لو قدر الله أن تلتقى بواحد من رفاقى وليس بى لصرت الآن عبدا ، وإذا كان هذا الشر أصابك لأنك صدقت القول ، فقد لطف الله بك وأرجو

أن يمدنا بمزيد من رحمته ، ويساعدنا فـــى كـل مـــا نعمـــل، وينصرنا على أعدائنا ، والآن إلى أى مدينة ستتوجه " .

قال ماكو " إننى أريد أن أذهب إلى قرية صغيرة تقـــع بيـــن مدينى زاريا وكانو لأقيم فيها ، ولكن هذه القرية التـــى أريدهـــا لابد أن تكون أرضها خصبة حتى أستطيع زراعتـــها ؛ لأننـــى عندما أجد المسكن الذى أنزل فيه وأبنى منزلا صغيرا ســـأبعث إلى أولادى ليلحقوا بى .

## السكـــن فى قريـــة مقرفـــى :

قال الصياد " لابد أن تتخير المكان الذى ســـتزرعه جيـــدا ، وطالما أن الأمر كذلك فسأقدم إليك نصيحة بسيطة ، أرجـــو أن تعمل بها ، هناك قرية صغيرة تسمى "مقرفى" تقع على مقربـــة من مدينة زاريا على طريق مدينة كانو ، لأهل هـــــذه المدينـــة شهرة واسعة فى حرفة الزراعة والزراعة هناك تدر ربحا وفيرا وخيراتها دائما كثيرا ، وأعتقد أنه من الأفضل لك أن تذهب إلى هذا المكان وتستقر فيه ، وسترى أنه لن يضايقك أحد هنـــــاك ، فلا يوجد بين أهل هذه القرية من يتدخل فى شئون أخيـــه ، لأن كل منهم لديه من الخير الكثير . فالحقد والبغضـــــاء لا ينمـــوان حيث يوجد الرخاء ، ولكن حيث ينتشر الفقر والفاقة " .

حنى ماكو رأسه للصياد شاكرا ، ثـــــم رفعـــها قـــائلا: والله سأعمل بكل ما نصحتنى به ، لأننى أحسست بحبك لى ، وبقـــى سؤال واحد عن الأمر الذى ينجينى من شـــــر الطريـــق الـــذى سأسلكه قبل أن أصل إلى قرية " مقرفى " فـــأحضر الصيـــاد سلسلة تتدلى منها إحدى التمائم وقدمها إليه ، وقال له هذا الشىء الذى سأساعدك به وأرجو أن تصل سالما ، ويحفظـــك الله مـــن الضلال " ، ثم ودعا بعضهما ، وافترقا ، واتخـــذ كـــل منـــهما طريقه ، وعينه تفيض من الدمع .

## ماكو يذهب إلى زاريا :

ثم هب ماكو واقفا بعد أن ودع الصياد ، وانتظر برهة حيث وقف لأنه لا يعرف الطريق الذى سيسلكه إلى مدينة زاريا ، ولما لاحظ الصياد ذلك عاد وأخذ يده وأخذا يسيران معا حتى وصلا إلى غابة بالقرب من قرية صغيرة، وعندما وصلا إلى هذا المكان قال له الصياد، أترى هذه القرية الصغيرة التى أمامنا ستسلك هذا السبيل ولا تحاول أن تدخل هذه القرية لأنك لو دخلتها ربما لا تخرج منها أبدا، والأفضل أن تتخذها جانبا وتمضى فى سبيلك وعندما تمر عليها لا تسلك الجانب الشمالى ؛ لأن فى الشمال من هذه المدينة توجد مزرعة لأحد السحرة المهرة ، كل غريب أو عابر سبيل أو عبد هارب من إحدى القرى لا مفر من الدخول إلى هذه المزرعة، حيث يقتنصه الساحر الذى لا يفارق مزرعته أبدا ، وإذا رأى شخصا توقف بالقرب من المزرعة وأخذ يتلفت حوله جاء وأمسكه وجعله من عبيده".

وقال ماكو " سمعا وطاعة " ثم ودعا بعضهما مرة أخرى فى هذا المكان ، وواصل ماكو السير وعاد الصياد إلى حيث التقى بماكو ، أخذ ماكو سبيله حتى وصل إلى هذه المدينة، فلما بلغها

لم يحاول الدخول فيها ، وعمل بكل ما قاله الصياد . فمنـــذ أن سار فى الطريق لم يلتفت ليرى المدينة حتى تأكد أنه أصبح على مسافة بعيدة منها. ولما أحس أنه نجا من هذه المدينة جلس تحت شجرة وارفة الظلال ليستريح ويأكل بعض الطعام ، ولــم يكـد يسترح قليلا حتى سمع وقع خطى الخيل عــن يمينـــه، وســمع حديث فرسانها ، كل يقص على رفاقه ما فعله عندمـــا خــرج للإغارة على بعض الأماكن، وعند سماع ماكو ذلك صعد إلـــى أعلى الشجرة التى يجلس تحتها واختفى بين أغصانها ، وعندمـا وصلوا إلى حيث يختفى ماكو، قال أحدهم أرأيتم هــذا المكــان الذى تنازعنا فيه مرة مع فلان وفلان عندما كنا عـــائدين مــن الإغارة، ولم نقتنص فى هذا اليوم إلا غلاما صغيرا لم يتجـاوز عمره سبع سنوات ، وقد كنا ثلاثة فرسان عندما وصلنا إلى هذا المكان ، جلسنا لنستريح فقال أحدنا "حسنا والآن ما العمل مـــع هذا الغلام ؟ كيف سيأخذ كل منا أجر ما عاناه من المتاعب فــى إقتناصه.

وما كدنا نسمع هذا القول حتى هب من فى حوزتـــه الغــلام قائلا يا فلان ماذا تقصد من قولك هذا الكلام السخيف، عجبا هل هو دجاجة؟ كيف تقول إنك تريد نصيبك من جسد هذا الغلام مع أننى أنا الذى تعبت كثيرا حتى اقتنصته وحدى، وما منعـــك أن تصيد لك عبدا، ولما سمع ذلك الكلام شخص آخر استل ســـيفه فى لمح البصر وقال الآن سوف أثبت لك أن هذا الغـــلام ليــس ملكا لك وحدك، ولما استل سيفه لم يغمــــده حتـــى قطــع رأس

الغلام، فقال لسيده حسنا لقد قلت إنك أنت الذى اقتنصته فخذ الجسد جزاء على ما عانيت من تعب، ونحن تكفينا الرأس"، بعد ما انتهى هؤلاء الناس من هذا الحديث ونالوا قسطا من الراحة قاموا وامتطى كل منهم صهوة جواده واتخذوا طريقهم مسرعين، فلما رأى ماكو أنهم ابتعدوا عنه نزل من مكمنه، فوجد شيئا تحت الشجرة فالتقطه وإذا به حقيبة لأحد هؤلاء الرجال قد سقطت منه على الأرض وليس بها إلا بعض الدراهم، فأخذها وسار فى طريقه مقتفيا آثارهم يوما كاملا ، ولم يجلس للراحة أو تناول أى طعام .

## ماكــو يــرى ســـور المدينــة :

وبينما هو يسير فى الطريق رأى على البعد ســـور المدينـــة أمامه مباشرة حيث سبقه هؤلاء الرجال ودخلوها؛ فاستمر ماكو فى السير حتى وصل إلى البوابة فاخترقها وقال لحارس البوابـة "يا سيدى أى مدينة هذه " ؟ قال حارس البوابة " مدينة زاريا يـا صديقى " ، وعند ذلك تنهد ماكو وقال " الحمد لله اللـــهم أنـت الرازق " ، وهنا لم يتحرك من مكانه إلا بعد أن توثقت الصداقة بينه وبين حارس البوابة حتى قال له الحارس " لقـــد ســـررت كثيرا برؤيتك لابد أن تنزل علي ضيفا " فرح ماكو ونزل فـــى منزل حارس البوابة ، وعندما أقبل الليل تناولا الطعـــام معـا، وبعد أن أنتهيا غسلا يديهما وأخذا يتحدثان فى شـــئون الحيـاة الدنيا، وقص ماكو على الحارس كل ما أصابه من مصـــائب ، سأله الحارس " والآن إلى أين تنوى السير؟" قال مـــاكو " لقـد سمعت عن قرية صغيرة بالقرب من هنا اسمها مقرفى ، أريـــد أن أذهب إلى هناك لعلى أستطيع الإقامة فيها ، لأننـــى ســمعت عن أرضها الخصبة ، ويمكن زراعتها " .

قال حارس البوابة " الحمد لله أن لى أخا فى هذه القرية اسمه " تنيمو " عندما تنوى الرحيل أعطيك رسالة إليه ، ولمـــا طلـــع النهار ذهب ماكو إلى حارس البوابة وأخبره أنه سيرحل ، ولكنه

يريد أن يمده بغلام ليذهب معه إلى السوق ليشترى بعض الأدوات ، فبعث معه حارس المدينة خادمه ، وذهبا معا واشترى ماكو فأسا ذات يد قصيرة ، وأخرى ذات يد طويلة وبلطة وقدوم، ولما انتهى من شراء ما يحتاجه عاد إلى المنزل وأستأذن من حارس البوابة الذى أحضر بعض الزاد وقدمه إليه ، وكتب رسالة إلى أخيه تنيمو يقول فيها " بعد التحية .. إليك هذا الرجل اسمه ماكو ، رجل طيب أبعثه إليك فأسأله عن قصته والسبب الذى دفعه إلى الخروج من موطنه ، لقد قال لى إنه يريد أن يجد مكانا يستقر فيه ليعمل بحرفة الزراعة ، أرجو أن تكرمه وتهتم به وتمنحه المزرعة والأرض التى يقيم عليها منزلا له ، لأن له أسرة ستلحق به بعد ذلك"

وعندما انتهى من كتابة الرسالة سلمها له فشكره ماكو شكرا كثيرا وودعا بعضهما ، واستدعى حارس البوابة خادمه ليريه الطريق ، اتخذ ماكو طريقه وأوغل فى السير حتى وصل إلى مقرفى فسأل عن منزل تنيمو حتى وصل إليه ، فدخل عليه وسلمه الرسالة ، فلما قرأها رحب به وأنزله فى منزله ، وقدم إليه الطعام ، وبعد أن انتهى من تناول الطعام قص عليه كل أخباره ، قال تنيمو " حسنا ، إن أحيانا الله إلى الغد ، سأريك المزرعة والمنزل الذى توفيت فيه والدتى هذه الأيام ؛ فإن وافقك أصلحه وأقم فيه .

## ماكو يستدعى أسرته :

مكث ماكو زمنا فى مقرفى ، يزرع الأرض ويصلح منزله ، واشترى عبدين بماله الذى كسبه ، حتى بـــدت عليـــه مظـــاهر النعمة ، وهدأت نفسه فذهب إلى تنيمو وقال له إنـــــه يريـــد أن يبعث إلى أسرته لتحلق به ، قال له تنيمو إن هذا أمر مهم ، لأن عجوزا مثلك لا ينبغى أن يعيش بلا أسرة ، أن لدى خادما مـــن كاجرا أسمه عيسى ، إذا لم تجد أحدا يحضرهم غيره فليذهـــب ، وبعد مضى يومين أستعد ماكو لرحيل عيســـى فاشـــترى ثوبـــا جميلا من تنيمو ولفه فى قطعة من القماش وأعطـــاه لعيســـى ، وطلب منه أن يحمله إلى أمير كاجرا ، كما أشترى بعض الهدايا من مدينة زاريا وطلب منه أن يحملها إلى بعض أصدقائه هناك، وأعطاه ثوبين لحمل أحدهما إلى رئيس الحرس والآخـــر إلـــى سنتيلى ، وأعطاه بعض المال ليشترى لنســـائه الطعـــام أثنـــاء الطريق ، وقال له من بين نسائى امرأة من " فاتيكـــا " قبـــل أن أرحل استأذنتنى فى الذهاب لتزور أهلها ، إذا وصلت ووجدتـــها قد ذهبت فاترك بها رسالة بأن تسرع وتلحق بى مع أخواتها إلى هنا ، وتأتى بابنها اليتيم معها ، وأسأل الله أن تعود سالما .

ولما وصل عيسى قصد قصر الأمير مباشرة ، ودخل عليـــه وقدم هدية ماكو ؛ وأخبره بحاجته إلى أسرته ، قال الأمير الحمد

لله ، وأمر الحاشية أن تأخذه إلى منزل ماكو ، لينزل فيه حتى تستعد الأسرة للرحيل ، فيرحلوا جميعا . ذهب عيسى إلى المنزل ونزل فيه ، وعندما أقبل العصر بعث إلى رئيس الحرس وستنيلى بهدايا ماكو كما بعث بالهدايا الأخرى إلى أصحابها ففرحوا بها جميعا ، وبعد أن انتهى عيسى من توزيعها دخل على أهل ماكو وأخبرهم بسبب حضوره ، فكادوا يطيرون فرحا ثم سألهم عيسى عن السيدة التى من أهل فاتيكا ، هل ذهبت لزيارة والديها ؟ قالت النسوة لا ، ها هى تنتظر رسالته ، قال لها ماكو يطلب منك أن تذهبى ، ولكن أسرعى والحقى به هناك، وعندما تذهبين إليه تأخذين معك أبنك، قالت لعيسى وهو كذلك إن شاء الله ، وأن يكتب لنا الحياة وأن نلتقى مرة أخرى .

قضت أسرة ماكو أربعة أيام تستعد للرحيل ، وفى اليوم الخامس ذهب عيسى واستأذن من الأمير ، وفى اليوم التالى رحلوا وتركونا أنا ووالدتى فى كاجرا ، وبعد أن رحلت الأسرة أخذت والدتى تستعد للسفر إلى فاتيكا ، وفى ليلة الرحيل أودعتنى لدى رجل من مدينةسكوتو اسمه بخارى ، الذى كان جارا لوالدى ، ومنذ الصباح رأيت والدتى تتنقل بين المنازل ، ولا أعتقد أنها فى هذا اليوم وضعت شيئا فى فمها، حتى الماء ، لأنها لم تستقر أبدا فى مكان واحد ؛ فقد كانت دائبة التنقل بين منازل صديقاتها حتى أقبل الليل ، وبعد أن انتهت من هذا التجول عادت إلى منزل بخارى ونامت وهى تبكى بكاء مؤلما ، ولم يكن شئ يهمنى فى هذا الوقت المبكر من العمر ، بل كنت

أشعر بالسرور لأننى سأجد فى منزل بخـــارى أقــارابى مــن الأطفال الذين سألهو معهم .

## عمـــر يقـــع فى الـــرق :

بعد أن أقبل الليل وهدأت المدينة ، قامت والدتى وذهبت إلـــى منزل إحدى نساء بخارى اسمها أمينة التى أعيش فـــى بيتـــها ، وقالت لها " أمينة أريد أن أستودعك الله الآن ؛ لأننـــــى أنـــوى الرحيل قبل أذان الفجر ، فعليك أن تصبرى ، وأنت تعرفين حال الطفل الصغير إن لم يترك لينل كل ما يريد يبكــــى،وإذا تـــرك ليفعل كل ما يريد سيضره ذلك مستقبلا ؛ فعليـــك أن تنصحيـــه دائما، ولا تهتمى بما يقال إن هذا ليس ابنك ، والله لا فرق بينى وبينك ، فمنذ أن ألف الله بين قلوبنـــا ، ونحـــن نجتمـــع علـــى الإخلاص . قالت أمينة " إن كل ما تقولينه حـــق ، فـــأرجو أن يعينني الله على الوفاء به "، وجلستا بعد ذلك تتحدثان كثـــيرا ، حتى نمت أنا ومن فى دارها من الأطفال ، ثم غلبهم النوم بعـــد ذلك ، فقامت أمى وذهبت لتنام ، ولكن لم يلمس النـــوم عينـــها لشدة ما تعانى من التفكير فيما يمكن أن يحدث لها أثناء الطريـق قبل أن تصل إلى موطن والديها ، والخوف الذى تشعر به بسبب تركىفى مدينة ليس لى فيها قريب واحـــد مـــن طـــرف الأم أو الأب، وبينما هى مستغرقة فى التفكير العميق ســـمعت صيـــاح الديكة ، فقامت وتناولت متاعها ، وأخذت طريقها إلى فاتيكـــا ،

سبحان الله لقد سبق القدر التمنى ولم أرها مرة أخرى إلا بعـــــد أعوام طوال.

## لص يسرقنى :

حدث كل هذا ولا علم لى ، ولم أشعر به لأننى لم أكن أتجاوز فى هذه السن المبكرة أربع سنوات ، ومنذ أن رحلت أمى من كاجرا لم أر شيئا تغير بالنسبة لى ، فقد كنت آكل وأشرب ما يطيب لى ، وها هم الأولاد الذين ألعب معهم كل يوم ولم تبد لى أمينة زوجة بخارى التى أعيش معها ما يسوءنى ، فكل ما أفعله ترضى به ، وإذا ارتكبت ذنبا عظيما كلما جاءت لتضربنى ورفعت يدها أعادتها قائلة " الله أكبر ولد غبى " ، ولم تكن تحب أن ابتعد عن المنزل ولو قليلا ، فكانت تحب أن نجلس دائما معا ، وإذا ابتعدت لألهو وألعب كما يفعل الأطفال كان يطير عقلها غضبا ، وتخرج طارقة كل المنازل التى تعودت أن ألهو مع أبنائها ، وتأتى بى .

وذات يوم اجتمعت مع عدد كبير من الأطفال على باب منزلنا نلهو ونلعب ، وكان عددنا تسعة أولاد ، وإذا بنا نرى رجلا ذا ثوب فضفاض وجيب كبير ، قادم إلينا فكففنا عن اللعب جميعا ، قائلين " كيف حالك يا والدى ؟ " فرد قائلا " هل رب هذا البيت بداخله ؟ " فرد عليه ولد منا متوسط القامة قائلا " لا " ذهب خارج المدينة ولكنه سيعود غدا ؛ فوقف هذا الرجل طويلا وأخذ يراقبنا ونحن نلعب ، وبعد فترة سألنا عن أسمائنا فذكر كل

منا اسمه ، فلما سمع اسمى رأيته وقف فجأة وأخذ يحـدق فـى وجهى ، وقد كنت أصغر هؤلاء الأطفال جميعا ، ولـم يمـض وقت طويل على وقفته حتى نادانى قائلا

- " كيف حالك يا عمر أتعرفني الآن ؟ أين أمك وأين أبوك؟ هيا لأذهب بك إلى والديك. فقلت وهو كذلك ، وفى الحال رأيتـه يضع يديه فى حقيبة صغيرة وأخرج بعـض اللحـم المشـوى وقطعتين من النقود وقدمها إلى . ما أدراك وحال الصغار ، لقد أخذتها وأنا أتلهف فأمسك يدى وأخذت أسير معه طويلا على أنه سيحملنى إلى أبى وأمى، وأخذت أسير معه بالنقود واللحم فـى يدى ، وأوغلنا فى السير حتى خرجنـا من المدينـة فرأيتـه يسحبنى وندخل ثغرة فى السور المحيط بالمدينة ، وأخذنا نسـير حتى شعرت بالتعب وأحسست أننى أريد أن أبكى ، فحملنى على كتفه وأمدنى بمزيد من اللحم .

سرنا كثيرا وأنا محمول على كتفه من الظهر حتـى قـرب غروب الشمس . أما بقية الأطفال الذين كنت ألهو معـهم فقـد أخذوا يبكون عندما أحسوا أنهم افتقدونى ، وهنـا سـمع أهـل منزلى فبعثوا الخادمة لتعرف سبب بكاء الأطفال ، فلما خرجـت وسألت الصغار عن سبب بكائهم أخبروها أن عمر قد ضاع ولا يرونه ، وقالوا لها إنه بينما كانوا يلعبون بالنهار رأوا رجـلا ذا ثوب فضفاض وجيبه كبير ، جاء وأخذنى على أنه سيحملنى إلى أمى وأبى ، وعندما سمعت الخادمة ذلك قالت لا حول ولا قـوة

إلا بالله وأخبرت سيدها ، ودخلت المنزل حيث تجلس الأســـرة لتخبرهم بما حدث ؛ فلما سمعت أمينة هذا انفجرت فى البكـــاء وأخذت تقول هذا الأمر لا يحتمل ، لابد أن أحد اللصوص قـــد سرق عمر ، بالله ماذا أفعل فى نفسى إذا عادت أمه ولم تجـده ، ماذا سأقول لها، ثم وقعت على الأرض ، وأخذت تبكى وتقلـــب جسدها على التراب وتطلق صرخات عالية حتى سمعها ســكان المدينة ، وفى الحال انتشر الخبر فى أنحاء المدينـــة، وقبـــل أن تأتى العشاء كان أغلب الرجال قد خرجوا يبحثون عنى حـــول المدينة، أما أنا وسارقى فلم نكن نعلم بما يجـــرى خلفنـــا مـــن أحداث، ولما رأى الليل قد أقبل أنزلنى من فوق كتفه وأجلســنى داخل كهف صغير فى بطن الجبل ، وأخرج لى من جيبه لحمًـــا ونوعًا من الطعام مصنوع من الدقيق وعسل النحـــل وقدمـــهما إلىّ، وأحضر ماء وأعطاه لى لأشرب، وجلسنا فى الكهف ، ولم أعد أهتم بأى شىء طالما أن بطنى قد امتلأت بينما كان اللـــص يهدف إلى أن أستريح قليلاً ثم نواصل الســـير، وبينمـــا نحـــن جالسين يتناول اللص طعامه رأيته فجأة يسحب يده من الإنــــاء ويكف عما يمضغه من الطعام ، وينصت مثل الحصان عندمـــا يحس بشىء يتحرك ، ومكث مدة على هذا الحال ثم تسلل وركع على ركبتيه وأخذ يطل خارج الكهف ، وبعد قليل بدأت أســـمع حديث أناس إلى الشمال منا ، وهنا رأيته يضع يده فى حقيبـــة ويخرج حجاباً ويضربنى به على رأسى ثم أخرج مديـــة مـــن غمدها وقال لى :

– " أرأيت هؤلاء الناس أنهم خرجوا يتجولون فـــى الغابــة ليمسكوا الأطفال ويأكلونهم ، ربما ترى أحدا تعرفه منهم حتـــى لو سمعته ينادى باسمك ، وإذا رددت عليه فثق أننـــى ســأقطع رقبتك بهذا السكين ، ثم سحبها وأرانيها ؛ فعندما نظرت إليــها وجدتها تلمع فى ضوء القمر ؛ فأخذ كل جسدى يرتعد ، وفـــى الحال أصبت بإسهال شديد ، ولما اقترب هؤلاء الرجـــال مــن الكهف قال أحدهم " لا ينبغى أن نتجاوز هذا المكـــان ؛ لأننـــى أعرف أن فى هذه الأماكن يوجـــد كـــهف أمســكنا فيـــه أحــد اللصوص، وقد سرق طفلة فى يوم من الأيام ، يجب أن ندخـــل هذا الكهف ونبحث فيه ، فإذا لم نجد فيه أحدًا مضينا " . لقد كنـا نسمع كل مـــا يقال فأخذ اللص سكينا ووضعه على عنقى وقـال " إذا نطقت حرفًا أو قمت بأية حركة سأقطع عنقك دون تردد ".

## بحثــوا ولـــم يرونـــى :

كان هؤلاء الرجال قادمين يتحدثون حتى إذا وصلـــوا إلـــى مدخل الكهف الذى نجلس فيه، وعند وصولهم نادى أحدهم قـائلاً يا عمر يابن ماكو ، لأنه الاسم الذى كانت أمينة تنادينى بـــه ، وأخذ ينادى كثيرًا وأنا أسمع نداءه، ولكن لم يكن أمامى فرصـــة للرد عليه خوفا من السكين المسلط على عنقى ، أخذوا ينـــادون حتى تعبوا ولم يرد عليهم أحد ، ولم يطل أحد منهم فـــى هـذا الكهف أو يدخل فيه ، ثم عادوا إلى المدينة ، أما باقى الرجـــال فقد بحثوا فى الغابة ، ولم يروا أى أثر لى، ولما تعبوا هم أيضـا أخذوا طريقهم إلى المدينة وهم يقولون " إن أم هـــذا الطفـــل إذا سمعت بهذا الخبر لابد أنها ستصاب بالجنون أو الموت"، وعندما وصل هؤلاء الرجال إلى المدينة وأخبروا أمينة أنهم لم يجدونى، انفجرت فى البكاء وأحاط الجميـــع بـــها وأخـــذوا يصبرونـــها ويواسونها ، فإن هذا ما قدره الله ، حتى جففت دموعها ودخلـت فى حجرتها ، ولكنها كانت كلما رأت الإنـــاء الخشـــبى الـــذى اعتادت أن تضع الطعام فيه والمكان الذى كنت أنام فيه أظلمـت الدنيا فى نظرها ، فتلقى بنفسها على السرير وتأخذ فى البكـــاء وحدها بكاء حارا ، ومنذ أن سرقت لم يهدأ لها بال حتى التقـــت بأمى فى مدينة فاتيكا .

## الذئب يأكل اللص :

عندما عاد الباحثون عنى كان الليل قد انتهى ، فلمــا أحـس اللص الذى سرقنى بأن الغابة قد هدأت قال لى " ألــم تسـترح الآن؟ فلنقم ونواصل السير "، ثم حملنى على كتفه وأخذ يســير بى فى الغابة حتى وصلنا إلى مــنزل صغـير وسـط إحـدى المزارع، وكان الصبح قد انفلق فأنزلنى من فوق عنقه ، وقــال إنه تعب وينبغى أن ندخل هذا المنزل لينام ، وجذبنى فدخلنا معًا ورقدنا ، ولم يمض وقت طويل حتى غلبه النوم ، أما أنــا فلـم أشعر بالنوم لأننى سبق أن نمت عندما حملنى على عنقه ، لقـد تركنى خلفه عندما هم بالنوم ، فلما بدأ الشخير تملكنى الخـوف فقمت ودخلت فى صندوق تركه أصحاب المزرعة فى حجــرة فرقدت فيه ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذت أســمع عـواء ذئب خرج للصيد ، فلم يجد شيئًا حتى الصباح وكاد يعود إلــى جحره حتى سمع شخير اللص ، فدار حول المــنزل ، ولعلـك تعرف الكوخ الكائن فى المزرعة لا يحيط به أى سور منيــع ، ولا توجد أية حصيرة من العشب على باب الحجرة التى ننــام فيها ، فلما جاء الذئب إلى باب الحجرة وقف يفكر هل يدخـل أم يعود ، ولا سيما أن الشمس كادت تشرق إلا أنه تشجع ودخــل برأسه فوجد رجلاً عند مدخل الباب .

فوقف عند رأسه ليعرف إذا كان حيًا أو ميتًا ، ثم رأيته ينشب أسنانه فى حنجرة اللص ، وفى الحال ولا مشقة رأيته يفصل رأسه عن جسده ، كما يمسك إنسان مقصًا ويقص به ورقة نبات غض ، فعل الذئب كل هذا ولم يستيقظ الرجل ، ولعلك تعرف حال الموت مهما كان نوع الحى عندما يموت تشعر بدفء جسمه . عندما هبت الريح على هذا الرجل حيث ذبح رأيته قد بدأ يضرب برجليه حتى انتهى تمامًا وتأكد الذئب أنه قد فارق الحياة ، فصل الرأس عن الجسد وحمله فوق ظهره وقصد إلى الكهف الذى يعيش فيه وتركنى مع الرأس فى الكوخ.

طلع النهار وأشرقت الشمس فقمت وخرجت من الكوخ وذهبت إلى إحدى أشجار التمر الهندى فى المزرعة وجلست تحتها أعبث ببعض الحصى ، وعند الضحى أخذت أبكى وأنادى بابا .. بابا ؛ فلم يرد علي أحد ، وبعد أن قضيت وقتًا طويلاً فى البكاء رأيت بعض الناس قادمين من بعيد ، لقد كانوا أصحاب المزرعة فأخذت أبكى ولم أكف عن البكاء حتى وصلوا إلي ، فلما وصلوا وجدونى طفلاً صغيرًا فسألونى عما أصابنى ، ولأننى لم أكن أعرف فى هذا الوقت كيف تقص الأخبار أجبتهم بالطريقة التالية : " بابا .. ذيب .. كل .. غاب .. أم .. ليل ـ س فى حج " . وبعد أن رددت هذه الكلمات المتقطعة قالت امرأة من بينهم وبحكمة " إنه يقصد أن يقول الذئب أكل أباه ليلة أمس وترك الرأس فى الحجرة " قال الآخرون أى لقد صدق فيما يقول أين أبوك يا بنى ؟ فأشرت إلى الكوخ الذى كنت أرقد فيه ، وفى

الحال توجهوا إلى المكان ، وعند وصولهم إلى باب الكوخ رأوا الدماء على الحائط كأن بقرة قد ذبحت.

ونحن على هذا الحال وإذا بزوج هؤلاء النسوة اللاتى وجدننى يأتى فيجدنا واقفين على باب الكوخ والنساء يقلن لا حول ولا قوة إلا بالله ، كشأنهن ، فلما جاء أخبرته بكل ما حدث فلم يكن أقل منهن دهشة ، وأخذ هذه الرأس التى تركها الذئب وذهب إلى حافة المزرعة ودفنها ، ثم أخذ ملابس اللص وأخذ يفتش فيها عما سيكون فيها ، وعندما فتح ثوب هذا الميت وجد فيه جرابًا كبيرًا ليس فيه إلا اللحم المشوى ونوع من الحلوى ودقيق محمر وقرعة صغيرة وتميمتين إحداهما مغطاة بجلد من جبهة نمر ومعلقة فى سلسلة والأخرى بجلد الحوت وخيطت بعروق القرد ، والتميمة الثانية موضوعة داخل قطعة من القماش . وخلاصة القول عندما فتش أدوات هذا الميت جيدًا تنهد وقال إن هذا الرجل ليس والد الغلام،لا شك أنه سرقه من مكان ما ؛ لأن هذه الأشياء لا يحملها إلا اللصوص وقطاع الطرق ، والزاد الذى يحمله لا يتزود به إلا اللصوص ، وبعد أن قال ذلك التفت إلى وسألنى بعض الأسئلة لا أستطيع أن أتذكرها وأخذ يتكلم بلا جدوى لأننى لم أكن أهتم بما يقول ، ولم أنصت إليه ، فقد كنت ألعب فى التراب كشأنى مع أولاده الصغار .

## أقـــع فى الـــرق مـــرة أخـــرى :

عندما أدرك أننى لم آنس إليه قال لإحـــدى نســـائه "فلانـــة تقولين إنه ليس لك ابن ها قد وهبك الله ، فخذيه لعل الله ينفعـك به " فركعت بين يديه وشكرته ، ثم أخذتنى وسألتنى عن اسـمى فأجبتها ففرحت كثيرًا ، وبعد ذلك أخذوا يعملون فى المزرعـــة فترة طويلة ونحن نلعب حتى حان وقت الظهر ثم ذهبـــوا إلـــى الغدير واغتسلوا ، وبعد أن انتهوا عادوا إلى شجرة التمر هنـدى حيث كنا وجلسوا يشربون الماء ليعودوا بعد ذلك إلى المـــنزل ، ورأيت إحداهن تفتح إناء كبيرًا وتخرج بنوع من الطعام والدقيق وتخلطهما بالماء وقدمت لكل نصيبه ، أما نحن الصغـــار فقـد أخذنا نصيبنا فى ملعقة خشبية كبيرة فلعقناه بأصابعنا .

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام أخذت كل امـــرأة طفلـــها وحملته على ظهرها، وأخذتنى أمى وحملتنى كباقى الأمـــهات ، وسار رب الأسرة خلفنا يحمل القوس والسهام المعلقة فى كتفه ، وأخواه الصغيران يسيران فى المقدمة وأسلحتهما معلقـــة فـــى كتفيهما ، ونحن الأطفال والنساء نسير فى وسطهم ، وما كدنـــا نبتعد عن المزرعة حتى أخذنا نسمع صـــوت حوافـــر بعـــض الخيول تسير فى الغابة وهم يقولون " اليوم سريركم ســـيقضى الليل خاويًا ، ولم يهتم أحدنا بما يقال ، لذلك واصلنـــا الســـير ،

وبالرغم من أن أحدًا منا لم تبد عليه علامـــات الاهتمـــام إلا أن قلب كل منهم كان يرتجف رعبًا ، وخنقت الأصوات والحركات، فلا تسمع إلا حركة الأقدام فى الهواء ، وبدا عدو الخيل وحديث الرجال قريبًا منا ، ولكننا لم نر أحدًا ، وبعد قليل رأينا من بعيـد أحد الفرسان يمتطى صهوة جواده ويرتـــدى قميصًـــا مغطـــى بالسلاسل ، يدفع حصانه تجاهنا قائلاً "سريركم اليـــوم يقضـــى الليل خاويًا " ، عندما سمع ذلك رب الأسرة قال " بإذن الله أنـــت الذى سيخسرك سريرك ؛ فربما قضيت الليلـــــة تحـــت شـــجر الصبار" ، وفى لمح البصر رأيته يمد يده فى غمـــــده ويخـــرج سهمًا مسممًا ويركع على ركبتيه ، ويصوبه تجاه الفارس منتظراً اقترابه ، أما الفارس فمنذ أن أطلق حصانه لم يتوقـــف ، فلمـــا رأى رب الأسرة أنه اقترب منه جذب وتر القوس وأطلق ســـهمًا عليه ، إلا أن الفارس تلقاه بدرعه ، وقبل أن يمد ســـيدى يـــده ليستخرج سهما آخر دفعه الفارس فوقع على الأرض ممددًا فـــاقد الوعى ، كأن روحه ستفارق جسده ، فى هذا الوقت فقدنا عقولنا وأخذ كل منا يحدق فى الآخر يترقب ما سيحدث ، بعـــد قليـــل رأينا سبعة خيول تقصدنا عدوًا ، وما أن رأيناها حتى أخذ كـــل منا يعدو مسرعًا كما يعدو الكلب ، وجرت النسوة وتركن أمـــى تحملنى على ظهرها لا تستطيع العدو ؛ لأن الفأس كـــانت قـــد جرحت قدمها .

## الفـــارس يقتنصنــــا :

قلما رأى الفارس الذى أوقع سيدى ذلك نزل من فوق حصانه وجذب أمى وهى تحملنى على ظهرها وضمنــــا إلـــى سـيدى وربطنا بطرف حصانه ، ولما رأى باقى الفرسان ذلــك جـروا خلف إخواننا ولم أعرف ما آل إليه الأمر بعد ذلك ، وأظن أنهن أسرن جميعا لأن كلا منهن كانت تحمل طفلا على ظهرها . بعد أن قيدنا الفارس دفعنا أمام حصانه وساقنا إلى مدينته ، وواصلنا السير حتى مطلع النهار ، ولما طلعت الشمس أخذنى من أمــى وأجلسنى خلفه رحمة بأمى التى كانت تحملنى ، وواصلنا الســير لمدة ثلاثة أيام حتى وصلنا إلى مدينة كانو فى شمال نيجيريــا ، لقد كان هذا الرجل أحد عبيد الأمير المقربين ، تملكـــه العـوز فخرج يتجول فى الغابة لعله يجد ما يسد حاجته ، فلما وصلنـــا إلى المدينة لم يكن أحد يود رؤيتنا لما يبدو على وجوهنــا مـن أحزان وآلام .

## أمــى لا تعــرف :

كل هذه الأمور التى حدثت لى لم تعرف أمى شيئا عنــــها ، لأنها عندما وصلت إلى فاتيكا علمت أن أباها قد ألقى القبــــض عليه بتهمة العرافة ، وذهبوا به إلى مدينة زاريا فمكثت هنـــاك تنتظر عودته ثم تعود لتأخذنى وتذهب بى إلى مقرفـــى حيــث ماكو، وبعد أن مكثت شهرين وأحد عشر يوما فى موطن أبيها ، عاد أبوها من زاريا بعد أن أطلق سراحه، وانتهى الأمر لأنـــه عندما مثل أمام القضاء لام الأمير المسئولين فى مدينـــة فاتيكـــا على ما سببه الأمير له من أضرار ، وقال إنه لا يوجد شـــىء يسمى عرافة فى هذه الحياة إلا أن الأمير لم يقل هذا القـــول إلا بعد أن رشاه والد أمى ببقرتين حلوب ، وعندما هــــم بمغــادرة مدينة زاريا بعث الأمير معه بأحد رجال الحاشـــية ليعــود لــه بالبقرتين فعاد إلى فاتيكا وسلمه بقرتى الأمير ، ولما سلمها إليــه قال " !! هكذا تتركنى أعود ؟ وفى الحال ودون جدال أحضـــر والد أمى عنزة بكر وقدمها إليه فساقها إلى زاريا ، ولم يــــترك لوالد أمى إلا عجلة صغيرة وجديا ذا شعر غزير" .

لقد فرح أهل البيت كثيرا بعودة رب الأسرة سالما وأخذ كثير من أحبابه يفدون إليه ليهنئونه بالخلاص ، وبعد أن خرج كـــل المهنئين دخلت والدتى عليه الحجرة لتقدم له التهنئة ؛ فلما رأتـــه

انفجرت فى البكاء كشأن النساء حين يفرحن ، وسألها عن أخبارها فقصت عليه كل شىء من البداية حتى النهاية ولم تترك شيئا ، وهنا دعا لها بالبركة وطلب منها أن تعقد العزم على أن تعود بعد أيام قلائل إلى كاجرا لتأخذنى وتذهب إلى حيث يقيم ماكو ، بدأت والدتى تستعد للرحيل ، وبعد أن استعدت وقبل أن ترحل بيوم واحد ذهبت إلى والدها وطلبت من أحد إخوانها ليرافقها فى الطريق فقال " لا مانع اذهبى مع دابو"، " وأستدعى دابو وقال له أنه سيرافق والدتى إلى كاجرا ، وبعد أن استعد كان العصر قد حان فأخذت قدرا لتغترف الماء من إحدى الآبار القريبة من طريق التجار المتجهين إلى كاجرا ، ولما ألقت الدلو فى البئر وهمت بجذبه رأت بعض النساء يغطين رؤوسهن ليقبلن عليها من بعيد ويرافقهن رجل يركب حصانا قادمين من طريق كاجرا ، فأخرجت الدلو بسرعة ووقفت ترنو إليهم حتى اقتربوا ، فلما وصلوا أدركت أن راكب الحصان هو بخارى ، ولما نظرت جيدا إلى وجوه النساء عرفت من بينهن أمينة، وبسرعة تقدمت إليها وعانقتها وهى تبكى مرحبة ، وهنا أنزلت القدر وحملت متاع أمينة ومضت إلى حيث ينزل بخارى، ولما أوصلتهم إلى حيث ينزلون عادت إلى البيت لتعد لهم الطعام، وحتى هذه اللحظة لم تنتبه إلى أننى لست معهم .

عادت إلى البيت وأخبرت والدها بكل ما حدث وطلبت أن يحضر لها طعاما شهيا لتقدمه إلى ضيوفها ، وفى الحال ذبحت دجاجتين ، وأخرجت بعض الأرز من مخزن أمها ودقته وغسلته

وجففته وصنعت منه الثريد ، ولما حان المغرب أخذت أمى الطعام وذهبت به إلى منزل الضيوف وقدمته إلى أمينة ، وعادت تأكل نصيبها، وبعد أن انتهت من تناول الطعام وتأكدت من أنهم أيضا قد انتهوا ذهبت إليهم لتعرف ما يحملون من أخبار ، فلما وصلت لاحظت أن أمينة على غير عادتها فهى دائمة البكاء وقد احمرت عيناها وتورمتا ، فلما رأتها على هذه الحال انتحت هى الأخرى جانبا وجلست واضعة يديها على خديها فى ذهول .

وبعد قليل كفت أمينة عن البكاء وجففت دموعها وتبادلا التحية ، وسألتها والدتى عن سبب البكاء فقالت لا شىء ، قالت أمى "إن كانت قد حدث مكروه فأخبرينى "، وبدأت والدتى تظن فى نفسها أن الله قد توفانى بعد أن رحلت من كاجرا ، وسكتت أمينة ولم تقل شيئا ، وهما على هذه الحال دخل بخارى ليحيى والدتى فوجدهما جالستين فى ذهول فدخل وجلس ورحبت به أمى وتبادلا التحية وسألته عن أخبار كاجرا ، وكيف تركها وإلى أين ينوى المسير ، وكشأن الرجال فغر فاه، وقال لها كاجرا بخير ، والآن أنوى الذهاب إلى بلاد الهوسا، لأزور قبر الولى الكبير الشيخ عثمان بن فوديو ، وبعد ذلك أريد أن أذهب لزيارة بعض أخوالى فى"توريتا"، ومن هناك أذهب إلى "دينجياطى" لزيارة أمى ، لأننى لم أرها منذ زمن طويل ، وبعد ذلك السبب الذى جئت من أجله هذه المدينة أن أخبرك بما حدث بعد رحيلك من كاجرا ، طفلك بعد أن سافرتى بعشرة أيام سرقه أحد

اللصوص وبحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أى أثر ولم أكن فى هذا الوقت بالمدينة .

كنت بالريف لأعود صديقا لى مريضا، وعندما عدت سمعت هذا الخبر ، ولكننا سمعنا خبرا من أحد خدم الأمير اسمه أحمد بأنه رأى عمر فى مدينة كانو فى منزل أحد عبيد الأمير الكبار ، والذى يعرف باسم جميز وكما أخبرنا أنه سمع حديثا دار بين جميزو ورجل عربى يسمى عبد الكريم بأن العربى يريد أن يحرر الصبى ويذهب به إلى مصر ليقدمه إلى زوجته ليكون لها أبنا .

هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك بشأن عمر ، وهو أيضا سبب حضورى إلى هذه المدينة ، والآن لابد أن تصبرى وترضى بقضاء الله وقدره ، لابد أن تتذكرى فى نفسك أن الصبر أفضل من كل شىء .

سكتت أمى تماما ، وبعد فترة طويلة قالت

" الإنسان فى هذه الحياة إن لم يصبر يرى ألف أمر يكدر النفس، والله يلطف بنا " ، وعندما انتهى بخارى من كلامه خرج وتركها مع أمينة تتحدثان وطال بهما الحديث حتى منتصف الليل فقامت والدتى وعادت إلى منزلها ، وعند وصولها أخبرت أباها وأمها بما حدث فقال كلاهما الله قادر على كل شىء ، ولما أصبح الصباح عادت أمى إلى أمينة لتقضى معها النهار ، وأثناء وجودهما معا جاء أخوها الأصغر يستدعيها مسرعا ، فقد بعث

من فاتيكا لاستدعائها ، فقد وصل ضيف من زاريـــا ، فـــهبت مسرعة وقامت وذهبت إلى المنزل فوجدت عيسى الرجل الــذى بعث به ماكو ليذهب بأسرته إلى مقرفى ، فرحبت به وقدمت لــه الماء ليشرب ، وذهبت إلى أبيها وأخبرته بأنه خادم زوجـــها ، وفى الحال أعدوا له حجرة وإصطحبته إليها، وبعـــد أن جلــس واستراح قليلا سألها هل تعرفينني ؟ قالت "حى أموت لن أنســاك " فقال لها " ماكو فى وحشة يريد أن تسرعى وتعودى للحاق بــه مع طفلك ، وطلب منى أن تعودا مسرعين قدمى على قدمـــك " قالت أمى وهو كذلك ، ثم أخبرته بكل ما حـــدث بعـــد فراقـــهم فتعجب عيسى من حكم الله ، وعندما انتهيا من هـــذا الحديـــث أخذته إلى حيث والديها ليخبرهما برسالة ماكو بنفسه فقال لـــهما عيسى كل شيء ثم عاد إلى منزله ورقد لما أصابه مـــن شـــدة حرارة الشمس .

وبعد أن تركت عيسى عادت إلى أمينة مسرورة وأخبرتـــها بالخبر السار الذى سمعته ففرحوا جميعا حتى كـــادوا ينســون ضياعى ، وقبل أن تعود أمى إلى منزلها ودعت أمينة ومن معها الوداع الأخير ؛ لأنهم سيرحلون فى الصباح الباكر ، ولما انتهت مراسم الوداع عادت إلى المنزل ، وجاء الصباح وقامت أمينـــة ومن معها قاصدين بلاد الهوسا ، وبعد عودة والدتى إلى منزلـها لم تنتظر طويلا حيث بدأت الاستعداد للرحيل إلى زوجها ، وبعد أن رحلت أمينة بخمسة أيام رحلت أمى مع عيســـى وواصـــلا رحلتهما بنفس مطمئنة ، وبعد أربع أيام ، وصلا إلـــى مقرفـــى

اليوم الخامس ، ولما وصلا لم يجدا ماكو فى منزله فقد ذهب بعد إلى إحدى مزارعه الجديدة خلف المدينة فبعث عيسى بأمى إلى إخواتها من نساء ماكو ثم ذهب إلى المنزل ليغتسل وغير ثيابه وخرج ، وذهب إلى ماكو خارج المدينة وأخبره أنه عاد سالما ولم ينتظر ماكو لحظة فى المكان الذى كان يجلس فيه وعاد إلى المنزل مسرعا ، فلما وصل دخل منزله وهو يبتسم من شدة الفرح بعودة زوجته ، وأراها الحجرة فدخلت فيها ، بعد أن استراحت وهدأت نفسها لم يسألها عن شيء إلا عن أخبارى فقالت له إنى خطفت، بعد ذلك سألها عدة أسئلة فأخبرته بكل ما لديها من معلومات، وهنا تملك الخوف من ماكو ودهش الجميع.
هذا هو ما حدث لأمى من أحداث ، ولكنها فى قرارة نفسها كانت تدرك أن الله واحد وإن أراد الله أن تصل إلى حيث أكون ستصل قبل أن يدركها الموت .

## أبـاع لرجـل عربـى :

عندما خطفنى جميزو كانت توجد قافلة عربية فـى مدينـة كانو، جاء رجالها لشراء العبيد ونقلهم إلى بلدهم ، وقـد عقـد أكثرهم علاقات الود مع كبار خدم الأمير لأنهم كلما وفدوا علـى هذه البلاد كان هؤلاء الخدم هم وسيلتهم فـى الحصـول علـى الرقيق ، ولا يأتون فى أى وقت، ولكن هناك عادة وقتا يـأتون فيه ، وكانوا كلما جاءوا لشراء العبيد يتفقون عادة مع أصدقائهم على أن يجمعوا لهم العبيد قبل أن يعودوا فى المرة التالية .

وقد عقد جميزو صداقة مع أحد هؤلاء العرب الذى يسـمى عبد الكريم من إحدى مدن مصر ، وذات يوم بعـد أن قضيـت عامين فى خدمة جميزو رأيت رجلا متوسط القامـة ذا لحيـة طويلة وشارب يأتى إليه ، ولما أقبل عليه رأيت جميزو يـترك فراشه ويجلسه فوقه ، ومن حين لآخر يردد قوله مرحبا مرحبـا بقدومك ، وبعد أن انتهيا من تبادل التحية نادانى سيدى وطلـب منى أن أذهب إلى البيت وأحضر لهذا الضيف الماء ، فدخلـت وحملت إليه الماء والدقيق الممزوج بعسـل النحـل ، وجئـت وركعت أمام هذا الضيف وقدمته إليه فأخذه وشربه ، وبعـد أن شرب الماء وحمد الله التفت إلى جميزو وسأله كيف لم أعـرف هذا الغلام من قبل ، هل هو ابنك؟ قال جميزو " لا " وقص عليه

كيف حصل على وعلى أمى وأبى معا وتحدثنا طويلا وأنا جالس على مقربة منهم ، ثم عاد كل منهم إلى منزله ، وكان بيت هذا الضيف بالقرب من منزل جميزو ، منحه أمير كانو إياه عندما جاء لأول مرة ، لأن المنازل كلها كانت مشغولة حين قدومه ، وكانوا كلما أعدوا له طعاما أمرت بحمله إليه فى منزله حتى ألف كل منا الآخر لكثرة ما حملت إليه الطعام ، وكان كلما حملت إليه الطعام يسألنى هل أحبه ، ويأخذنى ويمسح على رأسى لتحل على بركة الله ، وأحيانا كان يأتى ببعض التمر ويقدمه إلى قبل أن أعود إلى سيدى.

وهكذا يعاملنى حوالى ستة عشر يوما ،وفى اليوم السابع عشر رأيت جميزو يأخذه ويذهبا معا إلى قصر الأمير ، وقبل أن يذهبا سأل عبد الكريم جميزو ما إذا كان يسمح أن أذهب وأجلس فى بيته بجوار متاعه حتى يعودا ، فنادانى جميزو وقال لى ، فذهبت إلى منزل عبد الكريم وجلست فى حجرته وذهب ، ومنذ أن خرجا فى الصباح لم يعودا حتى حان وقت صلاة الظهر ، وبينما أنا جالس فى حجرته بدأت أسمع ضوضاء الناس، وصوت جميزو ، وبعد قليل رأيت عبد الكريم يدخل الحجرة ، فرحبت بقدومه فقال لى انتهى الأمر ، عد إلى سيدك، وعند خروجى من حجرته تلفت حولى فرأيت العبيد قد كبلوا بالأغلال ، وتركوا تحت أشعة الشمس المحرقة ، ولما أمعنت النظر فيهم رأيت أمى وأبى اللذين أمسكوهما معى فى المزرعة،

وهنا ارتجف قلبى وتملكنى خوف شديد ، ولمـــا رأيــت ذلــك طأطأت رأسى ومضيت والدمع ينهمر من عينى.

ذهبت إلى البيت وقدم إلى الطعام ، والشعور بالظمــأ يكــاد يقتلنى ولكنى تركته ، ولم أكن أفكر فى شىء إلا هؤلاء العبيد ، فعندما وقع بصرى عليهم صرت كمن حمل إليه خبر وفاة أبيــه وأمه ، لقد تألمت كثيرا وأظلمت الدنيا فى عينى ولم يعد فيها مـا يسر، وذهبت إلى حجرة أمى التى خطفت معى لأنام ، وكـــان مرض الموت قد ألم بى وكنت لا أملك النظر إلى سقف الحجـرة وقد استغرقت فى تفكير عميق ، وبينما كنت مستغرقا فى التفكير رأيت سيدى جميزو يدخل المنزل ، وعند دخوله سمعته ينــادى اسمى ، أين فلان ، فلما سمعت ذلك ارتعدت وقمت وقلت هأنذا، وذهبت إليه وأمسك يدى وسحبنى إلى المنزل الذى يـــنزل فيــه عبد الكريم ، فلما وصلنا ودخلنا منزله وجدناه يقرأ سورة البقرة، فلما رآنا أغلق المصحف وقال حالا وجدته ؟ فأجابه قائلا ، إنــه ليس كغيره من الأطفال الذين يخرجون للعـــب ، وهنـــا أخـذا يتحدثان كلاما لم أستطع أن أفهمه جيدا ، بعضه تعودت سـماعه والبعض الآخر كأنه لغة مختلفة ، وفى نهاية حديثهما ســـمعت جميزو يقول يا عبد الكريم ستضرنى بإبعاد هذا الغلام عنـــى ، فمنذ أن عرفت الخدم لم أر أبدا أعقل ولا أخلص من هذا الغلام؛ فمنذ أن شاء الله أن يدخل هذا البيت ، لم أسمع مطلقا واحدة مـن نسائى أو خادما من خدمى يشكو منه ، أجاب عبد الكريم مثـــل هذا الخلق هو الذى يحبه العرب ، أى إنسان فى هذه الدنيا علـــى

سعتها إن لم يكن على خلق يستوى فى ذلك الأبيض والأسود ، فهو مثل الدابة تماما ، لأن العقل والبصيرة والحكمة لا تتوفران فى إنسان إلا إذا كان كريم الخلق .

عند سماع هذا الكلام بدأت أقول فى نفسى لا شك أن عبد الكريم سيذهب بى إلى بلدهم ، وأنا فى هذه الحالة من الاضطراب النفسى التفت إلى جميزو وقال يا عمر ، ها عبد الكريم يلح علي فى طلبك ، إنه يطلبك لا لتصير عبدا له ، إنه يريد إذا استطعت التغلب على نفسك استطعت الحياة معه ستصير له ابنا لأنه لم يرزق ابنا ، وليس له قريب واحد ، وقد رضيت أن تذهب معه والآن ننتظر موافقتك فقط .

وبعد هذا رفعت رأسى وأخذت أفكر فى مدى البعد بين بلده وبين بلدى ، وأتذكر أن أمى إذا كانت على قيد الحياة فلن تعرف أين ذهب الله بى ، وهنا اسودت الدنيا فى عينى ولم أشعر متى أخذ الدمع يفيض من عينى ، ولما رأى عبد الكريم ذلك سألنى ألا أحبه ، فأجبته أن الأمر ليس كذلك إننى لا أريد أن أبعد عن موطنى فإذا اتبعته إلى بلده متى سأعود إلى وطنى ؟

فقال لى فى كل عام إذا جاء سيأتى بى لأرى موطنى ، فقلت وهو كذلك موافق لكى لا يقال عنى إننى عديم الحياء بعد أن امتدحانى ، وبعد أن انتهى من هذا الكلام تماما وافقت فطلب منى جميزو ، أن أعود إلى المنزل ، فلما قمت وهممت بالذهاب أحضر عبد الكريم نوعا من الطعام لذيذ الطعم وقدمه إلى مع

بعض التمر الجاف الذى لم أذق ألذ منه ، فركعت وأخذتـــه ثـــم وقفت ووضعتهما فى طيات سترتى الكبيرة التى اشـــتراها لـــى جميزو ، وخرجت وسلكت الطريق إلى المنزل فوصلت إليه بما أحمل من هم فى نفسى ، وذهبت إلى أمى ثم عدت إلى الحظيرة وجلست القرفصاء وصارت هيئتى تستدر العطف تمامـــا فلمـــا رأت ذلك انفجرت فى البكاء وأخـــذت تســـأل عمـــا أصـــابنى فقصصت عليها قصتى من البداية حتى النهاية فـــأخذت تبكـــى وتقول لا بأس يا عمر تذكر دائما فى نفسك أن الله مـــالك كـــل شىء ، وجلسنا نتحدث كثيرا حتى شاء الله أن يدخـــل جمـــيزو ويخبرها بنفسه أننى ذاهب إلى مصر مع صديقه العربى ، فقالت لا بأس ، أحيانا الله، قال آمين .

ومرت الأيام وذات يوم بعد هذا الحديث بخمسة عشر يومـــا عزم عبد الكريم على الرحيل ، وكان قد استعد تماما ، بعـــد أن قضى كل مآربه ، واشترى كل ما يريده من العبيد ، إلى جـــانب بعض الأقمشة السوداء التى تلف حول الـــرأس وغيرهـــا مـــن الأقمشة السوداء لبيعها فى الطريق ويشترى الزاد .

وبعد أن أتم استعداده كان عليه أن يسافر فى صبـــاح اليـــوم التالى ، بعث من يستدعينى فذهبت فأخبرنى أنه استعد للســـفر وسيرحل فى صباح الغد ، وطلب منى أن أذهب وأستأذن مـــن أصدقائى وأمهاتى أى عائلة جميزو، فقلت وهو كذلـــك . قمـــت وعدت إلى المنزل ودعوت كل من أعرف ثم لففـــت حصـــيرة صغيرة ووضعتها تحت أبطى وقصدت منزله لأنام فيه حتـــى لا

أتأخر ، فوجدته جالسا وقد اقترب العصر بعد أن أحضر عبيده ، وكان عددهم عشرة مختلفين مقيدين ، كان قد بعث بـــهم إليـــه الأمير ، ولما أقبل الليل دخلت الحجرة معه ونمنا على فـــراش واحد حتى حان الصباح .

## نغادر مدينة كانو :

ظهر نور الصباح فسمعت صوتا يصدر من شيء كـــالقرن ينفخ فيه ويدق الجرس ، عند سماع ذلك دهشت فقمت مذعــورا وأيقظت عبد الكريم وأخبرته فقال لي هذه إشارة المســافرين أي أن باقي رفاقه قد استعدوا للسفر ، وسيرحلون ، وفي الحال فتــح الباب وخرج ، وذهب وسحب جمله الأبيض ذا السنامين ، ثـــم توجه إلى الحظيرة حيث ينام هــؤلاء العبيــد فــي فضــاء الله كالخراف ، وأيقظهم وتهيأنا للرحيل .

غادرنا مدينة كانو في صباح يوم السبت الثالث مـــن شـــهر رمضان ، وقد مضى على هجرة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ألف وثلاثمائة سنة تماما ، وقد حضر كل المسافرين إلى مصــر إلى بوابة المدينة ، لا أتذكر اسم البوابة الآن .. وعندما تجمعوا كلهم أعطيت لهم إشارة بدء الرحلة ، وقبل أن نغادر البوابة بعث لنا الأمير بحوالي خمسين خيالا ليودعونا ، وعندما أوشكنا على الرحيل ناداني سيدي وأخذني وأركبني أمامـــه فــوق جملــه ، وواصلنا السير ولم أعرف الجهة التي كنا نقصدها ، وأشـــرقت الشمس وغربت ولم نترك ظهور الإبل .

وباختصار منذ قيامنا من مدينة كانو لم نسترح فى أية مدينة إلا مدينة كركا ، ولما غادرنا كركا لم نتوقف إلا فى أرض خلاء كثيرة الرمال ، ليس فيها منزل واحد ، إلا علامات من الأكواخ على الطريق ، وهنا توقفت القافلة واستعد أعضاؤها لورود الماء قبل أن يدخلوا فى الصحراء الكبرى ، ومكثنا يومين ولا عمل لهؤلاء العرب إلا إصلاح أسلحتهم وملء القرب بالماء ووضعها على ظهور الإبل ، وقبل أن نتحرك أقبل رجل عربى على عبد الكريم وطلب منه أن يخبر رجاله كى يستعدوا لأن المكان الذى سندخله خطير ، وهنا بدأت أشعر بالخوف ، وأخذت أفكر ربما سيحاربون ، ولا سيما أننى رأيتهم يصلحون بنادقهم وحرابهم ، وبعد قليل دق الناقوس فتحركنا جميعا قرب العصر ودخلنا الصحراء الكبرى .

وفى هذه الصحراء رأيت عجبا وأحسست بخشية الله وآمنت بأن ما قاله الأسد للذئب حق ؛ إذ قال " بنى آدم شىء مخيف " منذ بدأنا الدخول فى الصحراء لم أر شجرة كبيرة ، فحينما تنظر ترى مدى بصرك ، لا ترى شيئا إلا الرمال ، لا أمطار ولا نبت فى أى مكان ، هناك الرياح ولكن ليست مثل هذا البلد ، رياحهم ليس فيها إلا الرمال ، كل من يعرف كيف تكون رياح الصحراء ، لا يرجو أن تصل إليه فى أى مكان ، فهناك إذا هبت ونظرت إليها حسبتها عاصفة ، لقد أخبرنى صديق عربى أنه أحيانا إذا هبت هذه الرياح على قافلة جعلت الناس فى حالة من الاضطراب حتى يضلوا الطريق ، وينتشروا فى الصحراء ،

ومهما كانت سعة الطريق فى الصحراء فعندما تـــهب الريـــاح تختفى معالم المكان تماما ، سبحان الله .

عندما دخلنا هذا المكان تملكتنى الشفقة على هؤلاء العبيـــد ، كنت كلما نظرت إليهم رأيتهم يسيرون فـــى الرمـــال يقتلعـــون خطاهم وقد حنوا ظهورهم ، لا أشق على الإنسان الذى تعـــود على السير فى أرض صلبة من أن يسير فى كثبان الرمال .

هكذا واصلنا السير فى الرمال يوما بعد يوم ، ولا أذهب بـك بعيدا فى الحديث فمنذ أن تحركنا من المكان الذى وردنا المـــاء فيه لم نجد ماء مرة أخرى إلا بعد أن قضينا ثلاثة أيـــام ، ثـم وجدنا قرية صغيرة يسكنها بعض الطوارق بالقرب من بعـــض الآبار الصغيرة فى الرمال ، فى هذه القرية رأيت أمرا عجيبـــا كل سكان هذه القرية صغارا وكبارا يلفون عمامة سوداء طولـها حوالى ثلاثة أذرعة حول رؤوسهم ، وأكثر من تـــراه ملثمـــا لا يرتدى قلنسوة ، وإذا تلثموا يشدون اللثام حتى يغطوا وجوهـــهم به، أما النساء فتغطى كل منهن وجهها بقطعة من القماش ، مثل هؤلاء الناس سمعت عن شجاعتهم كثيرا ، وقد رأيـــت بنفســى الدليل على ذلك عندما سمعت كلامهم فكل ما تسمع من كلامـــهم كأنه شجار .

وعندما وصلنا إلى هذه المدينة التى تحدثنا عنها ، توقفنا عند بعض الآبار واغترفنا الماء واغتسلنا ، وبعد قليل رأيـــت أهـــل المدينة نساء ورجالا يقبلون علينا وقد وضع كل تاجر فى القافلة

متاعه وأخرج عمامات سوداء ، وأقمشة كالتى تصنع فى مدينة كانو ، ثم رأيت المكان كله فى هرج ومرج يتبادلون التجارة ، واستمر تبادل السلع حتى مالت الشمس ، وبعد العصر أخذ كل تاجر سلعته وربطها، وعند المغرب دق ناقوس الرحيل فرحلنا .

وتوغلنا فى السير داخل هذه الصحراء ، ولم نخرج منها إلا بعد شهرين وثمانية أيام ، وذات يوم بعد أن سرنا سيرا طويلا ، قربنا من بلدة فى مصر غربى نهر النيل ، يقال لها بركوفة، لقد كانت مدينة " عبد الكريم " حيث سنمكث عدة سنوات ، وعندما أوشكنا على الوصول قال لى عبد الكريم إنها بلدتهم ، وأن منزله قريب على مدى البصر ، وبعد أن توغلنا قليلا دخلنا مدينة لم أر مثلها منذ ولدتنى أمى، ولما تجاوزنا ثلاثة منازل دخلنا منزل عبد الكريم ، ونزلنا حيث خدمه ، ومضى باقى أفراد القافلة إلى منازلهم .

وفى هذا الوقت سارع العبيد وأحضروا لسيدى الطعام والشراب ، ولكنهم لم يستطيعوا تناول لقمة واحدة لشدة تعبهم ، أما أنا فقد أخذنى عبد الكريم إلى زوجته بمجرد وصولنا وتركنى عندها ثم خرج ، وبعد أن استراح هؤلاء العبيد تماما ، وهدأت نفوسهم ، انهالوا على هذا الطعام كالجراد الذى هبط على مزرعة للدخن كادت تنضج ، ومكث عبد الكريم مع هؤلاء العبيد حتى انتهوا من تناول الطعام تماما ، ثم دخل المنزل فوجدنى جالسا مع زوجته نتحدث بلغة الهوسا التى تعرفها ، لأنه

كان يأخذها معه عندما بدأ يتاجر مع بلاد الهوسا ، وقد أقاما معا فى مدينة كانو حوالى ثلاث سنوات ، دخل عبد الكريم المنزل وقص لزوجته قصتى كاملة ، وأخبرها بكل ما ينوى عمله معى، ففرحت لذلك فرحا شديدا .

بعد أن قضيت سبعة أيام تعودت على زوجة عبد الكريم تماما ، وذات يوم أخبرنى أنه ينوى الذهاب إلى شاطئ البحر ليبيع عبيده .

وقبل أن يرحل طلب من زوجته أن تأخذنى إلى أحد المعلمين من جيرانه ليعلمنى القراءة، ونادانى وأخبرنى بذلك ، ثم سافر إلى الإسكندرية بثمانين عبدا ، ولكن مات منهم خمسة وعشرون فى الطريق ، وعندما حان مغرب اليوم الذى سافر فيه ، ذهبت مع زوجته زينب إلى الشيخ مسعود الذى سأتعلم القراءة لديه ، وأخبرته بكل ما قال زوجها ، ثم عدنا معا إلى المنزل، وقالت إننى لن أبدأ القراءة إلا فى الغد إن شاء الله وكنا أحياء .

وفى صباح اليوم التالى قدمت إلى قميصا جديدا وسروالا وشيئا من الطعام ، وبعد أن تناولت طعام الإفطار طلبت منى أن أتوجه إلى الكتاب فخرجت متجها إلى منزل الشيخ مسعود، وبدأت أتعلم القراءة ، ومنذ ذلك اليوم لم يكن لدى الرغبة فى البقاء فى المنزل إلا قليلا من الوقت بقدر تناول الطعام ، ولم ينقض وقت قليل حتى صارت القراءة بالنسبة لى أمرا سهلا، فقد كنت أستوعب كل ما أتعلمه بسرعة شديدة ، ولم يمض شهر

واحد حتى بدأت القراءة فى اللوح ، وقبل أن يعود عبد الكريـــم من الإسكندرية كنت قد حفظت من الفاتحة حتى سبح .

وفـــــى اليوم السابع من الشهر ، وكان قد بقى علــــى يــوم عاشوراء ثلاثة أيام ، عاد عبد الكريم ، فأخبرته زينب بأخبارى، ففرح فرحا شديدا ، وأمر أن يذبحوا له خروفا ليتصــــدق بـــه ، ومنذ ذلك اليوم كان يلبى كل طلباتى؛ فلم يترك نوعا من الثيــاب إلا اشتراه لى .

ولما حال الحول عزم عبد الكريم على العودة إلــــى مدينـــة كانو، وقال لى سنذهب معا على العهد الذى اتفقنا عليه ، عندمـــا سمعت ذلك تعجلت الوقت الذى سأرى فيه وطنـــــى ، وبعـــد أن أعددنا كل شىء جاءته أخبار ما حدث فى بلاد السودان ، وهـــو أن محمد أحمد توجه إلى مصر وقال إنه المهدى ، وتبعه كــــل أهل السودان ، فأرسلت إليه حملة حربية من مصر .

عندما سمح عبد الكريم ذلك قال الأفضل أن ننتظر لنرى مـــا سيحدث ، الآن بلاد السودان هى الطريق الذى سنسلكه ، وكـــان الجميع حينئذ يظنون أن الأمر لــــن يطـــول، وســــينتهى قريبـــا ونسافر، وأثناء ذلك وصلتنا الأخبار بأن الحــــرب انتــــهت وأن جماعة المهدى انتصرت ، وصارت كل البلد فى هرج ومـــرج ، ومرة أخرى أرسلت حملة عسكرية من مصر ، ولكن الأمـــــور كانت قد تأزمت ، فلما علمنا بذلك أدركنا أنه لا توجد فرصـــــة للرحيل ولا مفر من البقاء.

وكما هو حال الطفل دائمً ، بمرور الأيام بدأت أنسى بلدى وأهلى حتى أمى وواصلت التعليم حتى حفظت القرآن فى عامين، وقد أتممت حفظ القرآن يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر المحرم ، وفى هذا اليوم أقيم احتفال ربما لم أر مثله حتى اليوم ، ففى الصباح الباكر ذبح من أجلى ثلاث بقرات وجملان، وحوالى تسعة خراف غير الديوك الرومية ، وكان الطعام الذى صنع فى منزلنا وأهدى إلينا لا حدود له .

دخل عبد الكريم حجرته وخرج بنوع من الثياب العربية ؛ لامعة مثل الفضة ، وسروال تونسى مشغول حتى موضع الحزام ، وعباءة من الحرير ، وطربوش له ذر من الحرير الأبيض ، وعمامة صفراء ، وأخذ كل هذه الثياب وقدمها إلى لأرتديها ، فلما ارتديتها طلب منى أن أمضى أمامه إلى المدرسة حيث يجتمع صفوة العلماء انتظارا لأقرأ لهم قليلا من القرآن وليستمعوا إلى ويدعون لى .

سرت أمامه حتى وصلنا إلى المدرسة ، وجلسنا وأخذ كل منهم ينظر إلى فى دهشة ، ثم جاء الشيخ مسعود ببعض الوريقات من المصحف وقدمها إلى لأقرأها أمام الحاضرين ، وهم فى صمت شديد ، مرهفين السمع أثناء قراءتى .

قرأت هذه الوريقات جيدا ، دون أدنى خطأ ، وعندما انتهيت أخذ الجميع يقولون الحمد لله ، ويرددون لى الدعاء ثم وزع الطعام على الحاضرين .

وبعد أن حفظت القرآن بأيام قليلة ، أحضر سيدى عبد الكريم بعض الكتب العلمية وقدمها إلى مع بعض كتب الأدعية والأحاديث ، فأخذتها وذهبت إلى الشيخ مسعود ، وعندما قدمتها إليه أخذها ووضعها على فراشه ، وأخذ كتابا منها " اسمه العشماوى " وأعطاه لى قائلا سنبدأ به لأنه الكتاب الأول الذى يعلم الإنسان مسائل الدين جيدا .

بدأت بهذا الكتاب وحفظته بسرعة ، وبعد سنوات قليلة صرت الرجل الثانى فى العلم بعد الشيخ مسعود فى مدينة بركوفة ، ومنذ هذا التاريخ أخذ الناس ينادوننى بالشيخ عمر ، وأخذ الناس يتوافدون من بلاد كثيرة فى مصر لزيارتى وهم فى دهشة من أمرى ، فأنا رجل غريب ومع ذلك وهبنى الله من البصيرة والفهم الكثير ، وفى هذه الأثناء توفى الشيخ مسعود ، وبلا أدنى تردد وضعت فى مركز الإمامة بعده ، وصرت معلما لكل تلاميذه .

## أمى تبحث عنى :

منذ أن علمت أمى أننى سرقت لم يهدأ لها بال ولم تستمتع بأى شىء من الحياة ، وكانت كلما خلت إلى نفسها حدثتها بأنها ستذهب إلى كل بلدة يحتمل أن أكون فيها ، ومنذ أن افترقنا لم تأكل طعاما ويستقر فى جوفها ، لقد صارت ذابلة عجفاء مثل الشبح قد تغيرت هيأتها ، حاول ماكو كثيرا أن ينسينيها ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى ذلك حتى يئس .

وذات يوم بعد أن فارقتها بعام تقريبا ، طلبت من ماكو أن يسمح لها أن تتوجه حيثما أكون فى هذه الدنيا تبحث عنى ، فرفض فى بادئ الأمر ثم وافق بعد إصرارها ، وأحضر بعض المال والثياب وقدمها إليها ، فقامت وذهبت إلى مدينة كانو فلما وصلت إلى المدينة سألت عن منزل جميزو ، ونزلت فيه ، وسألته عن مكانى فأخبرها ، ولم يخف عنها شيئا ، أخبرها اسم البلد الذى ذهبت إليه ، واسم المدينة وكذلك أسم سيدى ، فلما سمعت هذه الأخبار هدأت نفسها وحمدت الله ، وسألته عما تفعل لتصل إلى .

فقال لها جميزو " إنك جئت فى الوقـــت المناســب فبعــض القوافل ستسافر إلى هناك فى خلال ثلاثة أيام ، وتوجد قافلتان ، إحداهما ستتجه إلى مرزوق ، والأخرى إلى حيث يقيم ابنك .

وبعد أن قال لها ذلك بيومين خرجت وذهبت إلـــى الســوق وسألت عن القافلة التى سترحل غدا ، فدلوها على القافلة التـــى ستذهب إلى مرزوق ... وكان فى هذه القافلة تاجر من مدينـــة كانو مسافر إلى هناك اسمه أدو ، فذهبت إليه وركعت بين يديه، وحدثته فى أمرها فأخبرها أن الرحيل غدا وسألها عما إذا كانت ستلحق بالركب فأجابته قائلة " نعم أننى أريد أن أذهب لأبحـــث عن ابنى الذى يقيم فى مدينة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع أدو هذا الكلام أضمر فى نفسه أن يخـــدع أمـــى ويذهب بها ويجعلها كزوجته، ويضمها إلى جواريه ونســـائه ، وقال لها " حسنا عودى إلى منزلك وأحضري متـــاعك ، لقــد أسعدك الله بأن جعلك فى هذه الرحلة ، عليك أن تذهبى وتعودى للإقامة معنا حتى يكتب الله لنا سلامة الوصول إلى هناك لأننـــا سنتوجه إلى المدينة التى تقصدينها " .

عندما سمعت والدتى هذا الكلام عادت إلى منزلها وأخـــذت متاعها البسيط ووضعته بين يديه ، فقد صارت الأمانـــة التـــى أودعها الله لديه ، لقد سلمته هذا المتاع فى المغــرب ، وكـــانت الرحلة فى صباح اليوم التالى .

وطال بهم السير ، يقضون اليوم فى مدينة ، وفى الغد يرحلون إلى أخرى ، واستمروا على هذا الحال حتى وصلوا إلى مدينة جات ، وفى هذه المدينة عزموا على البقاء أياما للتجارة ، وحتى هذه اللحظة لم تكن والدتى تعرف ما ينوى أدو أن يفعل معها . وكان الناس الذين يرافقونها يظنون أنها زوجته لأنهم كانوا يرونه يغار عليها فى الطريق.

وذات يوم قبل الرحيل ذهب أدو إلى السوق يشترى بعض الزاد فقابلت والدتى امرأة من كانو جارية لرجل عربى ، فجلست تتحدث معها وسألتها عن سبب تركها لمدينة كانو فأخبرتها ، فدقت المرأة صدرها وقالت لها إن هذا الرجل خدعك لقد تركتم الطريق المتجه إلى مصر منذ خروجكم من المدينة .

فسكتت أمى ولم تعرف بماذا ترد ، وبعد قليل قالت لمحدثتها، وماذا أفعل الآن ؟ و لقد بعد بنا الطريق ولا سبيل للعودة ، نفذ المال الذى خرجت به من المدينة ، قالت المرأة " لو سمعتى نصيحتى لا تظهرى له أنك أدركت حيلته ، حتى يأذن الله وتصلوا إلى مرزوق ، وعندئذ قاضيه واشتكيه " .

## يصلون إلى مرزوق :

عاد أدو من السوق حوالى العصر ، وعندما حان وقت المغرب بدأوا فى الرحيل ، وواصلوا السير أياما طوال،حتى شاء الله أن يصلوا إلى " مرزوق " وتوجه كل عربى كان معهم إلى منزله ، وقد اكتشفت أمى أن لأدوا مسكنا فى هذه المدينة ، فأخذ والدتى ومتاعها ونزلا فيه ، وبعد أن مضى يومان قال لأمى " لا تظنى أننى لن أذهب بك إلى بركوفة ، أريد أن أصفى بعض الحسابات ثم نذهب معا ونعود إلى كانو معا " .

وأخذ يتكلم كثيرا ، ولم تقل له أمى شيئا ، حتى انتهى من كلامه وسكت ، فتركته وحده ، وعندما رأت أن الجميع استعد للعودة قالت له " سأشكوك إلى القاضى"، فقال لها "اذهبى للقاضى لنرى هل يستطيع أن يأخذك منى ؟ "

وخرج أدو لشأنه ولم يتوقف إلا فى بيت القاضى، وقال له " لقد جئت بجارية لى من بلاد الهوسا ، وقد أصبتها لوثة من الجنون وعندما عزمت على الرحيل رفضت أن ترحل معى ، وقالت إنها ستشكونى إلى القاضى".

قال القاضى " حسنا "، فلتأت.

ولما عاد أدو إلى المنزل ، ذهبت إلى القــاضى لتشــكوه ، فسألها عما جاء بها ، فقالت "أشكو رجلا يسمى أدو ، ونحن فى مدينة كانو طلب منى أن أتبعه ليوصلنى إلى ابنى ، وقد طــالت بنا الرحلة ولا يبدو أنه سيفى بوعده ، ولا أعرف أحدا فى هــذه المدينة ليدلنى على الطريق".

فسألها القاضى " فى أى بلدة ابنك ؟ "

قالت " فى بلدة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع القاضى هذا الكلام ، ظن أنها ليست عاقلة ، فقال لها " إذا كان الأمر كذلك ، فهو أمر يسير ، امكثى لدى حتــى أجد مسافرا ".

وفى المساء بعث القاضى من يستدعى أدو ، فلمــا حضــر أعطاه القاضى بعض المال ، وقال له " عد إلى بيتــك انتــهى الأمر ، مع السلامة " ، ظلت والدتى فى منزل القاضى ، حتــى رآها رجل من طرابلس اسمه أحمد فقال للقاضى إنه يرغب فــى تحريرها ، وتساوما ودفع للقاضى فدوها ، فناداها القاضى وقال لها "ها قد وجدت الرجل الذى سيذهب بك إلى بركوفة سـأضمك إليه ليوصلك إلى ابنك " ، ففرحت فرحا شديدا وشكرته .

وفى اليوم التالى ، بدأوا رحلة السفر ، وبعد مسيرة طويلــة وصلوا إلى طرابلس مغربا ، ولم يتوقف الرجل فى أى مكان إلا

فى منزله ، وعندما طلع النهار نادى كبيرة جواريه وقال لها "ها أخت لك ، أحضرتها لك ، اعملوا كل شىء معا " .

فلما سمعت أمى ذلك ، قالت " لا يا سيدى ، إن قاضى مرزوق ، الحقنى بكم لتوصلنى إلى المكان الذى فيه ابنى ، ثم تقول إننى جاريتك " ؟

قال " أبدا ليس الأمر كذلك ، لقد اشتريتك من يد قاضى مرزوق " .

فقالت " أهكذا ؟ "

وعادت تقول " أنا التى أصابتنى مصائب الدنيا ، لعل الله يلطف بى " .

وعاشت حياتها ، ولم تبد ما أصابها من آلام ، حتى بدأت وكأنها تعودت على الآلام ، وذات يوم بعثها سيدها إلى السوق ومرت بمنزل القاضى فرفعت إليه شكواها ، فأمر القاضى بإحضار أحمد ، وعندما جاء كررت الكلام ، فقال " هذا كذب ، لقد أشتريتها من يد قاضى مرزوق " .

قال القاضى " وهو كذلك ، عودى إلى منزله ، وامكثى فيه ، وسأبعث برسالة إلى قاضى مرزوق ، ليقول ما لديه ، وإذا جاء الرد سأبعث إليك " .

وبعد أن انصرفت بعث برسالة إلى قاضى مرزوق، وبعد فترة جاء رد الرسالة ، فأمر القاضى أن يحضر ، فقال لها

القاضى : ، " لقد وصلنى الرد من قاضى مرزوق ، وقال إنــك تكذبين ، إنه باعك له وعليك أن تذهبى معه ، وتقيميــن لديــه وتخدمينه " .

فقالت للقاضى " حسبى الله فيما بيننا " ، واستأذن أحمد وقــام بجاريته .

وعندما عاد إلى المنزل ، قال لها " طالما أن حالك هذا معــى فلن أتركك طليقة ، سأقيدك حتى ينصلح حالك"، وأمر أن تقيـد ، وأخذ يسند إليها كل الأعمال المنزلية الصعبة ، ولا يطعمــها إلا من حين لآخر ، وتغيرت هيئتها لشدة ما أصابــها مــن حــزن وبؤس ، فإذا فرغت من عملها انزوت وأخذت تبكى .

ولما رآها على هذا الحال قال فى نفسه " لقد ازداد أمر هــذه الجارية سوءا ، وليس لها علاج إلا الضرب "، وأخذ يضربــها كل يوم ومع ذلك لم يتغير حالها ، وظل يعذبها لمدة عام .

أما هى فلم يضايقها كل هذا العذاب الذى تتلقاه، وكان كل ما يشغل بالها هو عدم الوصول إلى أبنها ، حتى ذبلت وعجــزت عن العمل ، فما زادها سيدها إلا عذابا .

وعجز سيدها عما يفعل معها ، فقال " إذا استمر الحال هكـذا مع هذه الجارية الملعونة، سأميتها وأخسر مالى، فتركها ومــع ذلك لم تهدأ نفسها ، وظلت فى ذبول مستمر .

## رؤيا مخيفـــــة :

وبينما كنت فى غمرة سعادتى فـــى بركوفـــة ، ولا شـــىء يضايقنى ، وقد نسيت كل شىء فى بلاد الهوســـا ، ذات يــوم استيقظت من نومى بعد العشاء فتوضأت وأخذت أقــرأ القــرآن كعادتى اليومية ، فأخذتنى سنة' من النوم ، ولم أســتغرق فــى النوم طويلا ، فرأيت فى منامى ، أننى على جبل عال ، علـــى مدخل كهف كبير ، وفى هذا الكهف لبؤة وابنتها ، وأننى كنــت مع بعض صيادى الأسود ،وعندما التفت بعد برهة لم أر أحـــدا على الجبل غيرى واللبؤة وابنتها ، وفجأة خرجت اللبـــؤة مــن الكهف وتوجهت إلى الغابة تبحث عن صيد لها ، وبعد أن ذهبت عادت بعد قليل ودخلت الكهف ، ثم خرجت مسرعة وهى تهذى وتزأرلأنها فقدت صغيرتـــها وأخـــذت تـــدور حـــول الكـــهف وتبكى.ولم تجدها ، ثم رأيت أشياء مبعثرة ، وعندمـــا أوشـــكت على الاستيقاظ رأيت أمى على مدخل الكهف تنادينى باســـمى ، رأيت ذلك فى المنام فشعرت بالخوف وقمت من النوم مندهشـــا ومرتبكا فى تفكيرى ، وظللت أتذكر هذه الرؤيا فـــى نفســـى ، ومكثت فترة لا أخبر أحدا بها ، إلا أننى عجزت عـــن الصـــبر على سرها فذهبت وقصصتها على سيدى عبد الكريم ، وقلت له "اليوم نفسى فى قلق ، وما يشعر به قلبى هو أن والدتى تبحـــث

عنى ، وأرى أن كل روحى متعلقة ببلدى ولكن لا أعرف أبـــدا السبيل إلى رؤيتها " .

قال عبد الكريم " وأنا أيضا أفكر كيف نجد السبيل للعودة إلى بلاد الهوسا ، لأن هذا الأمر الذى استصغرناه قد عظـــم ، فقـــد ضاعت كل بلاد السودان ... واستولى رجـــال المـــهدى علـــى البلاد، ولا أرى أن مصر ستعيد سيطرتها عليـــه ، وهـــا كـــل البضاعة التى أعددتها للبيع مزجاة ، ولكن سمعت بالأمس مـــن أخ ذهب للتجارة فى طرابلس أن القوافل تتبع طريقا آخر إلـــى بلاد الهوسا ، الأفضل أن نسلك طريق طرابلس ، لذلك ما أفكـــر فيه أن نذهب إلى البحر ، ومن هنـــاك نســـلك الطريـــق إلـــى طرابلس، وبذلك نستطيع أن نجد القافلة المتجهـــة إلـــى بـــلاد الهوسا، وبإذن الله سوف أذهب بك ، وسأوصلك إلى البلدة التـــى تقيم فيها والدتك ، ولكن لدى شرط واحد لابد أن نتفق عليه وهو أن نعود معا إذا ذهبنا وإذا كنت تنوى أن تخدعنى كمـــا يفعـــل أبناء السوء ولا تعود معى فقل لى لأعرف ، وكن واثقـــا فـــى نفسك أنك إذا قلت لى : إننى إذا ذهبت لن أعود ، هو كذلـــك ، فلن ألح عليك لأنك تعرف أننى جعلتك كإبنى وأنت الذى تستريح عينى إذا نظرت إليه ".

عجزت عن الرد وأصغيت فقط حتى انتهى عبد الكريم مـــن كلامه ، فقلت له " أنت تعرف أنه ليس لى أب فى هـــذه الدنيـــا كلها إلا أنت ، بين يديك نشأت ، وأنت الذى رفعتنى بين الناس،

فكيف أرى السبيل إلى خداعك، وهل تعتقد أن الشـخص الـذى أسدى إلى إحسانا أرده له شرا ، لست من يفعـل ذلـك ، وإذا فعلت ذلك فإن الله سيحاسبنى " .

وجلست أتحدث مع عبد الكريم حتى اقترب الظهر، فطلـب منى أن أعود إلى المنزل لأن التلاميذ أخذوا يتجمعـون ، فلمـا وصلت وجدت كثيرا من التلاميذ قد تجمعوا أسفل شجرة أمـام المنزل ، وقد فتح كل منهم كتابه وأخذ يقرأ فيه ، فدخلت المنزل واغتسلت ثم خرجت لإلقاء الدرس عليهم .

بعد إلقاء الدرس قام كل منهم وتوضأ وتقدمتهم فى الصـلاة ، وعندما انتهينا من الصلاة، أخبرتهم أننى سأسافر خـلال هـذا الشهر مع عبد الكريم لزيارة بلدى إن شاء الله ، فلما قلت ذلك لم تبد الفرحة على وجوههم ، فسألتهم عن السبب ، فقـالوا إنـهم يخشون ألا أعود إذا سافرت ، فقلت لهم لن يحدث هذا مطلقا .

وفى اليوم التاسع من شهر الصيام ، انتهينا مـن الاسـتعداد وبدأنا الرحلة ، فأخذنا المركب حتى وصلنا إلى مدينة القـاهرة ، ومنها إلى مدينة الإسكندرية ، حيث أخذنا باخرة كبيرة ووصلنـا إلى طرابلس بعد أيام قليلة .

وعندما نزلنا من الباخرة سأل عبد الكريم رجلا عن شـخص تعود أن يتعامل مع بلاد الهوسا فى التجارة. فقيل له فـى هـذه المدينة لا يوجد رجل مشهور بذلك إلا أحمد ، وذهب بنـا إلـى منزله ، فرحب بنا التاجر وأنزلنا عنده وأكرمنا كثيرا.

وذات يـــوم بعد أن استرحنا ، جاء عبـــد الكريـــم وأخـــذ يتحدث مع التاجر ويسأله عن أخبار الطريق ، فأخبره أحمد بكل ما يعرف ، فقال له عبد الكريم ، إن شاء الله سنسافر غدا ؛ فقال له أحمد " عندى جارية من بلاد الهوسا اشتريتها العام المـــاضى من مرزوق ، ولكن حالها يسوء يوما بعد يوم فمنذ أن اشـــتريتها لا تفيدنى فى شىء ، ولا تزداد إلا فسادا ، فهى دائمة التفكير فى بلدها ، وإذا لم تفارقنى الآن سأخسر مالى ، وطالمـــا أن هـــذه تجارتك وأنت تعرف لغتها ، ســـأدعوها ربمـــا تفـــهم كلامـــها وتريحنى منها " .

قال عبد الكريم " وأين هى ؟ "

فدخل أحمد وناداها فخرجت ، فقال لها عبـــد الكريـــم " مـــا اسمك ؟ "

فلما سمعت أنه يكلمها بلسانها ركعت أمامه وأخـــذت تبكـــى فسألها عما أصابها ، ومن أية مدينة هى ؟ قالت " أنا امرأة مـــن فاتيكا ، وزوجى هناك تركته فى إحدى المدن اسمها مقرفى".

قال " ماذا حدث حتى جئت إلى هنا ؟ "

فأخذت تقص عليه خبرها ، وكيف خرجت من المدينة تبحث عن ابنها ، وكيف خدعت وبيعت ، حتى جاءت إلى هذه المدينة، ولما انتهت من كلامها قال لها :

" والآن ماذا تريدين ؟ "

قالت " لا أريد شيئا إلا ما خرجت من منزلى من أجله ، وهو أن أجد أبنى ، ثم أموت" :

فلما سمع ذلك تعجب لسوء حالها ، وقال لها: " هل تعرفين اسم المدينة التى بها أبنك ؟".

قالت " نعم ، لأنهم قالوا لى إن رجلا ذهب به إلى بلدتهم فى مصر ، واسم المدينة بركوفة " .

قال لها " بركوفة ! وما اسم سيده ؟"

قالت " اسمه عبد الكريم " .

قال " عبد الكريم ، وما اسم الولد ؟ "

قالت " عمر

فلما سمع ذلك قال " الله أكبر ، يفعل الله ما يشاء، أبشرى ، لقد نظر الله لك بعين رحمته ، اليوم انتهت مشكلتك " .

ثم التفت إلى أحمد وقال له " كم أدفع لك لتحريرها ؟ "

قال " أى شىء تعطنى موافق " .

فدخل وأحضر المال وقدمه إليه ، ثم ناداني، وقال لها " ها هو من تبحثين عنه ، وأنا عبد الكريم ".

## أمى ترانى :

ثم نظرت إلى وقالت " أنت عمر " ،وانفجرت فى البكاء ، أما أنا فقد وقفت مذهولا ، ثم شعرت بجسمى يقشعر ، وسألت عبد الكريم " من هذه ؟! ولماذا تبكى"!!

فردت والدتى قائلة " أنا أمك ، أبحث عنك منذ سنوات حتى جمعنا الله اليوم معا " ثم هبت قائمة واحتضنتنى ، أما أنا فقد عجزت عن الكلام .

ثم قال عبد الكريم لنذهب إلى مسكننا ، وعندما ذهبنا عاد لها هدوءها ، وأخذت تقص علينا أخبارها ، وكل ما أصابها وبدورى قصصت عليها أخبارى ، وبعد ذلك قلت " إن شاء الله أذهب بك إلى البلد " قالت " لا أظن ذلك ، فقد ذبلت ، وأعلم أننى لن أعود ، وطالما رأيتك فهذا يكفينى ، أما أنت فأسأل الله أن يعيدك بالسلامة ، وترى باقى أهلك " .

فقلت " لا تقولى ذلك ، ربنا يسهل " .

لقد خارت قواها ، بسبب المصاعب التى تحملتها وفرحة اللقاء التى فاقت الحد ، لذلك لم تقم مرة أخرى ، لقد شاء الله أن نلتقى مرة أخرى ، وماتت بعد أيام قليلة ، فدفناها ، وبعد سبعة أيام واصلنا السير ، وكنت عبارة عن جسد يتحرك ، أما عقلى

فقد كان مشغولا بالتفكير فيما حدث لى ، ومرت الأيـــام ، ولــم يحدث لنا شىء فى الطريق حتى وصلنا إلى مـــرزوق ، ولمـــا نزلنا فى مرزوق ، لم نجد قوافل مسافرة فمكثنا أشـــــهر حتـــى وجدنا القافلة المسافرة.

## مواصلة الرحلة :

عندما قمنا من مرزوق واصلنا السير حوالى ثلاثة أشـــهر ، حتى شاء الله أن نصل إلى قرية صغيرة اسمها محتد ، وتفرقنا ، لنسأل عن أخبار الطريق الذى سنسلكه ، سألنا كل إنسان فعلمنـا أن الطريق اختفى ، ولا شىء فى الطريق سوى الحـرب بيـن القبائل ، فلما سمعنا ذلك اجتمع كبار رجال الرحلة ليتشـــاوروا فيما سيفعلون، ولكنهم اختلفوا فى الـــرأى ، فبعضــهم رأى أن نعود، والبعض الآخر رأى أن نواصل السير ، ومن خلال هـذه المشاورات رأيت كيف يعض الناس المال ؛ فكلـــهم يحسـبون الربح الذى سيجنونه فقط ، ولمـــا تغلـب رأى الذيـن رأوا أن نستمر، وافق الجميع ، فاستعدوا للرحيل فى الليل .

ولما انتهينا من تناول الطعام ، دق جرس الرحيــل ، فقمنـــا وغيرنا الطريق خشية المتحاربين ، وانحرفنا داخل الصحـواء ، وكان هذا الانحراف أكبر خسارة لنا ، فمنذ أن رحلنا من محتـد ونحن نسير فى الليل ولم نقابل أحدا ، ولم نسمع أيــة حركـــة ، حتى طلع النهار ، واقتربنا من بعض الكثبـــان الرمليـــة التـــى جمعتها الرياح ، ولما وصلنا إلى هذا المكان طلعـــت الشــمس فطلب منا قائد القافلة أن نرتاح ، حتى تتقشع الشمس ويلطـــف الجو ، ثم نرحل ، فنزلنا وأنزل كل منا متاعه من فوق ظـــهر

جمله ، واسترحنا بعد أن نال كل منا ما يشاء من طعام وشراب ، مكثنا فى هذا المكان ، وذهب هواة التجوال يتجولون ، ونام الراغبون فى النوم ، وأخذ البعض يقرأ القرآن ، والبعض الآخر يتحدث فى شئون الحياة الدنيا ، كل منا يفعل ما يريد حتى مالت الشمس تماما.

وبينما كان الجميع مشغول بأمره ، تغير الجو تماما، ثم سمعنا صراخا من جهة رفاقنا الذين ذهبوا يتجولون ، ورأيناهم من بعيد يجرون مثل الخراف المذعورة ، فنظرنا جهة المشرق فرأينا على البعد شيئا أسود داكن كالعاصفة، وأخذ يرتفع من الأرض إلى السماء ، واتجه إلينا، ولم أكن أعرف ما هذا الأمر، ولكن رأيت أفراد القافلة قد أخذوا يجمعون متاعهم ويصيحون، أما أنا فقد وقفت مذهولا أراقبهم ولم أدرك ما يحدث ، وبعد ذلك رفعت رأسى فرايت هذا الشيء أمامنا كالعاصفة ، ولم يكن للأسف عاصفة فقد كان هواء محملا بالغبار ، ولم يكن بداخل هذا الغبار إلا الرمال ، فلما وصل إلينا هاج الناس ولم أستطع أن أرى شيئا أو أعرف مكان رفاقى ، فتضايقت وعجزت عن إدراك ما نحن فيه .

## نجوت وحدى من العاصفة :

ولا أطيل عليك ، لم تهدأ الرياح إلا بعد وقت طويل ، وعندما استطاعت عينى رؤية الأفق ، لم أر أحدا سواى أو أثرا لجبل الرمال الذى نزلنا أسفله ، فاستولى على الرعب وحدثتنى نفسى بأننى هالك لا محالة ، ثم تذكرت سيدى والجماعة التى كنت معها ، وأخذ قلبى يحدثنى أن الرمال دفنتهم جميعا ، ومع ذلك أخذت أطوف حول المكان وأنادى عبد الكريم ، ولكن لم أسمع حركة واحدة حتى تعبت ، فجلست وانفجرت فى البكاء ، وأقبل على الليل وأنا على هذا الحال ، فنمت فى فضاء الله ومع ذلك لم تغمض لى عين .

وعندما طلع النهار ، قمت وطفت حول المكان مرة أخرى لعلى أجد شخصا على قيد الحياة ، فلم أر أثرا لبشر ، فأخذت أتجول دون أن أعرف لى مقصدا ، ومضت ثلاثة أيام على هذا الحال ، حتى نفد الماء الذى أدخره فى قربتى ، واشتد على الظمأ ، وارتفعت درجة حرارة الشمس ولا مخبأ لى منها ، وعجزت عن الوقوف أو السير ، ورقدت على الأرض أنتظر الموت.

وبعد عصر اليوم الرابع أثناء رقادى ، سمعت صوتا كصوت الجمل ، فدق قلبى ، ورفعت رأسى ، ونظرت إلى الأفق فرأيت جملا من بعيد محملا بالمتاع يقبل على، فقلت "حقيقة إن الله قادر على كل شيء " وأخذت أراقبه حتى وصل إلى ، ووقف فنظرت إليه فإذا به جملى ، فلما ركع أمامى زحفت بجسمى إليه وأخذت قربة الماء ، وشربت ، ولما هدأت نفسى تناولت قليلا من الطعام وأكلت وحمدت الله ، ونمت بجوار الجمل .

وعندما طلع النهار وشعرت بالقوة ، جمعت المتاع وركبت الجمل وقام الجمل وأنا أفكر فى الطريق الذى سأسلكه رأيت الجمل يتبع طريقا من نفسه فلما رأيت ذلك لم أقم بأية حركة وتركته يسير ، حتى أخذت أرى بعض شجر النخيل من بعيد ، وعندما وصلنا إليها رأيت مدينة كبيرة ، وأخذ الجمل يسير حتى وصل بى إلى حافة بئر ووقف ، فنزلت من فوق ظهره اغترفت بعض الماء وقدمته إليه ، وتوجهت إلى إحدى الأشجار وجلست تحتها بالقرب من إحدى القوافل ، ووجدتهم يتحدثون فأصغيت إليهم فسمعتهم يقولون فى مثل هذا اليوم ، وفى مثل هذا الوقت ، إن شاء الله سنكون فى مدينة كوكا فى بلاد برنو ، ففرحت فى نفسى لأننى وجدت المسافرين إلى بلدنا .

ونحن جالسين أسفل هذه الشجرة نتحدث سمعنا صراخا من المدينة ، ثم رأينا الناس يخرجون مسرعين ، ولم يمض وقت قصير حتى رأينا المدينة تنفجر ، ورأينا النار من بعيد تشتعل

فيها ، ونحن جالسين لا أعرف ما يحدث ، ولكننا شعرنا بالخطر ، فقمنا جميعا وتهيأنا للرحيل وركبنا الإبل انتظرنا فوق ظهورها .

ولم ننتظر طويلا بعد الاستعداد حتى رأينا فرقة من الناس بالبنادق ، فتفرقنا ، واتخذ كل منا الطريق الذى يظن أنه سينجيه، وواصلنا الهرب ، وبادر أكثرنا بالجرى وقصدوا المكان الذى خرجوا منه فى الصحراء ، أما أنا فقد دفعت الجمل للجرى تجاه الفرقة المسلحة ، ومررت بهم مسرعا ، وواصلت الجرى حتى وصلت إلى مدينة كبيرة مملوءة بأشجار الكوكا ، وأمام أحد المنازل أنخت الجمل بعد أن كادت روحى تفارق جسدى.

خرج صاحب المنزل وقال لى " من أين جئت ؟ "

قلت له " من إحدى المدن بعض المحاربين طاردونا"

فقال " لعل هؤلاء الناس من رجال رابح الذين ذهبوا خلف الفرنسيين ، قبضوا عليه وقتلوه ".

## كيف وصلت إلى روتا :

ولم أستطع السفر من هذه المدينة ، لأن جملي كان مريضا ، وبعد ستة أيام قضيتها فيها مات ، وبعد موته بيومين توجـــهت إلى بلدى سيرا على الأقدام ، ومرت الأيام حتى أنزلنى الله فـــى روتا مدينتكم هذه ، وهنا علمت أن ماكو قد مات، ولم يبق لـــى أقارب أذهب لرؤيتهم ، فمكثت هنا ألقى العلم ، هذا هو ســـبب حضورى إلى بلدكم .

" الحمد لله ، اللهم أنت المحمود ، أسألك أن تغفر لنـــا كــل ذنوبنا وما سنفعل من ذنوب ، اللهم أذهب عنى الحزن وحســـد الأعداء ، ونجنا من شر الدنيا والآخرة ... آمين ".

# المغـــــامــر

# Gandoki

تأليف : الحاج محمدو بللو

## مقـــدمـــة :

لا شيء جعلني أكتب هذا الكتاب إلا أن يجـــد النـــاس مـــا يستمتعون بقراءته . ففي كـــل أنحـــاء الدنيـــا ، حيـــث يوجـــد المتعلمون لا تنعـــدم القصـــص المضحكـــة والممتعـــة التـــي يكتبها الأدباء بلغتهم ، وها هي لغة الهوسا مـــن لغـــات الدنيـــا الكبرى وكثير من متكلميـــها بـــدأوا الآن يتعلمـــون القـــراءة ، ولكن ليس لدينا إلا الحكايات الشعبية المرويـــة ، لذلـــك رأينـــا من الأفضل أن نقترح على العلمـــاء محاولـــة كتابـــة قصـــص الهوسا بأنفسهم لفائدة الناس ، وفي الحـــال اســـتجابوا ، ومـــن يقرأ هذه القصة ســـيرى أن الهوســـا لـــم تحـــرم مـــن كتابـــة أصحاب اللفظ الجميل والقصـــص الممتـــع .

وهذا هو الكتـــاب الأول الـــذي وصـــل إلينـــا ، وأعددنـــاه وأمرنا بطبعه ، ونعد الآن غيره وســـيطبع بـــإذن الله.

وقد وضـــع الأســـتاذ بللـــو هـــذه القصـــة عـــن المغـــامر والحروب التي خاضها ، وما كتبه عن حـــرب كونتـــا جـــورا لا شك فيه ، فقد كان ممن نجوا منـــها ورآهـــا بعينـــه ، وقـــد عمد إلى خلط الحقيقة بالخيـــال .

ولد الأستاذ بللو في كاجر مداكـــن تيجنـــا ، ولكـــن والـــده من سكوتو ، وقد دخل الشـــيخ عثمـــان ســـكوتو مـــع جـــده ،

ولما استولى الإنجليز على " بيدا " فى سنة ١٩٠١ ميلادية، كان بللو فى هذا الوقت مدركا للأمور ؛ فقد كان عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ، وقد عين والده قاضى كاجرا ، وقد تعلم العربية على يده ، ولما أنشأ الإنجليز مدرسة فى كانو بعث به إليها ، ولما تخرج منها اشتغل بالتدريس .

ونرجو أن يقتفى الآخرون أثره حتى تعم الكتب النافعة والممتعة أنحاء البلاد .

**مكتب الترجمة ، زاريا**

**مايو سنة ١٩٣٤**

لقد خص الله جنطوكى القائد العسكرى بطول العمر وخوض غمار الحروب واقتحام الأخطار ، لذلك تجده فى كل أماكن اللهو المرح ، وهو لا ينتظر الدعوة لنجدة المستغيث ، فحينما تسمع الهرج والمرج تجده بين الناس لا شىء إلا ليتفرج ويقص ما رأى ، ولذلك يقول الناس له " يا أبا جربا لا تتدخل فيما لا يعنيك "، ولم يكن حب الكذب من عادته ، فلا يقول إلا ما يراه بعينه أو يحسن سماعه ؛ لذلك لجأ إلى العلماء ليمدوه بالتمائم المختلفة للنجاة من المكروه .

وقُضيت حاجته بحصوله على هذه التمائم ، لأن كل من حصل عليها ، ينجو من كل المصائب ، حتى لو دقت عظامه فى الهاون ينجو بإذن الله .

وذات يوم جمع الأطفال حوله ، وأخذ يقص عليهم أخبار الحروب التى خاضها جميعاً، أخبرهم أنه حارب مع الشيخ عثمان بن فوديو فى مدينة الكلوا Alkalawa والوسا Alwasa وتسنتسوا Tsuntsuwa وغيرها من

المدن ، وكان من ضمن من ذهبوا مع أمـــير المؤمنيــن بللــو إلى قبيلة جوارى Gwari فى عهد الشـــيخ عثمـــان ، وكـــان مشتركاً فى كل الحروب التى خاضها الفلاتـــا حتـــى اســتولى على إمارات الهوســـا ، وكـــان أحـــد العيـــون فـــى الحـــرب الأهلية فى مدينة كانو ، والتـــــى أشـــعلها المعلـــم خليـــل فـــى بوتشــى .

وعندما خـــرج عمـــر نجوامتســا Nagwamatse بجيشـــه لمحاربة قبـــائل بســـاوى Basawa وكامكـــاو Kamukawa ودكرضـــــم كـــــــراوى Dakarkarawa وجـــــــواروى Gwarawa كان جنطوكي ضمـــــن جنـــوده ، وعندمـــا عـــاد إبراهيم أمير كونتاجورا إلى مدينة جوارى فـــى عـــهد الأمـــير برو كان ضمن جنوده ، وهـــو الـــذى طـــارد أمـــير مرطـــى Maradi التى استنجد بها الجـــوارى، وعندمـــا رأوا ألا مفـــر استسلموا ، وتصادف فى هذا الوقت ظهور رابـــح فـــى بـــلاد الكانورى حيث أثار الفتنة ؛ فلمـــا وصلتـــه الأخبـــار أســـرع إلى هنـــاك .

قال الأطفال " عجبا أيها القائد العســـكرى ، ولـــم تمـــت ؟ ولم تصبـــك أيـــة مصيبـــة فـــى كـــل هـــذه المعـــارك التـــى خضتـــها؟".

فهب واقفاً فى زهـــو وأخـــذ يقـــول " أننـــى البـــذرة التـــى تمكث فى التربة حتى العام التـــالى ! فليعلـــم الأطفـــال إننـــى

المغامر ، كيف يصيبنى الهلاك بعد أن نجــوت منــه ؟ وهــا أنا أحمل التميمة التى تنقذنى من كــل الأخطــار ، لقــد كنــت أستعد لمحاربة الجن فما بالكم ببنــى آدم ؟ إن كــل العفــاريت المردة فى هذه الدنيا قــد انتصــرت عليــهم ، إننــى الحديــد الذى يفل الحديد ، إننى أبو جربــا ! أنــا المــارد العمــلاق ، الذى أفزع الناس وهو وليــد " .

وهناك ما يفوق هذه المعــارك جميعــاً ، وهــى الحــروب التى خضناها مع الأوربييــن منــذ هبوطــهم علــى الســاحل حتى جاءوا إلى الغابات فى بلاد اليوربا وبيــدا ، وأنــا الــذى استدرجتهم إلى كونتا جورا، بمدافعــهم الرشاشــة والســريعة الطلقات وبنادقــهم المختلفــة، ولمــا رأيــت الهزيمــة حلــت برجالنا تركتهم وذهبــت إلــى بــلاد الــهند حيــث خضــت المعارك فى صفوف الجــن " .

وعندما سمع الأطفال ذلــك ألحــوا عليــه ، حتــى يقــص عليهم الحروب التــى خاضــها ضــد الإنجلــيز ، والمعــارك التى قادها فى صفوف الجن ، فقد كــانت أمنيــة أى طفــل أن يسمع أخبار السنين الماضيــة .

قال " حقاً ، ولكن هذه الأخبــار ســبق أن قرأتموهــا فــى كتب التــاريخ " .

قالوا " ومع ذلك ليست كما ترويــها لنــا ، لأنــك شــاهدت هذه الحروب بنفسك ، وعرفت كل صغــيرة وكبــيرة فيــها ،

تعرف بدايتها وتعرف نهايتها ، وأنت تعرف مـــا يـأتى فـى الكتب من أخبار ، وتعرف الأخبار التـى نحـب أن نسـمعها، وليضحك الكبار أيضاً وتملأ النشوة قلوبـهم ، ومـهما قـص الناس هذه الأخبار فلن يقصوها مثلك ، ولـن يقصـوا علينـا كل شيء كما نريـد ، ونحـن لا نريـد أخبـاراً تاريخيـة ، ولكن نريد ما يضحكنـا " .

قال " وهو كذلك لقد أعطيتـم القـوس للصيـاد المـاهر ، وسألتم من يجيد الرد الشافى ، فليصغ كل منكـم إلـىّ ليسـمع ما يشتهى من الأخبـار " .

## الأخبار التى رواها جنطوكى القائد العسكرى:

نبدأ باسم الله ، ونصلى على أفضـــل الخلـق ، ونســأل الله أن يقبض روحنا على الديــن الإســلامى والإيمــان، آميــن ؛ برحمته التى وسعت كـــل إنســان ، وليــس بفضــل عملنــا ، ويجلعنا فى حماية نبيه يوم القيامـــة ، ببركـــة شــيخنا أحمـد التيجانى " رضى الله عنه ، آمين " ويعفـــو عمــا فعلنــا مــن آثام ، وما ســنفعل ، بدرجــة أصحــاب الدرجــات ، آميـن، تسمعون منذ نشأتكم أنه يوجد بعــض النــاس يخرجــون مــن الماء ، يكتبون بلعاب فمهم ، وإذا تكلمـــوا يتصــاعد الدخــان من فمـــهم ، لا يــأكلون إلا البيــض ، لــهم أربعــة عيــون، سيأتون للسيطرة على هذه الدنيــا كلــها ، وقــد صــار هــذا الكلام كقصة شبيهة بمـــا يذكــره الســمار بــالليل . ومــرت الأيام حتى تجاوزتم الســابعة وأصبــح هــذا الأمــر حقيقــة. التجار القادمون مــن بــلاد الغابــات يخبروننــا أن الإنجلــيز يحاربون الوثنيين فـــى بــلاد اليوروبــا ، ولا يســتطيع أحـد الخروج من هذه البلاد أو الدخــول إليــها .

فلمــا ســمعنا ذلــك أخذنــا نتــهيأ فــى شــمال نيجيريــا لملاقاتهم، فأعددنا الســموم للحــراب ، والأســلحة والــدروع

وحوامل الذخيرة ، والتمائم التى تعلق فـــى الــذراع ، وســألنا الله أن يأتى بهم إلينا لأننا شعرنا أن لدينـــا البنـــادق والحــراب والسهام الملوثة بالسم الدفين الـــذى يقضـــى علـــى ذريتـــهم . والفرسان الذين لو أضرمت النيران وطلـــب منـــهم خوضـــها ما تخلفوا للفتك بالعدو ، واتباع أوامر قادتـــهم ، إلـــى جـــانب فرساننا المشهورين مثل مـــالم حســن وابنـــه، جمفـــى Jimfi فى كوناجورا ، ومداكن تيجنـــا فـــى كـــاجرا ، وبونـــا الـــذى ينظر لعدوه نظرة احتقـــار فـــى بـــاقو Bako وقـــور هســـو Kaura Hasau فـــى مرطـــى ، وطنويـــرى فـــى كتســـينا ، وحرمى فى كانو ، وأحمـــدو فـــى دمجـــرم ، وكنشـــلا فـــى برنو، وتجوى دوتسى فى ززو ، وميتـــوراري فـــى ســـكوتو ، وبرو فى مدينة جوارى ، ومججى ابـــن ياموســـفى كفـــى ، وسما فى أرجنجو ، وطنياى فى ننجى ، اتحـــدوا جميعـــا مـــع مـــاكو Makau رئيـــس قبيلـــة نوفـــى . وهـــم كثـــيرون لا يخشون أحداً، إذا حمى الوطيـــس ، انظـــر مثـــلاً ابـــن أمـــير روما ابن طنويرى الذى ضرب بالسهم فـــى عينـــه ، فوقـــف أبوه وطلـــب أن ينـــتزع منـــه الســـهم ، وإذا دمعـــت عينـــه سيقطع رأسه ، فليس ابنه ، وقد حدث فعلاً ولـــم يغمـــض لـــه جفن ، وكذلك مداكى كنباقو أيضاً فى كـــاجرا ، الـــذى طعـــن بالسهم فى قدمه ، وحـــاولوا انـــتزاع الســـهم فلـــم يســـتطيعوا فلواه وانتزعه ثم وضع رجله فى الركاب ونـــزل مـــن فـــوق

ظهر الحصـــــان وهـــو يـــردد المثـــل الهوســـوى " الرجـــال يتشابهون فى الملامح ويختلفون فـــى الطبـــاع " .

لقد سمعنا أن الإنجليز ظلوا يحاربون الوثنييـــن فـــى بـــلاد اليوروبا سنين طوال ، يعانون من القتال مـــع نســـائهم فقـــط ، فلما سمعنا هذه الأخبار قوت عزيمتنـــا ، وتحفزنـــا لملاقاتـــهم إذا دفعهم الله إلينا ، حتى مل أطفالنـــا والمداحـــون انتظـــارهم، فنظموا فيهم شعراً يقولون " لقد تأخر النصـــارى ولـــم يـــأتوا، أين هم النصارى ، وأيـــن جنودهـــم ؟ " وأخـــذوا يرقصـــون رقصة الشباب ويضربون الأرض بالعصـــا لشـــدة ســـرورهم وانتظار وصولهم . وللأسف لـــم يعرفـــوا أن وصولـــهم أمـــر وهزيمتهم أمر آخر ، لأنى شاهدت حروبـــهم مـــع بعضـــهم ، وأعرف كيف يحـــاربون ، ولا أدرى مـــا يخفـــون ، ولـــم أر إلا الهجرة والنزوح بسبب الخوف والجـــوع ، الـــهجرة التـــى لا رجعة بعدها ، والفرار فى ظلام الليل كما قلـــت لـــهم " مـــا شأن جنطوجى لو طحنت عظـــامى فـــى الـــهاون ، ســـأنجو منهم بـــإذن الله .

وبعد قليل ونحن فى كونتا جـــورا ، ســـمعنا أن الأوربييـــن استولوا على بيدا بالحرب ، وكان أميرها أبـــو بكـــر ، الـــذى كان الناس يمدحونه بقولـــهم " أبـــو بكـــر قـــاتل الأوربييـــن " كان مـــن أبنـــاء مســـبا Masaba ،وله شـــهرة واســـعة فـــى

مجال الحرب والكرم ، حتى صار ما يمدح به أمراء الهوسا.

عندما نزل الأوربيون بيدا وجدوا كثيراً من المحاربين ببنادقهم الكثيرة، ولم يجدوا ماكو الذى ذهب مع بعض ، رجاله الشجعان إلى إحدى البلاد المجاورة ، فلما سمعت ذلك قلت لن أدع هذه الفرصة تفوتنى ، فحملت أدوات القتال ثم توجهت إلى هناك ، وتركت نسائى وابنى جربا جاجرى وفرستى الشهباء وباقى م- 'عى فى المنزل ، واتخذت طريقى ولم أتوقف إلا فى بيدا، وقبل أن نصل إلى ليبن Lepene قابلنا شقيق الأمير الأصغر فى سكبى Sakpe وواصلنا معا ، ومكثنا ثلاثة أيام نقاتلهم ، ولما أدركنا أن جنودنا على وشك الهزيمة ، عدنا وأخبرنا الأمير ، ولكنى قلت فى نفسى " هذا أمر خطير " .

ثم أعد التوفاويون العدة لقتالهم ، وتخلف الأمير أبو بكر فى قصره فترة يدعو لهم بالنصر، فلما انتهى أعد أدوات القتال وحمل التمائم ، وخرج وامتطى ظهر حصانه وكأنه الأسد لما وهبه الله من هيبة وجمال .

وجاء أحد خدم الأمير بحصانه يعدو ، وركع أمام الأمير وحيّاه قائلاً أطال الله حياتك، لقد هزم رجالنا، إذا لم تخرج إليهم حالاً ستدور الدائرة عليهم ، إنى تركتهم وحواجبهم ترتعد، وعروق جباههم منتفخة من شدة

الغضب والحماس ، فقصد ميدان القتال ، ونزل في العراء، وجلس وأخذ ينتظر على أحر من الجمر أن يستفزه الأعداء، حتى أخذت الطلقات من بنادق العدو تنهمر فوق رأسه كالمطر ، فلم يلهه كل ذلك عن تحريك حبات مسبحته بأنامله ذاكرًا الله ، حتى إذا تكاثر الرماد والأتربة على ثيابه مد يديه ونفضها من فوق قميصه ، دون أن يصيبه أذى .

وبعد ذلك أمر جنوده أن يركعوا ويطلقوا النار من بنادقهم ، حتى عظم الغبار وارتفع إلى السماء ، وهاج الناس وماجو ، واستشهد كثير من الجنود في هذه المعركة، وقتل فيها سابو بن مالك وبشارو بن على جندى وكثير غيرهما .

ولما حمى الوطيس قال أبدا ما سينجا Ubda Masinja للأمير إذا لم تنسحب من المعركة سيفنى رجالك .

ولما قام لم يدخل المدينة بل طاف حولها وتوجه إلى ليمو Lemu ، استسلمت المدينة ، ونجا كل إنسان بنفسه، ولما انقشع غبار الحرب ذهبوا إلى أبي بكر أمير نوفى يخبرونه بانتهاء القتال .

وعاد أبو بكر أمير نوفـــى ووقعـت اتفاقيـة ، وذات يـوم دخل أحـــد الأوربييــن علـــى الأمــير دون إذنـــه ، فــأمرنى الأمير أن أقطع عنقه بالسيف ، فأثار هـــذا الحـادث الفتنـــة ، فقلت " لا أبالى، ما شـــأن جنطوكـــى " ، ولمـــا أدرك الأمـــير سوء عمله ، وأنه بمثابة نقض الاتفاق، خــــرج وقصــد لافيـــا ومنها إلى كفى Kafi ، وهو فى حــــيرة ورعـــب .

وسمع أن الأوربيين طــــردوا إبراهيــم ، وأنـــه الآن يقيــم فى ززو Zazzau ، ومن هناك قصد إلى زاريـــا والتقـــى بـــه فى قاى Kaya ، وأكرمــــه كواســـو Kwasau أمـــير زاريـــا كثيراً قبل أن يغادر المدينــــة ، وعندمـــا وصــل إلـــى مســـكا Masaka نزل فى حــــى ياكوروتـــاوا Yakurutawa ، ولـــم يتوجه إلى ميدان القتـــال .

وبعد أن غادر الأمير أبو بكـــر بيـــدا عيّــن محمــد مـــاكو أميرًا لنوفى ووقع الصلح مع الأوربييـــــن ، فقـــد جـــاءوا بـــه من إحدى البلاد المجاورة حيث كان يقــــود الحــرب ، وعـــاد الناس إلى ما كانوا فيــــه ، وأخـــذ كـــل منـــهم ينعـــم بالحيـــاة الهادئة ، لن يستطيعوا القبض عليه ، وهكذا انتــــهى الأمــر.

بعد ذلك غادر الأوربيـــون بيـــدا قـــاصدين كونتـــا جـــورا Kwantagora لقد صارت المنقطة ملجــأ للمجرميــن الذيـــن جاء بهم طيشهم إلى بلادنا ، ولقــــد ســـررت بتحركـــهم إلـــى مدينتنا ، فتنكرت وتبعت جنودهم ومعى خـــــادمى إنـــدا غانـــا

الذى التحق بخدمتى فى بيدا ، ووصلنا السير حتى وشيشى Wushishi ، وأكرم محمد قاضى وشيشى وفادة الأوربيين ( لأن أمير وشيشى إبراهيم بن موديبو كان فى كونتا جورا ) وقد توجه كبار رجال المدينة إلى مججى دودو Magaji Dodo بن تنيطو ونصحوه بألا يقدم للأوربيين شربة ماء ، ولكن القاضى كان يؤثر عدم إثارة المشاكل .

وكان رأى القاضى أن العدو الذى لا نقدر على مواجهته يجب مهادنته ، فقلت له إننى أشعر بشعورك، ولكن لابد أن نقاتلهم .

ولما طلع النهار طلبوا رجالاً يحملون لهم متاعهم ، فأثار هذا حفيظة سكان وشيشى ، وفى المساء تسللت إلى منزل القاضى ، وناديت عليه فخرج ، وهو لا يرتدى إلا الحِرام ( لشدة الحرارة فى غرب أفريقيا يخلع الرجل ملابسه أمامنا ويلف جسمه بملاءة كالحِرام ) فأمسكه إندا غانا وقطعنا رأسه ، وتوجهت إلى الأمير وأخبرته بكل ما حدث وقدمت إليه رأس القاضى هدية .

قال "إننى أحبك ، أحسنت صنعا ، إن جنونك كثيراً ما يفيد " فقلت "إنه يفيدنى ويفيدك " .

وفى الصبــاح علــم الأوربيــون بمــا حــدث للقــاضى ، فغضبوا أشد الغضب لهذا الأمر الــذى أســاءهم .

ولما أقبل الليل أضاءوا مصباحاً ذا لــون بــاهر ، تنبعــث من ضوئــه ألــوان مختلفــة ،ولمــا رأى السـكان المصبــاح أصابهم الرعب وفــروا إلــى أوجــو Ygu وتيجنــا Tegina وكاجرا باحثين عــن الأمـــان حــول كونتــا جــورا ، وقــد أشعلت هذه الفتنة جرمى بن جــارا Jarmi Dan Gara حاكم أوجــو .

وقال جربى إنه لن يتحرك إن لــم يــر كونتــا جــورا قــد استولى عليها الأوربيون وعاش السكان فـــى رعــب ، وبعــد أن أحرقت المدينة ، عاد سكان أوجو فـــى الصبــاح وأزالــوا الأنقاض وأقاموا فى المدينة ، ولكنـــهم لــم يفكــوا أمتعتــهم ، وهكذا استمر الحال فترة طويلة ، وقــد عــاش جيرانــهم فــى مدينتى تيجنا وكاجرا فى رعب شـــديد .

وأخيراً جمع أمير الســـودان رجالــه وشــاورهم فيمــا إذا كان يحارب الأوربيين أم لا ، وإذا كانوا قــد جــاءوا للقبــض عليه وأخذه أسيراً فها هو ذا حتى تعيش البــلاد فــى ســلام لا يهلك النــاس.

وهنا وقفت قائلاً " لن يكون هذا " ووافقنـــى طنجــلا ديمــا بوواـــــــى GaladimaBuwaye وأبندومــــــــا Dan

Ubandome وباقى الأمراء ؛ فقالوا جميعاً " لن يكون هذا ، أطال الله حياة الأمير ، لابد أن نفعل كما قال جنطوكى ، لابد أن نواصل القتال ، إن السودان جميعاً يرهبنا ثم يأتى الأوربيون ويقبضون عليك ، كالمرأة ونحن أحفاد الشيخ عثمان بن فوديو الأقربين ، ويقول الناس عنا إننا استسلمنا من أجل الصلح ولم نقاتل قتالاً مريراً ، ولا ندع لأبنائنا ما يفخرون به ، لن نستسلم ولن نترك العار لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد .

قال الأمير " وهو كذلك ، لقد قلت هذا القول لأبلوكم ، وأعرف ما تفكرون فيه وما رأيكم ، نسأل الله أن يأتى بهم لنسومهم مر العذاب.

وفى اليوم الثالث بعث الأوربيون ثلاثة رجال إلى الأمير ، وفى طرفة عين قطعت رأس اثنين منهم بسيفى واويلو قبل أن أستمع إلى رسالتهم ، وطلبت من الثالث أن يعود ويحمل الخبر إلى الأوربيين ، وأخبرته أننى جنطوكى والد جربا القائد العسكرى لجيش المسلمين الذى لا يقهر.

وأخذ الرجال يعدون العدة للقتال من دروع ، وخوذات حديدية وبنادق وسيوف وسهام ... ولشدة حماسى واستعداد كل من تلقاه من الرجال يخيل لك أنهم يستعدون ليوم العيد ، أو حفل هام ، ولم يكن إلا شوقاً للشهادة .

وفى يوم الخميس بعثوا برسولين آخرين ، فقال لى الأمير " لا تقتلهما ، لا يقتل الرسول ، ولكن دعهم ليعودوا ويخبروهم أننا على استعداد للقائهم ، وكان كل من ينظر إلى وجه الأمير يشعر أنه مستعد لقتالهم حتى الموت ، بدأ جنودنا يخرجون إلى بوابة نجوارجى Nagwarji منذ يوم السبت .

وفى يوم الأحد العاشر من شهر شوال ، التقى الفريقان وأخذ كل منهما يتبادل الكر والفر ، وكان كل من يرانى فى هذه المعركة يدرك أنه لا مثيل لى فى هذا الزمان ، وكان ابنى الكبير جربا يقتفى أثرى حينما سرت ، حتى أخذ الناس بمدحونه قائلين " جربا رجل الرجال ، لم يكتسب الشجاعة ولكن ورثها ، حينئذ طلبت من أليارا Aliyara قائد المشاة أن يصطف الجنود فلما اصطفوا أطلقوا بنادقهم فملأت السماء بالدخان ، وصمت الأذان من شدة صوت البنادق التى انطلقت من كل مكان ، وصارت كعاصفة غير ممطرة ، فتسللت إلى صفوف الأعداء ، وأخذت أحصد رقابهم وأنا أنشد أنشودتى المحببة"من الذى لا يعرف المغامر والد جربا ، أنا الأسود خادم الأمير ، قل للرجال إننى جنطوكى " .

وأثناء هذه المعركة قتل جلاديما بجيلي Mujaili وميجري جبودبي Mai Gari Gwadabe وكثير غيرهما، ولولا أن الله قد كتب لي الحياة لقتلت في هذه المعركة ، وكان ميجري جودبي قد توضأ وصلى قبل أن يخرج من منزله وسأل أهله المغفرة ، وودعهم قائلاً " أسأل الله أن يجمعنا في دار السلام "وسبب ذلك أن الناس أشاعوا عنه منذ البداية أنه جبان ويستعد للفرار مع أولاده خوفاً من لقاء العدو لأنهم لم يسمعوا كلمة منه حينما استشارهم الأمير في أمر الحرب ، ولكنهم لم يحسوا بما يضمر في نفسه.

ولم يهزم الجاموا ساوا إلا المدافع الرشاشة التي أطلقتها عليهم ، وكان الفرسان يحاولون التقدم ، ولكن الخيول كانت تتراجع خوفاً من أصوات المدافع ، التي لم تسمعها من قبل ، فلما أدركت ذلك غضبت ونزلت من فوق ظهر الحصان ، وأخذت درعي وهجمت عليهم وأخذت الخسائر تتهال فيهذه المعركة ،حتى أخذت الخيول تشب على رجليها الخلفيتين وتوقع فرسانها ، اللهم قنا من رؤية هذه المناظر المؤلمة ، وسماع هذه الأخبار السيئة، آمين .

ونزل أمير السودان وجلس القرفصـــاء ، غضبــان آســفاً ، لا يحركه شيء ، وكلما هجم عليه الأعــداء نـــهرهم جميعــاً ، المعتدى والمعتدى عليه فيفر الجميـــــع .

وعندمـــا يئـس الأمـــراء مـــن النصـــر وبعـــد أن ازدادت الخسائر فى الجنود قــــالوا للأمـــير " أطـــال الله حيـــاتك ، إن المعركة التى لا تستطيع كسبها الأفضل الانســـــحاب منـــها ".

حاولوا كثيراً إقناعــــه بالانســحاب مـــن المعركـــة ولكنـــه رفض ، فذهبت إليه وقلت له "أطال الله حيـــاة الأمـــير " خـــير من الفرار نحاول مرة أخـــرى .

قال " لن أخالفك فى هذا الأمـــر " وقبـــل أن يقـــوم هداهـــم الله إلى حيلة ، فــــأمروا أن يغلـــق قصـــره ، والبـــاب الـــذى سيدخل منه ، لأنهم يعلمون أنــــه إذا ســبقتهم دخـــل المدينـــة سيتجه إلى قصره، ولن يخرج منــــه أبـــدا ، وســـيكون موتـــه مؤكداً وحتى لا يحدث ذلك فكروا فى الحيلـــــة التاليـــة.

عندما ركب وقصد المدينــــة وجـــد بـــاب المدينـــة مغلقـــاً، فقال " لا حول ولا قوة إلا بـــالله " إن الأمـــراء الذيـــن أمـــروا بذلـــك خدعونـــى ، وأدار حصانـــه وطـــاف حـــول المدينـــة، وفى الحال اشتعلت الحرب فى المدينـــــة !! لا حـــول ولا قـــوة إلا بالله ، فعال لما يريد ، لقد سيطر الرعـــب علـــى المعركـــة وأخذنا نقتل بعضنا البعض لشـــدة مـــا أصـــاب المكـــان مـــن اضطـــراب وأخـــذ الجبـــان ينجـــو بنفســـه ، وأخـــذ الكبـــار

والصغار يفرون إلـــى الغابــات زرافــات كأنــهم الجــراد ، يعانون من الظمأ والجــوع ومشــقات الســير فــى الغابــة ، يسيرون حفاة فيمــا تثــيره الخيــول مــن غبــار ، وحــرارة الشمس المحرقة وما تكبدوه من خسائر أثنــاء فرارهــم فــاق ما تكبدوه أثناء المعركـــة .

سرنا فى الطريق وجعلــت زوجتــى فــى المقدمــة يليــها ابنى جربا جاجرى ؛ وفرستى الشهباء، وخــادمى إنــدا غانــا، ولم أر فى هــذا اليــوم مــن لــم يتملكــه الغضــب إلا أحــد المجانين الذي كان يسمى كواسو أمــير الحــرب ، فقــد كــان يجرى ويقلد الفارس فــوق ظــهر حصانــه ، كــان يتمنطــق بخرق بالية ، ويعلق قرعة الماء وتميمة فـــى ذراعــه ، ولــم يأبه بما حولــه .

وبعد ذلك اجتمع ســكان وشيشــى وأوجــو وكــاجرا مــع الأمير فى غابة وشيبا ، لقد كان هــذا الفــرار أمــراً محتمــاً علينا ، حتى أهل البــلاد الأصليــين كــانوا بيــن الفــارين ؛ لذلك كان وثنيو أنجوى يسخرون منــا ويطبلــون ويرقصــون قائلين " يجرون بمتاعهم فراراً من النصـــارى " لقــد أضنــى هذا الفرار أشجع الشجعان ، وقد جريت معـــهم حتــى تعبــت، وعانيت من الظمأ والجوع ، حتى سقطت فـــاغرا فمـــى ..

وأثناء الليل لدغ الثعبان خادمى إندا غانــا فوضعتــه علــى ظهر الفرس وســحبها جربــا جــاجرى ، وكــانت زوجتــى

تركب خلفها طفلها الرضيـــع ، وربـــط الثلاثـــة فـــوق ظـــهر الفرس بشال العمامة خشـــية ســـقوطهم أثنـــاء الـــنزول إلـــى النهر، أو أثناء النعاس فى الليـــل .

وكان جربا جاجرى يعلق فى كتفه قرعـــة المـــاء ، بينمـــا يعلق إندا غانا قرعة الحبوب التى نتخـــذ منـــها طعامـــاً فـــى مقدمة السرج ، وكان كلما أخذ بيـــده حفنتيـــن مـــن الحبـــوب ليأكلها قدم لمن خلفـــه حفنـــة واحـــدة ــ لعـــن الله الشـــخص الأنانى ، الذى لم يرحـــم المـــرأة العجـــوز ــ حتـــى لاحـــظ جربا جاجرى ذلك ، فكان إذا أحس بالظمـــأ يضايقـــهم ، قـــدم لهم الماء ليبلوا ظمأهم ، وإذا انتـــهى المـــاء قبـــل أن يجـــدوا ماء آخـــر ، أخـــذ يبحـــث لـــهم جربـــا عـــن ورق الكلجـــو فيمضغونه ، حتى يسيل لعابـــهم .

وفى الطريق رأينا امرأة تربـــط رجليـــها بـــالخيوط التـــى تربط بها شعرها حتـــى صـــارت كـــالحذاء، وأخـــرى تســـقط فاغرة فاها وهى على وشك الموت ظمأ وجوعـــاً فـــى حالـــة إغماء هى وطفلها ؛ بعض الرجال يفـــترقون عـــن عائلاتـــهم ولا يعرف كل منهم مصير الآخر ، نســـأل الله أن يقـــى كـــل مسلم من شر الفتنة والحزن فى الدنيا والآخـــرة ، آميـــن .

وبينما كنا معســـكرين فـــى الليـــل فـــارقت هـــذه المـــرأة الحياة، وأخذ الدود والصديد يخـــرج مـــن رجـــل إنـــدا غانـــا التى لدغها الثعبان بعـــد أن ازدادت ســـوءًا . وفـــى الصبـــاح

وضعت عائلتى علـــى ظـــهر الفـــرس وربطتـــهم ، وســـلمت الزمام لجربا جاجرى ، وأخذ الخادم يـــترنح مـــن شـــدة الألـــم حتى كاد الجميع يسقط من فـــوق ظـــهر الفـــرس ، وأخـــذت الرائحة الكريهـــة تخـــرج مـــن ضمـــادات الجـــرح المهلهلـــة والملوثة بالصديد ، وفجأة نفد المـــاء فسـلمت زمـــام الفـــرس للخادم المريض ، وذهب جربا جاجرى إلـــى الغابـــة ليبحـــث عن المـــاء.

لم أعد إليهم إلا فـــى المســـاء ، فوجدتـــهم جالســـين علـــى شاطئ النهر يحدقون بأعينهم ، فلمـــا أدركـــت اليـــأس علـــى وجوههم سألتهم ، فقال إندا غانا " لقـــد نزلنـــا إلـــى النـــهر ، ولما شددت زمام الفـــرس لنصعـــد إلـــى المرتفعـــات ســـقطنا جميعاً فى الماء ، وقد شاء الله أن تقـــع المـــرأة العجـــوز فـــى ناحية وأنا فى ناحية أخرى ، فأنفجر فـــى البكـــاء والنحيـــب. ولم يسمع لنا صوت إلا الله لخلـــو المكـــان مـــن العـــابرين . وحاول كل منا الصعود ، حينئذ تذكرت أننـــى رجـــل، فقمـــت وأمسكت الفـــرس وصعـــدت بـــها وربطتـــها فـــى شـــجرة وجلست ، وجمعت العجوز متاعها وجلســـت عليـــه، أظلمـــت الدنيا فى عيوننا وأخذ كل منا يلـــوم الآخـــر ، ولـــم يســـتطيع أحد منا الحركة حتى جئت إلينـــا " .

ونحن على هذا الحـــال وصـــل جربـــا جـــاجرى حـــاملاً القرعة مملوءة بالماء ؛ فغمرنا السرور وفغر كـــل منـــا فمـــه

وكأنه سيلتهمه ، إنه رجل يساوى عشرة رجال ، عظيم ابن عظيم ! وبعد أن شربنا الماء هدأت نفوسنا ، فحملتهم على الفرس وأمسكت الزمام وواصلنا المسير.

واصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة جوارى ، ولأننى قائد عسكرى ذهبت إلى قصر الأمير بنفسى وقلت له " أطال الله حياتك ، إننا فارون ، الأوربيون يتتبعوننا مع برو Barau أمير جوارى وأنت تعلم ما بيننا وبينه ، ولم يبق بيننا إلا مرغما وبالقوة ، ومعروف بين الشجعان ، وقديماً قالوا إن الضرورة هى التى تجعل الإنسان يهادن عدوه ، وهى وحدها التى جعلته يبقى بيننا ، ونخشى أن نطلق سراحه فيذهب إلى مدينة جوارى فيجمع منها الرماة، وينتقم لما فعلناه به فنقع فى حيرة من أمرنا ونكون كمن وقع بين الذئب والنمر أو بين شقى الرحى ، فيهلك بعضنا بعض .

قال الأمير " وهو كذلك يا جنطوكى وما الحيلة الآن ؟"

قلت " الأمر بيدك ، أنت تعرف ما ينبغى أن نفعله، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، لقد تركت لك الأمر فأنت اللحم وأنت والسكين " .

قال " اذهب وأتينى به "

وفى الحال أخذت بعض الفرسان ، وذهبنا إليه ، فوجدناه يصلى العصر ، فأمرت أن يحيطوا به وينهالوا عليه ضرباً وطعناً ، ولكن لم يؤثر فيه شيء من هذا ، فهجمت عليه وأمسكت عنقه ولويته بقوة شديدة قائلاً : "إذا كنت تعرف شيئاً فقد غابت عنك أشياء ، إننى جنطوكى الأسود ، خادم الأمير ! "

ولما عدنا وأخبرنا الأمير ثار غاضبًا لأنه لم يأمرنا ، وقال " لا أحد يفعل هذا إلا أنت يا جنطوكى هكذا تفكيرك دائمًا ، لا تفعل الأمر كما ينبغى" .

وقال بعض الناس ممن لا يدركون الأمور ، إن أهل جوارى بعثوا إلى أمير السودان بكل شيء عن أحول برو، لأنهم يريدون الخلاص منه والنجاة بأنفسهم ،حتى لا يدخل المدينة ويثير فيها الفتنة ، ويصير مصدر الفتن لهم ؛ لذلك دبروا هذه المكيدة له ، ولكنهم يخبطون خبط عشواء ولم يكن الأمر كذلك ، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان مسلمين لله على كل حال !!

وهكذا قضينا يوما فى الطريق وسط الغابة لا نذوق طعامًا ، إلا عندما نحط الرحال ويذهب الفرسان للسلب والنهب ، كان بعضهم يحرق القرية وينهب ما فيها ويبيعون ما سلبوا من حاصلاتهم الزراعية ، وكان البعض يتمكن من الفرار فيذهب المغيرون إلى منازلهم

ويفتشونها، حيث يجدون بعض الدقيق وبقايا الثريد الذى صنع فى اليوم السابق ، فيحملونه إلى أهلهم ليأكلوه .

وهكذا حتى وصلنا إلى فاتيكا ونزلنا فيها ، وكانت مشتعلة بالحرب ، وكانت تحت إمرة الأمير الفولانى محمد تكنير جوارى Muhammadu Tukunyar Gwari وقد نهب جيرانهم تمامًا ، وأثرنا الاضطراب فى مدينة ززو ، مما أثار غضبة أهلها ، لأنهم لم يعرفوا ما ستسفر عنه الأمور ، وأخذ أميرها كواسو Kwasau يدفع بجنوده المزودين بالبنادق إلى فاتيكا ، وتصديك لكل من يريد بك الضر حلال فى نظر الشريعة الإسلامية ، وواجب على كل جائع أن يبحث عما يشبع به معدته هكذا حكم الله .

وأصبح الظاهر أن الحرب مع فاتيكا ، ولكن الواقع أنه كان مع أهل ززو ، ولا شك فى ذلك ، وكان لكل أمير من أمراء كونتا جورا يحلم بقصر فى ززو يعده للإقامة فيه لأى سبب من الأسباب ، فقال أهل ززو " اتركوهم مطرودين ، إنهم لم يصنعوا شيئًا طيبًا يدافعون عنه " ولا تجرى فى عروقهم دماء الشيخ عثمان ، ولم نسمع أنهم حاربوا تحت رايته فكفانا الله شرهم.

وبعد هذا القول أنزل الله البلاء فى معسكرهم ، فأصيبوا بوباء الجدرى ، وصارت القبور فى كل مكان

كأنها خطوط اليام ( يدفن الموتى فى نيجيريا كما يدفنون فى المملكة العربية السعودية وتكون القبور على هيئة خطوط كالتى تعد لزراعة القطن أو اليام ) ، ولولا أن الله أراد أن يبقى على بعض خلقه ما بقى أحد منهم فى المعسكر ، فقد أصيب الشباب بالجدرى ولكن الله ، نجاهم.

كنا نعيش سبعة فى كوخ واحد نعانى من البرد والجوع ولا يسأل الأخ أخاه فى أمر الله ، وكان كل من نجا من هذا الوباء يدرك أن الله هو الشافى ، وأن له وحده الحمد والشكر ، نسأل الله أن ينجينا من كل الفتن ، ويتوفانا على الإيمان ، آمين .

ولما إشتد الأمر غادرنا المدينة وتوجهنا إلى قاى ، وإذا بالحرب قد اشتعلت فيها هى الأخرى ، لقد وقعنا بين شقى الرحا ، وصرنا كمن يفر من الأرض السهلة إلى الأرض الوعرة ، فقد هاجمهم الأوربيون كذلك ، وقد خسر توكرى أمير بكن قايا خسارة كبيرة فى هذه الحرب.
وكان الناس يقولون إذ توسطت الشمس السماء ، تسمع الجن يزغردون فى المدينة ابتهاجًا بالحرب ، ولما أدرك مسك خليل ذلك عمل بالمثل القائل " انج سعد فقد هلك سعيد " أو المثل الهوسوى " إذا رأيت النار قد اشتعلت فى لحية أخيك ، فصب الماء على لحيتك " كما كان الجو

متساوا Gwamutsawa فى حيرة مـــن أمرهــم ولــم يكــن لديهم قائد يقودهم إلى الطريق القويـــم .

ونحن على هـــذا الحـــال مـــن الارتبـــاك ، إذ بـــالأوربيين يصلون ، فكانوا كالسيل الغزير الذى يحطـــم البنيـــان ، ولمـــا إشتد الأمر ، ولم يعد هناك مفر جاءوا وقبضـــوا علـــى أمـــير السودان وتركوا الناس بلا قائد يقودهـــم كـــالأفراخ الصغـــار التى فقدت أمها ، فذهبوا إلى مدينة كـــانو وكتسـينا ، وعـــاد بعضهم إلى كونتا جورا إلـــى الأبـــد ، وأثنـــاء هـــذا الشـــتات ازداد الأمر سوءًا وصـــار مثـــيرو الفتنـــة كالسـمك الكبـــير الذى يلتهم الصغير يعيثون فـــى الأرض فســاداً دون عقـــاب ، ووقع الضعيف فى حـــيرة وارتبـــاك ، فقلـــت " مـــا شـــأن جنطوكى فى ذلك ، إن كل ما يفخر به الإنســـان مـــن أصـــل ومهارة فى الحرب لا ينقصنـــى" ، ووصـــل الأمـــر إلـــى أن يخرج الرجل بجاريته التى لا ابن لـــها، ويبيعـــها فـــى ســـوق الرقيق ويشترى بثمنها ما يقتات بـــه بـــاقى الجـــوارى ، وإذا انتهى ثمنها جاء الدور على جارية أخـــرى ، وقانـــا الله مـــن شر هذا البـــلاء .

وحاول الأوربيون أن يجمعـــوا الفـــارين ويعيدوهـــم إلـــى موطنهم قائلين " لن تنشب الحرب بعد ذلك ، لقـــد كنـــا نريـــد القبض على الأمير فقط " ، أما مـــن تولـــوا المنـــاصب فـــى كونتا جورا فقـــد عـــادوا إلـــى مناصبـــهم واســـتقروا فيـــها ،

وعاش البعــض فـــى مســكا Masaka أو بكــورى Bakori أو روجـــــو Rogo أو جونجـــــون Gwangwan أو ملمفاشـــى Malumfashi أو كتمــا Kutama أو جــــورزو Gwarzo وكثير منهم فى مدينة كـــانو وكتســينا فيمــا عــدا مدينة ززو ، لأن الحـــــرب كانت دائـــرة فيـــها .

وقد طلب بللو الشــقيق الأصغــر للأمــير بعــض الجنــود ليتجه بهم إلـــى كتســينا ثـــم إلـــى كوتــر كوتشـــى وأبرمــا Abrama حيث بايعوه هناك ، وعينوه أمـــيراً ، لذلــك كــان يقال " بللو أمير أبرمـــا"، ومـــن هنـــاك ذهــب برجالـــه إلـــى موطنه.

وفى وشيشى عيـــن عمـــر بـــن إبراهيـــم أمـــير وشيشـــى أميراً، لأن والده اتبع أمير السودان عنـــد القبــض عليــه فـــى قاى ، وكان عمر فى هذا الوقـــت طفـــلاً صغـــيراً ، فجـــاءوا به ونصبوه أمـــيراً ، وعندمـــا هـــم أمـــير الســـودان بالقيـــام برحلته قال أمير وشيشى إنـــه لـــن يـــترك الشـــقيق الأصغـــر لوالده يذهب وحده ، ولابد أن يذهبـــا معـــاً ، وليكـــن قدرهمـــا واحدًا ، وحاول الأمير منعه من مرافقته ولكنـــــه أبـــى ؛ فلمـــا وصلوا إلى ززو ، جاء أميرهـــا كواســـو Kwasau واســـتقبل أمير السودان ، ثم عاتبه عما فعله فى إمارتـــه ، فـــهب أمـــير السودان كالأسد ، فتدخـــل ميجمنـــا Maijimna قـــائلاً " مـــا

هكذا يفعل الكبار " فأخذوا يهدئون مــن روع أمــير الســودان حتى هـدأ .

وواصل الأوربيــون الســير إلــى يولــى وأخــذوا أمــير السودان معهم ، وأثناء هذه الرحلة عانوا كثــيراً مــن غضبــه والأمور العجيبة والخارقة للعــادة التــى كــان يــأتى بــها ؛ فكانوا إذا سجنوه فى كوخ من الصاج وأغلقــوا عليــه البــاب، يرونه فجأة خارج الكوخ يصلى ، والبــاب مغلــق كمــا كــان يحرسه الجنود والشرطة ، وإذا ذهبــوا إلــى النــهر وهمــوا بعبوره، يرفــض ركــوب المركــب ، فــيركبون ويتركونــه على الشاطئ فإذا وصلوا إلى الشاطىء المقــابل وجـدوه فــى انتظارهم ، وإذا غضب أخــرج لســانه ولفــه حــول رأســه كالعمامة ، أو يمد رجله فتصــل إلــى حــائط الحجــرة التــى يجلس فيها، وإذا خفــت ثورتــه أعــاد رجلــه إلــى حالتــها فتصير كرجله الأخرى ، أو يســتدعى الطيــور مــن الغابــة فيمسكها ويلعب معها ، وإذا تعب من اللعــب أطلــق ســراحها فتطير لشأنها ، فلما أعيتهم حيلــه وأعمالــه الخارقــة كتمــوا السر فى قلوبــهم وأعــادوه إلــى موطنــه وولــوه الســلطة مرغميـن .

هكذا خص الله أمــير الســودان بــالثروة والنصــر منــذ نشأته ؛ فهو لا يخشى ما يخشــاه النــاس جميعًــا ، ويركــب الصعب الذى يفر منه جميع الناس ، وفــى الخــير والصــبر

لا حدود له كالأرض الطيبة ، وفى الشـجاعة كأنـه عنـترة ، منذ أن خلقنى الله لم أر أبداً أميراً متواضعـاً مثلـه ، ينتصـر دائماً على أعدائه ، إذا رأيته يركـب الحصـان قـام بألعـاب بهلوانية لا يصدقها إلا من يراها بعينه ، ويسـتوى فـى ذلـك أى حصان يركبه ، وأعجب ما فى الأمر مـا يـراه الإنسـان إذا غضب أو ضاق صـدره بعـدوه فيـأخذ درعـه ورمحـه وثيابه الحربية وخوذتـه الحديديـة ، ويـهجم عليـهم ، فـإذا رأيته يحصد الـرؤوس ظننـت أنـه ليـس إنسـاناً ،وإنمـا عفريت من الجن ، ولم يصل إلـى هـذه الدرجـة إلا ببركـة والديه وأجداده ؛ لأنه ليس بينـه وبيـن الشـيخ عثمـان بـن فوديو إلا جدين اثنين فقـط .

قلت " لقد رأيت كيف انتهت الحرب مـع هـؤلاء ، وعلـىّ أن أبحث عن حـروب الجـن حتـى يعلـم الخلـق جميعـاً أمـرى".

وبينما كنت أتجول فى مدينة كتسـينا قلـت لخـادمى إنـدا غانا " الأفضـل لـى أن أذهـب الآن إلـى سـكوتو لزيـارة أقاربى المقيمين هناك وقبر الشيخ عثمان بـن فوديـو "؛فقـال "لا ، لن أذهـب "

وبينما كنت أستعد للرحيـل سـمعت أن الحـرب اشـتعلت فى سكوتو ، فقد أصابها مـا أصـاب البـلاد الأخـرى، وأن أمير المؤمنين عزم على الذهاب إلى حـج بيـت الله الحـرام،

ولا فائدة من البقاء فى هذه البلاد ، وقلت لإندا غانا : الأفضل أن نتبع القوافل المتجهة إلى حج البيت،لأنه ليس لنا حرفة إلا القتال ، وقد كسدت حرفتنا فى هذه البلاد ، ولكن الخادم أصر على الذهاب إلى زاريا حتى يلتحق بجيش الأوربيين فى غانا .

لم يدهشنى هذا منه لأنه فارق والديه من زمن طويل وهو غلام صغير ، واعتاد الفواحش والأخلاق السيئة ، ولن يصلحه إلا الله ، وجذب حصيرته والحواية التى يستعملها الحمال ، وصبغ نفسه بصبغة سوداء فصار شديد السواد ، وعلق حقيبة لاعبى القمار فى وسطه ، وهو يقول " أنا حر ، أستطيع أن أذهب حيث أريد ومتى أريد كما يفعل قطيع الحاكم " ، ثم التفت إلى قائلا " أما أنت فلن تترك تهورك وجهلك ، عجوز أبله ، على الرغم من شيخوختك ما زلت تلقى بنفسك إلى الهلاك ، لا حديث لك إلا عن الحرب كأنك عنترة ، أسأل الله أن يهدى المتهور " .

فوضعت يدى على خدى وجلست أحدق فيه بنظرى ، وأتذكر المتاعب التى اجتزناها معاً فى الطريق ، وكيف ربيته ، وأدركت أن الإنسان ليس له ولاية على غير أبنائه ، وكاد جربا جاجرى أن يرد عليه ، وتنشب معركة بينهما ولكننى منعته ، وهكذا فارقنا إندا غانا بسلام .

بعد ذلك أخذت أتحايل طلبـــاً للـــرزق ، فاشـــتريت لجربـــا جاجرى حذاء من جلد البقر الوحشـــى ، وقرعـــة مـــن المـــاء وكثيراً من الدقيـــق المحمـــر مـلء الإنـــاء وقدمتـــه إليـــه ، وطلبت من أمه ، أى زوجتـــى أن تســتعد للرحيـــل ، فقـــالت " أهكذا أظل أتتنقل مـــن مكـــان لآخـــر ، لـــن أذهـــب معـــك وسأظل هنا وحدى ، سأصنع الـــثريد وأبيعـــه وأعتمـــد علـــى نفســى " .

تضايقت مما قالته زوجتى ، وتحيرت فـــى أمـــرى فقـــال جربا جاجرى " هيا يا والدى نرحل وســـنلتقى بـــها إذا كتـــب الله لنا اللقاء "، ثم التفت إلـــى والدتـــه قـــائلاً " وإذا لـــم نلتـــق أسال الله أن تغفرى لنـــا " .

وشعرت بعزيمتى تقوى ، فقلت " حسناً فعلـــت يـــا جربـــا، إنك رجل عظيم ، وسيسمع العالم اســـمينا بفضـــل الله".

قال يا أبتى ، لا يضر الإنســـان فـــى هـــذه الحيـــاة إلا أن يموت ولا يسمع الناس عنه شـــيئاً ".

قلت " حقا ما تقول ، لابد أن يســـمع كـــل إنســـان أخبارنـــا بـــإذن الله " .

أخذت السلاح وكتيب الأوراد ، وحملـــت ســـيفى بربـــرا ، وأخذ جربـــا ســـلاحه ومتاعنـــا وســـيفه الطويـــل ، والتحقنـــا بإحدى الفرق العســـكرية .

ومرت الأيام حتى وصلنا إلى جبل بيما Bima فى إمارة جومبى Gwambe ، حيث التقينا بالأوربيين الذين هجموا علينا وفرقوا جماعتنا ، لقد رأينا الجحيم فى هذا الهجوم ؛ فقد كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا كالطير، ورأيت جربا الذى لا يبالى بالشدائد يصرخ من هول المعركة ؛ فأخذت سلتى وركعت على ركبتى وبدأت أمارس هوايتى قائلاً " ألم تعرفوا من أنا ؟ ألا تخافوننى ، إننى جنطوكى " ؟

فلما قلت ذلك رأيتهم يولون الأدبار قائلين " لقد سد علينا الطريق هذا الرجل المغوار ، إننا نعلم أنه لا يستطيع هذا العمل سواه " .

أحس جربا بعد ذلك أننى تعبت ، فتشجع واخترق صفوفهم بسيفه بربرا ، وأخذ يحصد رؤوسهم كما يحصد الدخن ؛ فوقفت أنظر إليه ، أنشده أنشودة النصر .

فلما أقبل الليل وليس فى المعركة إلا نحن الاثنين ، صعدنا إلى جبلٍ عالٍ ، ودخلنا أحد الكهوف وجلسنا فيه على مرأى من المارين ، وأخذت أنظر إلى الخارج وأصلى على الرسول ، ولولا سلاحنا ما نجونا من شىء، ولم نعرف ما وقع لجماعتنا منذ فارقناهم .

ولما طلع النهار خرجنا نتجول على ظهر الجبل ، وتركت جربا جاجرى عند الكهف ، وذهبت أبحث عن الطعام ، ولما ذهبت جاء جماعة من الرجال كالنمل ، سود الوجه ، مدججين بالحراب ، أحاطوا به، انهالوا عليه بالحراب من كل مكان فأخذ يرد طعناتهم وهو يقول " أنا لا أعيش من أجلكم " إننى الأسود بن جنطوكى أيها الوثنيون ألا تعرفون جربا الشجاع ؟ " وبعد أن فتك بهم جميعاً عاد وجلس حيث كان ، وهو مضطرب الأنفاس من شدة الجوع والتعب .

عندما عدت إلى الكهف وجدت الجثث فوق بعضها فاشتد غضبى وقلت " سبحان الله ، هذه إرادة الله يا جربا" عدت فوجدت الولد يتنفس بصعوبة ، فقمت وغسلت وجهه ، وقدمت إليه الماء فشرب ، حتى أحسست به يتنهد، ولما فتح عينيه ورآنى حمد الله ، ففحصت جسده كله فلم أجد فيه جرحاً واحداً ، ونظرت إلى ساعده الأيمن فوجدت التميمة الواقية من الأخطار ، فقلت " أحسنت صنعا يا جربا إن من حملتك على ظهرها لم تحمل إلا بطلاً ( من عادة النساء فى غرب أفريقيا أن يحملن أطفالهن على ظهورهن ، وتلف رجلية حول وسطها حتى يصل قدم الطفل إلى بطن الأم فتلف ملاءة حول وسطها فتحتويها هى وطفلها ) ، ولد واحد شجاع ، يلتهم عشرة رجال فى كل صباح كما يلتهم الطعام ، خير من عشرات

الجبناء" وقدمت إليه الطعام الذى جئت به من الغابة فأكله، وأحضرت الثقاب وأشعلت النار وشويت الدخن وجلسنا نأكل ونشرب الماء ، ثم تيممنا وصلينا ، وتناولت كتيب الأوراد ، وقرأت وردى وسألت الله حاجتى ، قال جربا جاجرى : آمين ، ثم مسحنا وجهنا بأيدينا .

بعد ذلك اضجعنا لنرتاج ؛ فغلبنا النوم ، فلما استيقظنا أحسسنا بمن يضغط علينا ، فلم يستطع أحدنا التنفس أو الكلام ، ثم طار بنا بين السماء والأرض ، ولم ننزل إلا على جزيرة سيلان فى بلاد الهند ، وإذا بنا أمام ملك لا مثيل له فى الجمال والملك ، ورأينا مخلوقات ليس لها وجوه البشر ، ثم سمعتهم يقولون سلاما ، جيتاما .

فقال " وعليكم " .

لقد كان هؤلاء الجنود الذين حاربهم جربا جاجرى ، عندما ذهبوا للصيد فى الغابة ، بعثهم هذا الأمير الذى نقف أمامه عندما سمع عن الخسائر التى ألحقها بهم جربا جاجرى ، بعث جيتاما ليأتى بنا ، وإذا كان هذا الجن يشبههم إلا أنه هو الذى يأتى فى صورة الإنس ليلاً ويضغط على صدر الإنسان حتى لا يستطيع التنفس ، وهكذا يفعل بالصيادين فى الماء والأطفال الذين يستحمون فى البحر ، وهذا ما يفعله جيتاما .

عندما أفقنا سألنا هذا الملك عن أخبارنـــا ، فأخبرنـــاه بكــل شيء منذ البداية حتى النهاية ، فلما شعر بما لنـــا عفـــا عنـــا ، وقال " هؤلاء يمكن إدخـــارهم لوقـــت الشـــدائد " فعشـــنا فـــى قصره معززيـــن مكرميـــن ، وذات يـــوم رأيـــت ابنـــة هـــذا الملك، فقلت لا أشتهى فى هــــذه الحيـــاة إلا الـــزواج منـــها ، وكان هذا شعورنا فقالت لا تريد أحداً ســـواى ، فقـــال أبوهـــا " لا تملكين هذا كيف أزوج ابنتي مـــن إنســـى " .

وجمع رجاله واستشارهم فى هـــذا الأمـــر ، فقـــالوا "هـــذا رجل مثير للفتنة وعنده ابـــن كالشـــيطان يســـتطيع وحـــده أن يثير الفتنة فى هذه المدينـــــة ، وإذا قلـــت إنـــك لـــن تزوجـــه سيقضى علينا ، ويتزوجها بالقوة ، ويقتلــــك ويســـتولى علـــى مملكتك ، ويعين ابنه حاكماً ويصير باقى رجـــالك عبيـــداً لـــه، وقد يأتى اليوم الذى يجمع فيه ثـــروات هـــذه المدينـــة ويعـــود بها إلى وطنـــه " .

قال " هذا الكلام لا ريب فيـــــه أيـــها الوزيـــر ، هـــذا مـــا يمكن أن يحدث ، فما العمـــــل ؟ "

" قل إنك ستزوجه ، وإنك لا تريد مـــــهرها مـــالا ، ولكـــن يأتى لك برأس درنجن همبامـــا فيذهـــب إليـــه حيـــث يقضـــى عليه ونرتاح من شره ، ولا تدع إبنـــه يذهـــب معـــه حتـــى لا يجتمعان ، ونحن على يقين أنه لـــن يقـــدر عليـــه إنســـى ولا جنى ولا يســـــتطيع مخلـــوق أن ينازلـــه العـــداء " ( درجـــن

همباما لا يملأ فمه رجل واحد من البشر ، لا يستطيع الحصان أن يحمله ، لا يحمله إلا ذكر الفيل، ويصنع رمحه من جذع النخيل ، ولهذا يمدحونه بقولهم " ربكو زوج أمينة ، قتاله أمر مخيف " .

عندما ذهب جرجا جاجرى للصيد مع الأولاد كما تعود، وكما وجدوه على ظهر جبل بيما ، ناداني الأمير وقال لى كل ما اتفقوا عليه ؛ فقلت له " وهو كذلك ، وسآتى برأسه بإذن الله ، ليس الجبن من شيم الرجال ".

حينما يذهب الإنسان لا يعدم الحبيب والعدو ، وودع كل أحبابى عائلاتهم وركبوا خيولهم واتبعونى ، قائلين " كل ما يصيب جنطوكي يصيبينا معه " ، وواصلنا السير حتى سفح جبلٍ عالٍ ، فنزلت مع رفاقى من الجن لنستريح ثم تركتهم وصعدت الجبل ، فلما وصلت قمته رأيت كهفا، لم أنتظر لحظة ودخلته ، فرأيت شخصاً عجوزاً قضى فى الكهف مائة وخمسين عاما ، رفع هذا العجوز رأسه وقال لى " أنت إنس أم جن ؟ "

قلت " إنس مسلم تماماً ، تيجانى الطريقة ، من أهل السودان "، وأخبرته بكل ما جاء بى إلى هذا المكان ، ولم أخفِ عنه شيئاً منذ البداية حتى النهاية .

قال العجوز " ويحك أيها الرجل ، لقــد وقعــت فــى شــر أعمالك ، وأوقعت نفسك فى الـــهلاك ، هــذا الأمــر لا يقــدر عليه أحد حتى ولو كان جنطوكى القـــائد العســكرى".

عندما ســمعت ذلــك ، طأطــأت رأســى ، وقلــت " هــل شهرتى وصلت إلى كــل مكــان " ، ثــم تــرك هــذا الأمــر ليستمع إلى قصتى كلـــها ، ثــم غــيرت موضـــوع الحديــث وقلت " أيها العجوز ماذا تعبـــد ؟ "

قال " الشــمس " .

قلت " ويحــك " .

فقال " ايها الصبى ألا تحـــترم شــيخوختى ؟ "

" أى احترام لرجل كافر مثلــك؟ اعبــد الله الملــك ، الــذى خلق الشمس والقمر ، والنجـــوم والســماوات والأرض ، هــو الملك الذى خلق كل شـــىء مــا تــرى ومــا لا تــرى ، وإذا رفضت ، سأقطع رأسك الآن ، وأعجـــل بــك إلـــى النـــار "، فأسلم الشيخ فى الحـــال.

بدأت أحس بلذة الحيـــاة ، ولا ســيما بعــد أن أدركــت أن هذا الكـــهل يخشـــى مـــن المــوت ، وأن بعــض الرجــال لا يساوون النساء ، قال العجوز " دعنى أســـاعدك بمــا ورثتــه عن أجدادى الذين عاصروا النبـــى إبراهيــم ".

وجاءنى بعصا غليظة ، وقدمها إليّ وقال " لو ضربت بهذا الصخر لانفلق مهما كان حجمه ، وهاك سيف شافو تستطيع أن تقطع به ما أردت ، ومهما كان، الجن قوياً يتبعك ، هاك العصا إذا هززتها ، تصدر صوتاً كالرعد ، وينبعث منها ألسنة اللهب التى تقتل كل إنسان".

أخذتها وشكرته ، وودعنا بعضنا وخرجت أقول فى نفسى " الله قادر على كل شيء ، فعال لما يريد " .

عندما نزلت ، قال لى رفاقى " لماذا غبت هكذا ، فذكرت لهم كل شيء . ثم قمنا وتوجهنا إلى درنجن همباما ، وأثناء الرحلة التقينا بفارس يلبس لباس الحرب ، لا تستطيع أن ترى من خلالها عينه ، تتدلى منها تمائم كبيرة الحجم ؛ فظنناه درنجن همباما فقلت له " من أنت ؟ إنس أم جن ؟ "

ونشب بيننا قتال مرير ، وأخذ يحصد رفاقى حصدا حتى تفرقوا جميعاً من حولى ، ولم يبق فى الميدان سواى، فنازلته منذ الصباح حتى الظهر ، حتى غضبت وأمسكته من كتفه بشدة فصرخ صرخة شديدة وكشف عينيه ففوجئت بأنه ابنى جربا جاجرى ، عندما سمع ما أصابنا ركب حصانه وخرج ليساعدنى ، ولما التقينا أخفى وجهه وتنكر .

قلت " جربتى ، لماذا فعلت ذلـــك ؟ "

فقال " لتعرف أنك أنجبـــت بطـــلاً صغـــيراً ، ولتـــذق مـــا يذوقه الرجال معنا فى ميادين القتال، ولتعـــرف أننـــا نســـتطيع أن نقضى علـــى أى مخلـــوق ولـــو كـــان درنجـــن همبامـــا، نقضى عليه في يوم واحـــد ".

" إننى أعرف أن ذلـــك الشـــبل مـــن ذاك الأســـد " ، منـــذ البداية أدركت أن هذه الشجاعة لا تظـــهر إلا فـــى ســـلالتى ، لا يستطيع أحد أن يصاب برمـــح مـــن رمـــاحى ويتحملـــه ، لذلك طلبت أن تكشف وجهك حتى لا أضـــر نفســـى " .

تبادلنا التحية ، وقصصت عليـــه كـــل أخبـــارى ، وقلـــت " لماذا اتبعتنى ؟ وكيف علمت مكـــانى ؟ "

قال " جئت لنموت معًـــا "

بعد ذلك رأى همباما غبار خيولنـــا ، فـــأمر أولاده قـــائلا " اذهبوا واخطفوا لى هذا الكتكوت ، لعلى أجد ما أفطـــر بـــه".
وعند وصولهم إلـــىّ حدقـــت بعينـــى فـــى كبـــيرهم ، ثـــم ضربته بعصاى الغليظة التى قدمـــها إلـــىّ الشـــيخ العجـــوز ، فوقع مغشيا عليه ؛ فقلت لجربا جـــاجرى " انـــزل ، واربطـــه " فقيده بالسلاسل ، ثم قصدنـــا غـــيره وهكـــذا قيدنـــا أربعـــة منهم ، وهرب واحـــد ، ووصـــل إلـــى أبيـــه يلـــهث ، كـــأن

روحه ستفارق جسده ، وقص عليه كل ما حدث ، فلما سمع ذلك غضب ، واقتلع شجرة نخيل ، وتوجه للقائنا ، ولما وصل هجم على جربا جاجرى وأمسكه بيده اليسرى ألقاه على الأرض ، فدفعت الحصان والتويت به فأصاب جزع الشجرة أردافه ، فانكسر جزؤه السفلى وسقطنا فى ناحية واحدة ، فنطقت بكلمة الشهادة ، وهجمت عليه هجوم الفدائى ، وضربته بالعصا الغليظة فى ساقه ؛ فانبعث منها صوت الرعد ، واشتعلت النار فى جسده ، ووضعته مع أولاده فى سلسلة واحدة وربطتهم جميعاً ، ودعوت وبصقت على رجله فخمدت النار .

عندما أفاق جربا جاجرى ، ورأى ما فعلت قال "قائد عسكرى بارع ، الويل لمن ينازلك " .

سقناهم أمامنا حتى مدينتهم ، فعم المدينة كلها الصراخ والصياح ، لأن هذا الأمر لم يتوقعه أحد ، لذلك كان الناس يقولون "معظم النار من مستصغر الشرر "، وها أنا أصل إلى قصر همباما وأعتلى كرسيه آمر وأنهى ، وأمرت أن يأتونى بأولاده وبأمراء المدينة ، وقلت لهم " إذا أسلمتم تركتكم ، وإذا رفضتم الإسلام قتلتكم الآن فوراً، وألقيت جثثكم للكلاب " .

ردوا قائلين " سمعاً وطاعة ، أطال الله حياة الأمير، أسلمنا واتبعنا الله ورسوله ، واتبعناك يا أمير المؤمنين ".

أمرت بفك وثاقهم ، ودخلنا قصر همباما ، فرأيت الخزائن الكبيرة المتنوعة والثروة التى لا نهاية لها ، ولم أر شيئاً إلا ويوجد فى هذا القصر ، ودخلت إحدى الحجرات فوجدت عشرة رجال سمان مقيدين، وعلمت أنهم طعام همباما ، يذبح له كل يوم اثنان منهما ، يأتى غيرهم قبل أن ينتهوا ، فمددت يدى وأطلقت سراحهم جميعاً ، ففرحوا كأن الله قد غفر لهم ذنوبهم ، وفى الحال أعلنوا إسلامهم . ونظرت فى حجرة أخرى ، فرأيت فتاة، يضىء وجهها ظلمات الحجرة، لشدة جمالها ، كأنه نور الصبح ، يتدلى شعرها على كتفيها، عنقها كعنق الغزال ، عيناها البيضاوان كأنه اللبن ، عند رؤيتها غضبت ، وفارقنى الشعور بالرحمة ، وقلت "يا همباما ابنة من هذه؟"

قال " ابنة الشيخ طلحة، الذى طرده الأوربيون من سكوتو، إنها أوربية : فتاة جاءونى بها من بلاد السودان ، بينهم وبين سكوتو مسافة لا تزيد على مسيرة شهر " .

" هل قربت منها " ؟

قام وركع قائلاً " أقسم بالله والدين الذى تعتنقه ، لا أحبها ولا يحبها أحد من الإنس أو الجن ، وقامت الفتاة وحيتنى بنفسها وهى تبكى .

فقلت لها " دعى البكاء ستعودين إلى وطنك بإذن الله ، إنى أنوى العودة إلى سكوتو ، ومن هناك سأذهب إلى كونتا جورا " .

عندما سمعت ذلك قالت " هم أيضاً إخواننا على حسب ما سمعت ، لأن أصلنا واحد " .

قلت " هو كذلك " .

بعد ذلك أمرت أن تقام الأفراح فى المدينة وتعد موائد الطعام ، فقد استقر الدين في هذه المدينة .

وقلت سأحمل هذه الفتاة إلى مدينتهم اليوم ، بإذن الله ، وطلبت مائة حصان يتبعونى ، فقال همباما " لنذهب معاً".

" قلت لا ، احرس أنت المدينة ، لأننا لا نعرف ماذا ستخلف لنا الأيام ، وإذا رآك والد هذه الفتاة، سيقتلك " .

ضحك همباما وقال " أطال الله حياة الأمير ، إذا أعطيتهم قدمى ماذا سيفعلون بها " .

قلت " أحرس أنت المدينة " .

قال " سمعا وطاعة ، أسأل الله أن يعيدك سالماً ، آمين".

ثم قلت لجربا جــاجرى ، أن يذهــب بــهم إلــى آبائــهم، فقاموا جميعاً وعادوا إلى المدينة ، ونعمـــت المدينــة بالحيــاة السـعيدة .

ثم قمت وذهبت بالفتاة ومعى حصــــان ، وأثنــاء الطريــق رأيت الغبار يرتفع بكثافة حتي ملأ الفضـــاء العلــوى؛ فقلــت لأحد الفرسان " اذهب وانظر مــــاذا هنــاك " ؛ فــأخذ يســير على مهل حتى وصــل ، وعــاد يقــول " بعــض المحــاربين عددهـــم ضعفنـــا أو ثلاثـــة أضعافنـــا ، ذاهبــون لمحاربـــة همبامـل".

قلت " أنزلوا واستعدوا ، فقد حـــدث المطلــوب ".

اقــترب الرجـــال ، والتقـــى المتقـــاتلون ، وحــدث الكـــر والفر، وأخذ كل ينظر إلى أخيه ، فنزلت إلـــى الميـــدان أكـــبر وأفخر قائلاً " أين المقـــاتل ، الجبـــان لا يخــرج ، لا يخـــرج إلا من يثق فـــى نفســـه ! " " أقــول ذلــك وأضـــرب الأرض بالعصا التى قدمـــها إلـــيّ الرجــل العجــوز ، فصـــدر منـــها صوت كالرعد، وأخذت أقتل كل من يخـــرج ، وقبــل صـــلاة الظهر قتلت تسعين رجلاً ، ودقت طبـــول التســليم وانســحبوا فجمعت رجالى وأممتهم وأديـــت الصـــلاة .

بكت الفتاة كثيراً ظناً منها أنـــهم ســيقتلوننى ، لقـــد كنـــت مرهقاً وكان حصانى متعبـــاً ، وأجســـامنا تؤلمنـــا مـــن شـــدة

التعب والجوع ، قلت لها " كفى عن البكاء ، ولا تخشين شيئاً ، غداً سننتصر عليهم فى الصباح بإذن الله " .

قالت " أيها القائد إذا هلكت أنت هلكنا معك ، ووقعنا فى أيدى الكفار " .

قلت " إن الله معنا ، ومن يعتمد عليه لا يخيب فى الدنيا والآخرة " .

لقد كان من أفراد العدو شخص سودانى ، فى معسكرنا، وسمع كل ما قلنا ، والآراء التى تبادلناها ، فعاد وأخبر قائدهم بما سمع ، فلما سمعونا نذكر الله ، همدت كل أجسامهم ، وقضيت الليل أتلو وردى وأسأل الله أن يعيننا على العدو ، ولما طلع الصباح جاءوا إلى ميدان القتال، فكبرت وكان الله قد استجاب لدعائى ، فأنزلوا أعلامهم ، وسألونى ماذا كنت أقرأ فى الليلة السابقة ، وماذا أعبد ، وما منعنى من النوم ليلاً غير القراءة ؛ فأخبرتهم بكل شىء وفى الحال أسلموا ؛ فأمرتهم أن يذهبوا إلى درنجن همباما حتى أعود ، فإذا رأوا أنه سيهجم عليهم ليقتلهم ، ينطقون أمامه بكلمة الشهادة ، فإذا سمعهم لن يمسهم فقالوا سمعاً وطاعة .

عندما رآهم درنجن همباما من بعيد اقتلـــع شــجرة نخيـل الزيت وقصدهم فرفعوا صوتهم مرة واحــدة بكلمــة الشــهادة، فتراجع إلى الوراء ووقـــف يخـــرج لســانه ويلعــق لعابــه ، وسألهم سبب إسلامهم ، فقصـــوا عليــه القصــة كلــها ولــم يخفوا شيئاً عنه ، فقال " إنه جنطوكى القـــائد العســكرى والــد جربا " وأمر أن يذهبوا جميعـــاً إلـــى قصــره ، وبـــالغ فـــى إكرامهم ، وصاروا أخوة كأن أباهم واحـــد وأمـــهم واحــدة ، ببركة الإســلام .

ولما عاد جربا جاجرى إلى جيتامـــا وأخـــبره بمـــا حــدث لهمباما ، أصابه الرعب وقـــال " إن لــم نتحــايل علـــى هـــذا الرجل ونقضى عليه ، سيقتلنى ويسلب الملك منـــــى بـــالقوة".

ثم قال جربا " سمعت أن لك أمـــاً " .

قال جربا " نعم هى فى بـــلاد الســـودان " .

قال الملك " سنبعث معك عفريتـــا ليحملـــك إلـــى الســـودان الآن لتأتينا بها ، ونذهب معاً إلـــى أبيـــك " .

وظهر حنين الابن إلـــى أمـــه ، أخـــذه العفريـــت ، وفـــى طرفة عين ، عاد بـــــها ، ووضعوهـــا أمـــام الملـــك ، ولمـــا أفاقوا قصوا عليه أخبارهم ، لقد كان الملـــك يريـــد مـــن هـــذا العفريب أن يقضى عليهما هناك ، ولكن الله لـــم يـــرد ذلـــك ، وفى الحال أمر عفريتـــاً أن يقطـــع رأس الأم .

أما جربا جاجرى فقد ورث عنى كل الشجاعة؛ فقد أشبعته طعاماً وماء وإلى جانب ذلك يحمل تميمة تصد عنه كل الأخطار ، فقد صار لهم كالعظمة فى الحلقوم ، فكلما دبروا له مكيدة للقضاء عليه، نصره الله عليهم ، وأخيراً استعمل التميمة التى تخفيه عن الأنظار وجاء إلى.

أما الشيخ طلحة فقد بحث عن ابنته فى كل مكان بعد أن خطفها الجن ، ولكنه لم يجد لها أثراً ، فغضب غضباً شديدا ، وكانت كإنسان عينه ، لا يريد أحداً أن يمسها ، وبعث بأربعة رجال ، أحدهم إلى الشرق ، والثانى إلى الغرب ، والثالث إلى الجنوب والرابع إلى الشمال ، وطلب من كل منهم ألا يعود إلا إذا رآها ، ومن يعود بدونها سيقتله .

وكيف عثر عليها همباما ؟ لقد خرجت مع جاريتها إلى حفلة عرس ، فتوقفت عند النهر لتستحم فخطفها الجن .

عندما اقتربت من المدينة رآنا جماعة من الناس ، فبعث كبيرهم من يستطلع أخبارنا ، فعاد إليه الرسول قائلاً " إنهم عائدون بجوريا ابنة الشيخ طلحة " ؛ فلما سمعوا ذلك نزلوا من فوق ظهور خيولهم وساروا حتى وصلوا إلينا ، وذلك تعظيماً واحتراماً لسيدتهم ، فتبادلنا التحية وذكرت لهم أخبارى ، وتقدم كبيرهم إلى السيد

وقص عليها الحال الذى وصل إليه بعد فقدها، وقصت عليه بدورها ما فعلت مع الجن الذى خطفها ، وما أبديته من شجاعة نادرة ، ووفائى وأمانتى وصدق إسلامى ؛ فالتفت إلىّ هذا الخادم قائلاً " أرجوك أن تدعنى أحمل هذا الخبر السار إلى سيدى ، حتى أحصل على الأجر الذى أرجوه " .

قلت " لك ما تريد " .

ذهب إلى الأمير وقال له " أطال الله حياتك ، بشراك".

فقال الأمير " خيراً سأعطيك ما تريد " .

قال الخادم " لقد عادت جوريا " ، وقص عليه أخبارها وكل ما حدث .

وفى الحال أغدق عليه بأكثر مما كان يتوقع ، وجاءت أمها بألف دينار وقدمتها إليه ، ثم ركبوا وقابلونا، وعم الفرح كل أنحاء المدينة.

قال الأمير " كل من يحبنى يثبت ذلك بما يقدمه إلى جنطوكى من خير ، وهكذا لم تنقطع الخيرات التى أخذت تنهال علىّ لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً.

وهكذا عشت بينهم فترة أستمتع بالحياة ، وذات يوم ، رأيت غباراً قادماً من جهة الشرق ، فبعثت من يستطلع

الأخبار ، فإذا بجربا جاجرى قد خرج يبحث عنى، وأخذ يحارب كل من يعتدى عليه فى الطريق وينتصر عليه حتى جمع حوله جماعة كبيرة يشد بهم أزره . " ابن جنطوكى يتحرك كالعفريت " أمر أن يأتونى به ، ولما التقيت به قص علىّ كل ما حدث بينه وبين الجن ، وكل ما حدث لوالدته .

وبعد أن أنقشع الغبار ، قالت جوريا ابنة الأمير لأبيها " يا أبتى إذا أردت خيراً ، زوجتنى هذا الرجل ، وأبقه معنا فى هذه المدينة ، فإن فراقه خسارة كبرى لنا ، فهو محارب ماهر ، وعالم فاضل ، وتقى ورع ، لا ينقصه أى صفة من صفات الإنسان الكامل .

قال الأب " لك كل ما تريدين ، فهو كما تقولين ، ولكن أحد الأمراء الكبار يريدك زوجة له ، وتسلمت المهر منه، فما العمل الآن ؟ "

جاءت الفتاة إلىّ ، وأخبرتنى بما فعله هذا الأمير مع أبيها فتوجهت إلى أبيها وحدثته فى الأمر ، فلما أحسست أن والدها تحير فى أمره ، خشيت هذا الأمير ، ولعدم استطاعته رد ما أخذه من مهر الفتاة قلت له " إذا كان ما يحيرك أمر المال فسأرد إليه كل ما أخذته منه من مال وهدايا وصداق بإذن الله ،وإذا كنت تخشى من فتنة تحدث

فى المدينة ، لقــــد حـــاربت الأوربييـــن والجـــن فمـــا بـــالك بالرجل الأسود ، لـــو تركـــت لـــه هـــذا الغـــلام الصغـــير ، جربا، لكفاك من كل شر فى هـــذه الحيـــاة " .

قال الأمـــير " لـــم أقبـــض صداقـــها مـــالاً ، ولكنـــه رأس كورنجو " ، لقد قال الأمير ذلـــك لأنـــه يعتقـــد أن هـــذا أمـــر عسير على أى إنسان فى المدينـــــة .

فقلت له ، أعطنـــــى عـــدداً قليـــلاً مـــن الرجـــال يحمـــون ظهرى ، وخرجت وعسكرت وكتبت إليه هـــــذه الرســـالة .

" من القائد العسكرى جنطوكـــــى ، تحيـــة إلـــى كرونجـــو القائد الفاسد وليـــس القـــائد المـــاهر ، أنصحـــك أن تسـلم لله لتنجو من عذاب ســـيفى واويلـــو ، وعـــذاب الله ، ولأتركـــك فى أمان الله ، ودع الفتنة نائمة ،وإذا كان الغـــــرور قـــد مـــلأ صدرك ، وخدعك الناس ، سيشرب الكلـــــب مـــن دمـــك الآن، وتندم حين لا ينفع النـــــدم " .

وطويت الرسالة ولم يستطيع أحـــــد حملـــها إليـــه ، فتقـــدم إلى جربا جـــاجرى الـــذى لا يخشـــى المـــوت ، وقـــال إنـــه سيحملها إليه بنفسه ، وأخذها وتوجـــــه إليـــه ، ولمـــا وصـــل إليه سمحوا لـــــه بـــالدخول ، فقـــدم إليـــه الرســـالة ، وقرأهـــا كرونجو وأحس بما فيها ، واحمرت عيناه مـــــن شـــدة الغيـــظ ومزق الرسالة وقال لجنوده " اضربـــوا هـــذا الرســـول حتـــى يموت ".

عندما سمع جربا جاجرى ذلــــك ، قــام مســرعًا وركــب حصانه واستل سيفه ، ودخل منازلـــــهم ، وأخــذت رؤوســـهم تتهاوى فى جميع أنحاء المدينــــة كمـــا تتــهاوى الثمـــار مـــن أعلى الأشجار. وشق طريقه بين رؤوســـــهم بصعوبــة وعـــاد وقص علىّ خــبرهم .

فقلت هذا أمر خطير ، وفى الحـــال بعثـــت برســول إلـــى همباما ، ليأتى مسرعًا بكل أبنائه، فقــد حــدث مـــا توقعــت ، وفى لمح البصر وصلوا جميعًـــا ، فلمـــا رأى رجـــال طلحـــة همباما وأولاده وقعـــوا مغشــيًا عليـــهم ، وخرجنـــا وتوجـــهنا إلى قصر الأمير ، فلما رأتهم الفتـــــاة انقلبــت علـــى وجهـــها وأخذت تبكى بكاء شديداً ، ظنــاً منـــها أنـــهم جـــاءوا ليقتلـــوا حبيبها .

عندما وصلنا إلى مدينة كورنجو بدأ القتــــال فـــى الحـــال ، اندفع همباما وخطف فارساً من الكفار ، وســـــلمه إلـــى أبنائـــه قائلاً لهم " بسرعة اشوه لى فى وسط الميدان حتـــى أجـــد مـــا آكله ، ولكنه لم ينتظر حتى يشوى علــــى النـــار ، ومـــد يـــده وقطع رأسه وأخذ يأكل لحم العنق كمـــا يـــأكل كـــوز الـــذرة ، ثم كسر الجمجمة واستعملها كإناء يشرب منــــه المـــاء ، فلمـــا رأى الأعداء ذلك ولوا الأدبار يطـــأون أقـــدام بعضـــهم مـــن هـــول الموقـــف ، ولـــم يجـــد قـــائدهم كورنجـــو مفـــرًا إلا الانسحاب من المعركة ، وأخـــذ يعـــدوا حتـــى وصـــل إلـــى

مدينته إنكوى وبـــايع الأمـــير ، وأعلـــن رضـــاءه بكـــل مـــا يقضى بـــه .

أما أنا فقد توليت الســـلطة فـــى المدينـــة وصـــرت الآمـــر ألناهى فيها ، وطلبت أن يأتونى بكورنجـــو لأراه ، فلمـــا قـــدم إلى قال " أطال الله حياتك لقد فعلت كل مـــا طلبـــت ".

ثم قدمت المدينة بكل ما فيـــها صداقـــاً ، وأقيـــم حفـــلاً لا مثيل له ، ودخلـــت بزوجتـــى ، وبعـــد ذلـــك أمـــر همبامـــا وجنوده أن يتتبعوا كورنجو ويـــأتونى بـــه .

أما أمير إنكوى فقد أعـــد فرقـــة عســـكرية علـــى رأســـها وزيره ، وأمرهم أن يذهبـــوا ويعـــودوا لـــه بجنطوكـــى فـــى أيديهم ليقتله بنفســـه .

فقال الأمير " ســـمعاً وطاعـــة لقـــد انتـــهت اليـــوم حيـــاة جنطوكى وكل من ينـــاصره " .

وركب وتبعه أكثر من ألـــف فـــارس ، كـــل منـــهم كأنـــه عفريت من الجن ، وتصادف أن تقـــابل الفريقـــان فـــى الليـــل على شاطئ نهر ، ونزل أتباعى على شـــاطئ ونـــزل أتبـــاع أمير إنكوى على الشاطئ الآخر ، ولـــم يعـــرف كـــل منـــهم الآخر ، وفى الليل خرج ونكـــا قـــائد جيـــش أمـــير إنكـــوى يتجول ؛ فلف حول معسكرهم ، فسمع صـــهيل الخيـــل علـــى الشاطئ المقابل ، فركـــب حتـــى وصـــل إلـــى معســـكرهم ،

فرأى خيولاً لا حد لـــها ، ورأى السـيوف فـى كـل مكـان كأنها حبات الرمال ، وسمع بعضهم يتحدثـــون قـائلين" قبـل ثلاثة أيام ستدور الدائـــرة علـى جيـش المسلمين ، ونقيـد جنطوكى " ؛ فلما سمع ذلك انسحب وطلـــب مـن جنـوده أن يستعدوا غداً لأمر هام، وأخبرهم بكل مـا سـمع ، ومـا رأى بعينه .

فقالوا " نسأل الله أن يحيينا إلى الغـــد " .

قال همباما " غداً سأشبع ، لقـــد اشـتد علـى الجـوع ، قال هذا الكلام ولا يعرف ما يخفيـه القـدر .

عندما طلـــع النـهار هجـم الرجـال ، وكأنـهم الجبـال الشوامخ تلتقـى ، واسـتعد الفريقـان وبـدأ القتـال ، وأخـذ رجال إنكوى يقعون صرعـــى واحـداً بعـد الآخـر ، حتـى مات أكثر من نصفهم ، وفر البـاقون ، وقـص الخـبر علـى الأمير ، فقال " لقد هربتم من الموت إلــى حيـث لاقيتمـوه "، وأمر أن يستعدوا للقائهم غداً ، وهـدد بقتـل مـن يفـر مـن رجاله .

أسر ونكن وتا وهمباما كثيراً مـن الجنـود ، وبعـث إلـىّ بمن أسلم منهم ، أما الذين أبو الإسلام فقـد قتلـهم ، وعندمـا عاد الرسول أخبرونى جميعاً أن هـؤلاء الرجـال شـجعان ، ويجـب أن يسـاعدونى ، فـأمر عشـرة آلاف فـــارس أن يستعدوا لمساعدة جيش المســلمين .

ولما رأى أمير إنكوى ذلك قـال " هـذا كـذب إنـهم لـن يفعلوا شيئاً " ، وأمر ابنه جرمى أن يتوجـه لقتالـهم .

والتقى الفريقان ، ونشب القتال ، وسـالت الدمـاء أنـهاراً، ولما توقف القتال خرج جرمى إلى وسـط ميـدان المعركـة ، وأخذ يتفاخر بنفسه ، بعد ذلك هجم درنجـن همبامـا ، فـأمر جرمى بضربه فسـقط علـى الأرض كمـا تسـقط الشـجرة الضخمة وقال لخدمة " اربطوا هـذا المنـافق، وفـى الحـال وضع همباما فى القيود وأخذوا يجرونه كأنـه جثـة حصـان، ولم يخرج جرمى من قلب المعركـة حتـى ضـرب رجـال المسلمين أربعة وعشرين رجـلاً ، قيـدوا جميعـاً بالسلاسـل وأصبح لا حول لهم ولا قـوة .

بعد ذلك غضـب ونكنوتـا ، ودفـع حصانـه إلـى قلـب المعركة ، وأخذ يفخر بنفسه والتقى بجرمـى ونشـب القتـال وتصاعد غبار المعركة إلى السماء حتـى حجـب المتقـاتلين عن الأنظار ، واشتدت المعركـة واسـتمرت حتـى العصـر ولم ينتصر أحدهما على الآخر ، ثـم نطـق ونكـن بالشـهادة ونظر إلى رأس جرمى وهوى عليها بالعصـا الغليظـة فوقـع على الأرض وانفصل مخـه عـن الجمجمـة ، ولـم يـترك ميدان المعركة حتى أصاب مائتين بين قتيـل وأسـير ، ولمـا رأى الكفار ذلك أخـذوا يولـون الأدبـار فـاتبعوهم ، ودارت عليهم الدائرة حتى أقبـل الليـل ، وبعـد ذلـك عـادوا إلـى

معسكرهم ، وحرروامن قبض عليهم قبل ذلك ، وأطلق سراح همباما وباقى الرجال .

ولما سمع أمير إنكوى هذه الأخبار ، وأن من بين القتلى ابنه الذى يحبه ، غضب الكافر، وأخذ يسب الشمس والقمر والنار ، وأمر بقتل الفارين قائلاً " لقد لقيتم الموت هنا اليوم "، وبعث إلى البلاد رسولاً يأمر الجميع بالاستعداد للقتال ، ولن يسمح لأحد بالتخلف إلا إذا كان عاجزاً عن إمساك الرمح والقوس ، ولابد من الثأر من جنطوكى مهما كلفه الأمر .

ولما رأيت الجنود قد تأخروا شعرت أن فى الأمر شيئاً، ولابد أن أذهب لنجدتهم ، فاستعددت وتركت لمججى مهمة حراسة المدينة ، وذهبت إليهم وتركت أسرتى هنالك.

أما كرونجو فقد كان يعرف شجاعتى ؛ فقد ثقب الكوخ فى الليل وهرب قبل أن ينقشع غبار المعركة ، وبعد أن جلب لهم المصائب وولى الأدبار ، فقد عرفته جبانًا ، ولم يتوقف إلا عند أمير الهند وتقدم لمبايعته ، ولجهلهم وافقوا على الاستعداد للحرب .

أما رجال ونكن وتا الذين هزموا فى المعركة فقد حملوا رأس جرمى وذهبوا بها إلى أبيه لإثارته ، فلما

رآها أمير إنكوى اشتد غضبه . وفى الصباح اشتعلت نار المعركة، وكان المسلمون قلة ، كالشعر الأبيض فى رأس الصبى ، فلما رأوا ذلك هللوا وقالوا " الله معين للعباد"، وتجمعوا ودعوا الله فأعانهم الله على الكافرين ، وهو القادر على كل شىء ، واشتدت الحرب وارتفع الغبار إلى السماء، ولم يتوقف القتال حتى انعدمت الرؤية، وإذا بى أصل إليهم فجأة أنذر العدو قائلاً " جنطوكى أشجع الرجال والد جربا ، المعركة دائرة عليكم ، وجربا جاجرى على يمينى ، والمداحون على يسارى ، والشجعان يحيطون بى كأنهم العفاريت ، جلابو المصائب قادمون إليكم يثبون بخيولهم ؛ فلما سمعنى المسلمون فرحوا فرحاً شديداً ، وأخذوا يزغردون قائلين جاء البطل ... جاء البطل .

ولما أقبل الليل جمعت قادة المعركة وقسمتهم أربعة أقسام ، وطلبت من قسم أن يتجه إلى المشرق والباقى إلى الغرب والجنوب والشمال ، وأحاط الفرسان بالوثنيين من كل جانب وهم لا يعلمون أن سبحان الله – الحرب خدعة.

قلت " إذا سمعتمونى أنطق الشهادة فاهجموا بقوة فى وقت واحد ثم ينسحب كل إلى الخلف ويراقب المعركة، واتركوهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم .

وبعد أن نام أفراد العدو ، وسكنت حركاتهم، هجموا عليهم وفعلوا كل ما أمرتهم به ؛ فلما رأى الكفار ذلك ، قاموا وأخذ كل منهم سلاحه ، وأخذوا يضربون بعضهم البعض ، واستمروا على هذا الحال ، ولما طلع النهار وجدوا أنهم قتلوا أنفسهم بأيديهم ، ولا يوجد بينهم مسلم واحد، فأخذ الأمير يعض على أصابعه حتى قطعها من شدة الغيظ .

بعد أن انتهى المسلمون من الصلاة ، خرج الأعداء وكونوا صفًا وبسرعة اضطربت المعركة ، ولم يكن منظرًا جميلاً ، ولما غربت الشمس تفرقوا ، وفي الصباح التقى الفريقان ، ونصر الله المسلمين عليهم وتفرقوا وولوا الأدبار فاتبعهم المسلمون وقتلوهم وأسروا من بقي منهم ، وبعد ذلك اخترت أحد الخدم ووليته السلطة في المدينة .

في هذه الليلة رأيت منامًا أزعجني ، لم أر بعده النوم مرة أخرى ، رأيت أشياء هبطت من السماء كالطير، وخطفتني مع ابني جربا جاجرى ، وطارت بنا ، ظننت في نفسي أنه ربما هذا الجن الذين خطفوني من فوق جبل بيما أو ملائكة جاءت تخبرنا أن أجلنا أقترب فأخذت أبكي وأقول ربما لن أرى بلاد الهوسا بعد ذلك ، ولكني تذكرت أن الإنسان يموت حيث كتب له الموت ، أسأل الله أن يتوفاني على الإيمان ، آمين .

عندما طلع النهار أخبرت جربا جاجرى " أيها البطل الذى لا يرهب شيئًا " .

قال " لا تبالى ، إذا كان عدوًا سننتصر عليه بإذن الله".
قلت " حسنا ، إن شاء الله " .

عندما حان العصر ، قلت لجربا جاجرى " قم لنخرج نتنسم الهواء العليل على حافة هذه الغابة ، فقد سئمت الإقامة فى مكان واحد ، لقد ضايقنى كلام الناس الكثير ".

قال " حسنا ، إننى أشعر بالضيق ، وأريد النزهة فى مكان آخر " .

عندما خرجنا قلت لجربا " عد وأحضر لنا السلاح، الرجل لا يسير هكذا أعزل " .

فعاد وأحضر السهام والسيوف ، ثم واصلنا السير؛ فلما وصلنا إلى داخل الغابة ، رأينا مستنقعًا مغطى بالأعشاب الكثيفة ، فجلسنا نستريح ونتحدث فى أمور الحياة ، رأينا من بعيد غزالتين ترعيان ، فأطلقت السهم على إحداهما ، ولما أصيبت بالسهم حملتها الغزالة الأخرى وولت هاربة بها .

قال " ما حدث اليوم أمر عجيب " .

قلت " اليوم ستقوم القيامة ، وليس هذا أمرًا عجيبًا ، يبدو أنه حدثت مصيبة ، وسيحدث ما حدث بالأمس ، وتشتعل الحرب مرة أخرى ".

لقد نزلنا في مستنقع ملك الجن ، وأطلقت السهم على ابنه ، فحملت الأم جثة ابنها وذهبت به إلى أبيه ، وقصت عليه ما حدث فغضب وهب قائمًا ، وخلع قلنسوته ، وألقاها على الأرض ، واستدعى عفريتين قويين، وقال لهما " اذهبا إلى المستنقع ، وأتوني بكل من تريانه هناك الآن " .

ولما جاء لم يجدا سوانا ، نرقد تحت الشجرة ، وقد غلبنا النوم ؛ فحملانا ، وطارا بنا بين السماء والأرض، ونحن نائمين ، ووضعانا أمام ملك الجن ، ولم يمض الوقت الطويل حتى قطعت رأسه ، واضطربت المدينة ــ رجل واحد يساوي ألف أبو جربا جاجري ــ وفي الحال أعلنوا إسلامهم جميعًا ، ووليت عليهم أميرًا منهم .

وأثناء إقامتي في مدينتهم ، أنشأت مدرسة ، وأدخلت أطفالهم فيها ، وأخذت أعلمهم القراءة والكتابة، وأعظهم وأعلمهم الحديث صباحًا ومساءً وأخذني الأمير إلى أقاصي المدينة ، فأرشدتهم إلى الإسلام حتى أسلموا جميعًا، وأما من تمرد منهم فقد سحقتهم وواصلت تنفيذ خطتي .

عندما سـمع شـقيق الأمـير أننـى أدخلـت ابـن أخيـه الأصغر فى الإسلام دفع إليـه بجنـود لا أول لـها ولا آخـر لسحق المسلمين ومرشدهم الذى منعهم مـن عبـادة القمـر ، وعسكروا عند بوابة المدينة،وبعث رسـولاً إلـى ابـن أخيـه لاستقباله،فلما وصـل لاسـتقباله ألقـى القبـض عليـه،فقـال "لمـاذا ؟ " .

قال الأخ الأكبر لماذا تركـت دينـك مـن أجـل رجـل أسود؟"

فلما سمع رجاله ذلـك عـادوا إلـى المدينـة مسـرعين ، واستعدوا للقتال ، فقلت لجربا أعـد السـلاح وضـع السـرج على ظهر الحصان ، فقد حان وقـت القتـال " .

تحير الولد من شدة الخـوف ، وقـال " كيـف سـنحارب الجن ؟ لا أرى أننا سننتصر علـى هـؤلاء " .

قلت " الله أكبر ، ولد صغير لا تعـرف شـيئًا " .

ركبت الحصان وأحاط بى كـل سـكان المدينـة ، كـأننى أميرهم ، فقلت" كل شيء بـإرادة الله " .

وأمرت عفريتين بحمـل جربـا جـاجرى إلـى المـنزل ، حيث تقيـم زوجتـى ، فذهبـا بـه ، وقـص عليـهم كيـف تركنى؛ ففرحوا كثـيرًا لأنـه عـاد إليـهم بـثروة كبـيرة ، وأخذوا يدعون الله أن يحفظنى حتى أعود لـهم سـالماً.

وصلت إلى ميدان القتال بحصانى ، أكبر وأهلل ، وفى يدى سيفى شافو ، وعصا الشيخ العجوز الغليظة معلقة فى سرج الحصان ، فلما رأى هذا الأمير ذلك طلب من الجن أن يقبضوا عليّ، فهجم على مائة عفريت مرة واحدة ، فأمسكت سيفى وقضيت عليهم جميعًا ، وأخذت رؤوسهم تتساقط على أرض المعركة كثمار شجرة جوز الهند ، فأمر ملكهم الجميع أن يدخلوا المعركة ويهجموا على فى وقت واحد .

ولما رأى المسلمون ذلك هجموا هم أيضاً مرة واحدة وفى الحال اشتد القتال ، وفاقت المعركة الوصف ، وأخذت أنشد أنشودة النصر ، وسيفى يرتوى من دمائهم، ويحصد رؤوسهم ، ولما شعروا أن الدائرة دارت عليهم ، ولوا الأدبار حتى وصلوا إلى أميرهم كبيتو فأقر هروبهم، وبعث برسائل إلى أتباعه جميعًا ليستعدوا للقتال فى خلال سبعة أيام للقضاء على جنطوكى ومن اتبعه من المسلمين.

عندما عدنا إلى المدينة قال ملك الجن " أشكرك يا جنطوكى ، والآن يجب أن أحملك إلى وطنك ؛ لأن الأمير الذى حاربته ذهب يطلب العون من الملك كبيتو ، ولا ينبغى أن تبقى هنا حتى يأتى ويقضى عليك فتتركنا نقاتله نحن " .

قلت " لن أتركك حتى أقضى على كل أعدائــــك فـــى هـــذه الأرض ، سواء كان من الإنس أو الجــــن ، بـــإذن الله " .

ووزع الملك الغنيمة التى حصلنا عليـــها ، فـــأخذ الخمـــس ووزع البـــاقى علـــى المقـــاتلين ، قلـــت " يجـــب أن نســـتعد ونذهب لملاقاته فى عقر داره قبل أن يـــأتى إلينـــا " .

قال الأمير " وهو كذلـــــك ، وجمعنـــا المقـــاتلين وتوجـــهنا إليه ، وفاجأناهم فى الطريق ، وكان عددهـــم كزبـــد البحـــر ، والتقى الفريقان ، ونشـــــب القتـــال، وكـــانت المعركـــة التـــى أنتظرها ووشتت جمعهم حتى تعجـــب الجميـــع .

وعندما أقبل الليل فعلت الخدعة التـــــى تعـــودت عليـــها ، وأيقظت أتباعى ووزعتهم فى أمـــاكن مختلفـــة ،ولمـــا كونـــوا حلقة حول العدو قلت لهم " إذا ســـــمعتمونى أنطـــق بالشـــهادة فاهجموا جميعًا فى وقت واحـــــد ، وقولـــوا اســـحقوهم كفـــار فاسدين " ثم انسحبوا إلى الوراء واتركوهـــــم يقتلـــون أنفســـهم بأنفسهم " ففعلوا كما أمرتـــــهم .

وعندما طلع النهار أدركوا أنـــهم قتلـــوا بعضـــهم بأيديـــهم، أما الباقون فقد أمرت أن يضربوا حتى لا ينجـــو منـــهم أحـــد، وواصلنا السير حتى وصلنا إلـــى الملـــك كبيتـــو ، فلـــم نجـــد حوله إلا النساء ، دخلنا قصره فوجدنـــا الـــثروات المكدســـة ، كنوزًا من اللؤلؤ والمرجان أكواما ، وكـــانت حوائـــط القصـــر من الذهب والفضة ، وقد أثرى كـــل المســـلمين بعـــد توزيـــع

الغنائم عليهم ، ورأيت ابنة الأمير تجلس في حجرة من الفضة ، وحولها الجواري بالمراوح ، وإذا بصقت سارعن إليها لالتقاط البصاق قبل أن تسقط على الأرض ، ولفرط جمالها أطلقوا عليها اسم " نور " فلما رأيتها أعجبت بها وقررت زواجها .

وذات يوم طلبت من ملك الجان أن يأمر اثنين ليذهبا إلى رجالي لمعرفة أحوالهم ، لأن أعدائي كثيرون ، فأمرهم بالذهاب فوجدوهم يحاربون المسلمين . وقد أخذ جربا جاجري يقاتلهم حتى أعياه التعب وكادوا أن ينتصروا على المسلمين ، وفجأة وصل العفريتان ، وأخذت الضربات تتوالى على الكفار دون أن يروا أحدًا ، ولم يسمعوا إلا كلمات الفخر التي يطلقونها قائلين " نحن جنود جنطوكي الفارس المغوار" ، وأخذ بريق السيوف يبدوا كالبرق ، ولكن لا يرون أحداً ، حتى تم النصر وولى الكفار الأدبار يتعثرون في خطاهم ، فرح المسلمون وأدركوا أنني على قيد الحياة ، وعاد العفريتان وقصا على كل شيء ، فشكرتهما ، وقدمت إليهما المكافآت السخية.

أما كورنجو الذي فر إلى بلاد الهند فقد استجاب الأمير لندائه وجمع الكثير من المقاتلين وتوجه إليّ وهو يجهل أنه متجه إلى الفناء .

بعد أن انقشع غبار المعركة قلت لملـــك الجـن " أريـد أن أعود إلى وطنى لأعيش بيـــن أخوتــى مــن الإنــس ، ولــن تنقطع الأخبار بيننا بـــإذن الله " .

جمع الملك ثروة كبيرة وحملـــها الجــن ، وحملــت سـيفى شافو وجعلت عروســـتى أمــامى ، وأمــر الملــك إعطــائى حصانًــا مــن الجــن لا يســبقه حصــان وألــف عفريـــت ليخدمونى ، ولكنى رفضت وطلبـــت اثنيــن فقــط وجعلــت واحداً عن يمينى والآخــر عــن يســارى ، وودعنــا بعضنــا وسط البكاء والنحيب لشدة ما كان بيننا من محبـــة ألفــت بيــن قلبينا .

وصل كورنجو وملك الهند وأقـــاموا عـدة حلقـات حـول جيش المسلمين ، بجنود وأفيـــال لا تعــد ولا تحصـــى ، فلمــا اقتربت منهم بعثت برسول ليـــأتينى برجـــالى ، فلــم يســتطع الوصول إليهم ، فعاد إلـــىّ وأخــبرنى بذلــك ؛ فلمــا علمــت بذلك نزلت وفعلت خدعتى التى تعودت عليها فـــى مثــل هــذه المعـــارك ، وأمســكت زمــام حصـــانى الجنـــى ، وركبتـــه وانطلقت وسطهم كالسيف فى الفضاء ، ودخلــت إلــى ميـدان القتال ، ولم يســتطع أحــد التعــرف علـــى ، وعنــد الظــهر غطت جثث الكفار أرض المعركة ولما يعــــد هنــاك موطــئ قدم ، ولم اقبل الليل تفرقوا وعدت إلـــى المــنزل .

جاء إلى جربا جاجرى قائلاً " من أنت هـــل الــذى فعــل لنا هـذا ؟ "

فمددت يدى وكشـــفت عــن وجــهى وعينـــى ، وخلعــت خوذتــى .

أدرك جربا جــاجرى أننـــى أبــوه ، فــأخذ يــهلل فرحــا ويقول " أيها الناس لقد عاد جنطوكــــــى" .

وقد عمت الزغاريد المدينة كأنهم قــد أخرجــوا مــن نــار حامية، وأخذ كل منهم يأتينى ويركع أمامى تحيـــة لـــى ، ولـــم أترك منزلاً فى المدينة إلا وقد نال نصيبًا مـــن الـــثروة ، أمـــا العفريتان اللذان حضـــرا معـــى لــم يراهمـــا أحــد ســواى ، عندما تقدما إلىّ قـــائلين " "أطـــال الله حيـــاتك غــداً ســنرحل لشأننا "

قلت " أشكركم ، اذهبـــوا " .

وعندما طلع النهار خرجت وســط المدينـــة أفخـــر قـــائلا " أنا جنطوكى القائد العسكرى ، غـــــدًا ســتأكلكم الصقــور ، لا يخرج الجبـــان " .

بعد ذلك قال " ابن ملك الـــــهند لكورنجــو " أنـــت المقـــاتل الماهر اذهب للقائه أنت ، ما حدث لنا مـــن خســـارة بـــالأمس كان من أجلـــك " .

فقال " لقد قضيت ليلة أمس وبطنــــى تؤلمنـــى " .

قال له ابن الملك " إن لم تخرج الآن فسأقتلك وتقع فيما تفر منه " .

ودفعوه بالقوة فخرج ، يتفاخر بصوت منخفض قائلاً " أنا كورنجو " .

عندما سمعت ذلك أعدت السيف في غمده ، وأخرجت عصاى الغليظة لأننى عدلت عن قتله ، وقلت " الحمد لله، لقد حدث المطلوب ، طالما أن الله قد جمعنا مع الهراب من المعارك، كلب الكلاب . " .

ثم هجمت عليه وما كدت ألمسه حتى سقط، فقلت لجربا جاجرى " قيده " فنزل وربطه تماما ، فركب ابن ملك الهند حصانًا وخرج ، فتقاتلنا معه حتى غروب الشمس ، وأخذ بعض الناس يقول " لقد تركه جنطوكى " والبعض الآخر يقول " لا إن من تستهين به ، قد تكون نهايتك على يده " ، ولكن السبب الحقيقى فى هذا التراخى أن حصانى توقف عندما شاهد كثرة الفيلة تمنعه من المسير، فغضبت ونزلت من فوقه ، وهجمت على الأعداء.

وبعد ذلك رأيت هذا الكافر وهو فوق ظهر الفيل يفتح صندوقا ، ويخرج منه شيئًا مثل الشبكة ، ولما ألقاها التفت حولى ، فأخذنى ووضعنى فوق ظهر الفيل ، وفتح الصندوق ليلقينى بداخله ، ويذهب بى ـ هذا أمر

مؤسف ــ أمرت العفريتين اللذين يحرسـانى ، فأوقفا الفيل دون أن يعرف السبب ، وقيدا ابـن هـذا الأمـير ، وسلماه لى. وأمرت جربا جاجرى أن يقيـده مـع كورنجـو ، وبعـد أن غربت الشمس تفرقـوا فسـألنى المسلمون عـن سـبب طول فترة قتالى لفارس واحد فقلـت لـهم " لأننـى أردت أن أقبض عليه وأدخله فى الإسـلام لأننـى أدركـت أنـه رجـل شجاع " فقالوا " لقد أدركنا ذلـك " .

أما الكفار فقد تملكتم الدهشة مـن أمـرى لأنـهم منـذ أن خلقهم الله لم يروا من يفعل فى ابن الأمير مـا فعلـت ، ولمـا شاع الاضطراب بين صفوف الهنود ، أخـذ بعضـهم يقـول إننى من الجن ، والبعض يقول إننـى رجـل شـجاع ، وبعـد ذلك صنعت حيلة وجئت بسهام غير مسـممة وقلـت " ارمـو الكفار بها " فلما أحست الفيلة بها هاجت وألقـت مـن فوقـها، وجرت وأخـذت تـدوس النـاس باقدامـها ، فلمـا أدركـوا أستحالة النصر ولوا الأدبار ؛ أما ابـن الأمـير فقـد أسـلم ، وطلبت منه أن يعود إلى وطنه فقال " إنـه يخشـى أن يقتلـه أبوه عندما يعلم أنه أسـلم ".

أما كورنجو فقـد كـان المسـلمون يخرجـون كـل يـوم ويضربونه ثم يعيدونه إلى سـجنه ، ولمـا وصـل الفـارون إلى الهند أخبروا ملكهم أن ابنـه قـد أسـلم فغضـب وأخـذ يجمع المحـاربين حتـى يـأتى للقضـاء علـى جنطوكـى ، وتستحق الفيلة سكان المدينة مـن المسـلمين .

أعددت العدة للحرب وذهبت إلى بلاد الهند بجيوش لا نهاية لها ، وواصلنا السير حتى اقتربنا من المدينة ، فنزلنا ، وبعد ذلك تسللت مع جربا جاجرى وابن ملك الهند ودخلنا المدينة ليلاً ، حتى وصلنا إلى قصر الملك . فوجدناه نائمًا .

ركله ابنه برجله وقال له " قم يا كلب " فاستيقظ قائلاً " من ؟ "

قال الابن " سيدك ، جنطوكى قائد جيوش المسلمين ؛ ألا تعلم أن الإسلام قوة ؟ "

لم يفعل ذلك بأبيه احتقارًا له ، ولكن لأنه كافر ، ولأننا نريد أن يسلم ، وحتى لا نهلك رجاله تسللنا إليه في جنح الظلام .

قلت له " أسلم تخلص نفسك من الموت " فأبى

فقلت للجن " اضربوه " فانهالوا عليه لطما ، وقيدوه وخرجوا به إلى الدهليز .

قلت للابن " اذهب إلى أبيك وحاول إقناعه ، وعرفه حقيقة الإسلام ليسلم ، لأننا لا نريد أهانته إكرامًا لك " فذهب إليه وحاول إقناعه ولكنه أصر على كفره ، فلما أدركت أن العجوز لم يكتب له الإسلام ضربته ضربة قسمته نصفين ، وطلبت أن يلقى نصفه في حجرته ليكون عبرة لأبنائه ، والنصف الآخر في فناء القصر ليراه

الأمراء ليعرفوا أن هذا مصير الكافرين ، ووليت الابن السلطة بعد أبيه وقلت لخدمه " كل من ترونه يعضى هذا الابن اضربوه " .

ووقف المداحون يمدحونه قائلين " خير من الضرب والسجن طاعة الأمير " ، وعندما جاء الظهر كان أتباعه قد أسروا خمسة وثمانين رجلاً ؛ فقلت للأسرى " أسلموا تأمنوا ، واتبعوا هذا الغلام " قالوا " سمعا وطاعة " .

قلت " كل يعود إلى منصبه ، واذهبوا إلى أهلكم وادعوهم إلى الإسلام بأنفسكم ، ومن يرفض ما تدعون إليه ، حللت لكم دمه " .

قالوا " سمعا وطاعة " .

وهكذا فعلت مع كل الناس ، ووليت كل أتباعى فى المدن التى أسلم أهلها ، أما كورنجو الذى رفض الإسلام فقد أمرت أن يقتل ، فأخذ الأطفال يرمونه بالسهام حتى مات ، وحملوه وألقوه فى مكان القاذورات كالكلب .

أمرت العفريتين الملازمين لى أن يذهبا ويستطلعا لى ما يدور فى موطنى فطارا فى الفضاء حيث شاهدا جيشًا يسير فى الغابة مثل الجراد لا نهاية له فهبطا وانقلبا إلى صورة آدمى وسألا عن وجهة الجيش ، قالوا إنهم جنود انكوى ذاهبون لمحاربة هذا الشيطان الآدمى الذى يسمى

جنطوكى الذى أعيا الناس أمره ؛ فتركوهم حتى ناموا جميعًا ، ثم ذهبا إلى خيمة قائد الجيش فوجداه نائمًا والمصباح مشتعلاً ، فحملاه بالسرير الذى يرقد فوقه وطارا به حتى وصلا به إلىّ ، ووضعاه أمامى ، وقصّا علىّ كل ما شاهداه .

قلت لهما " أيقظاه " فتمدد وأخرج ما فى بطنه من غازات ، وقال " عجبا أين أنا ؟" فركله همباما بقدمه ، فقام يقول " عجبا ، أين أنا ؟ "

قال همباما " أمام أمير المسلمين جنطوكى ، اتبع الطريق السوى تنجو من الهلاك " .

قال " وماذ جاء بى إلى هنا ؟ "

قلت " الجن " .

فرفع رأسه ليراهما فظهرا له فى صورتهما الأصلية ، بأسنانهما البارزة ، وفى الحال اتبعنى دون جدال ، وقال لى كل ما لديه من أخبار وما حدث لزوجتى التى تركتها، وكيف قتلت ، وغير ذلك من الأخبار وفى الحال أعلن إسلامه .

وعندما طلع النهار لم يجد الجيش قائده ، فأمرت أن يعيدوه مكانه ، عند ذلك أسلم الجميع ، وبعد ذلك أمرتهم بالعودة ليحاربوا أميرهم إنكوى قبل أن أعود ، وأمددتهم بألف حصان ، وعادوا .

أما الذين هربوا فقد حملوا خبر إسلام قائدهم وأنه عائد لقتال الأمير فغضب الأمير وسب الشمس والقمر والنار والنجوم ، وجهز جيشًا وأمرّ عليه أحد خدمه .

وركب ليودعه عند ملتقى الطرق ، عندئذ رأى الغبار يرتفع إلى السماء ، فأمر أن يذهبوا ليستطلعوا الأمر ؛ فقالوا القائد الذى ذهب بجيشه لمحاربة المسلمين عاد ليحاربك ، أى بعد أن علمته الرماية عاد ليرميك " .

وقبل أن أعود وجدتهم أثاروا الفوضى فى المدينة ، وقد قبضوا على أميرهم وأخذ ابنه يتوسل لدى الأمير كبارا لإطلاق سراحه ، وخلال هذه الفوضى وصلت إلى المدينة بجيش لا نهاية له ، وانهالوا عليهم ضربًا ، وكأن السماء قد أمطرت دمًا فى كل مكان فى المدينة ، وفى الحال أسلموا وأخذوا يضربون الأمير وكأنهم يدقون الطبول ، وعندما سمعت أم نور حماتى بأننى جئت ، انفجرت فى البكاء لأنها تذكرت ابنتها التى أمر الأمير أن يذهبوا لقتلها ، وسألتها " من الذى قال اقتلوها ؟ " قالت

" فــلان " فــأمرت باســتدعائه ، وســألوه فقــال " أطــال الله حياتك، لم أقتلها ، لقد أشفقت عليها ، وأطلقــت ســراحها فــى الغابة ، وطلبت منها ألا تعود حتى لا نقتــل معــا. ولكــن لا أعرف مصيرهــا الآن " .

فشكرته ، وكافأته بسخاء ، واســتدعيت المنجميــن وقلــت لهم " هل نور ما زالت على قيد الحيــاة ؟ " فضربــوا الرمــل وقالوا " إنها حية ، ولكنها وقعت فى يد الجــن ، وقــد ولــدت لك ابنا حيث كانت حاملاً عندمــا تركتــها " .

أما ابن الأمير إنكوى ، الذى ذهــب إلــى الأمــير كبــارا فقد قال له أننى تزوجت نور ، وكــان هــو أيضــا يحبــها ، وكان تحت هذا الأمير كثير مــن الجــن ـ وإذا اســتجاب الله الدعاء حدث المطلوب بسهولة ـ فأمر أحــد الجــن أن يــأتى له بجنطوكــى .

وكان مساعداى قد طافا الدنيا يســتطلعان لــى أخبارهــا ، فلما وصل الرسول وقــف علــى النــافذة كالطــائر ، وكــان اجتماع الحاشية قد انفض ، ودخلت المــنزل لأنــام ، ودخــل العفريت على ، وهــو يحمــل شــيئاً فقــدت الوعــى عندمــا شممته ، ولما حملنى لم يضعنى إلا أمــام أمــيرهم ، وقــص على كل ما فعل ، فقــال الأمــير " لا توقظــه وأحملــه إلــى النهر وألقه فيه حتى يموت ، ويسود الســلام بيــن النــاس " ،

وذهب وألقانى فى الماء وكأننى جثة حصـــان نفـق ، ولكـن الله قادر على كل شئ فعال لمـا يريـد " .

عندما استيقظت شربت كثيرًا من المـــاء ، وحملنـــى مـاء البحر وأخذ يلقى بى هنا وهناك ، ولا أشعر بـأى شـــىء فقـد كنت فاقد الوعى ، حتى حملنى الماء إلـــى البحـر المحيـط ، وهو البحر الذى يحيط بالدنيا ، وألقـــت بـى الأمـواج علـى جزيرة ، فأخذت أخرج ما فى بطنـــى مـن أعلـى وأسـفل ، حتى كادت أمعائى تخرج مـــن بطنـــى ، ولمـا انتـهى أثـر المخدر أفقت بســلام .

وأنا على هـــذا الحـــال وإذا بمركـب يبعثـه الله بـالقرب منى، فرأونى وأنا ألوح لهم بيدى ، فجـاءوا إلـىّ وحملونـــى، وسألونى " ماذا جاء بك إلى هنـــا ؟ "

قلت " أعطونى طعامًا أولاً أملأ بطنـــى الخاويـة ، قدمـوا إلي الطعام فأكلت وشبعت وهـدأت نفســى .

قالوا " اقصص علينا خـــبرك " .

فقلت لهم " لا تسألوا عن أخبارى ، أخـــبرونى أنتـم مـاذا تعبـدون ؟ "

قالوا " نعبد الأصنـــام " .

قلت " لعنكم الله ، أنتـــم وأصنـــامكم ، رجـــال فاســـدون ، اعبـــدوا الله الـــذى خلـــق الســـماوات والأرض ، وخلقكـــم ، وخلق كل ما نرى ، وما لا نـــرى " .

قالوا " عجبـــا ، لقـــد نجينـــاك الآن وأنـــت موشـــك علـــى الهلاك ، وبدلاً من أن تقدم إلينا الشـــكر تســـبنا ؟ "

قلت " نعم ، لعنكم الله ، أنتم لم تنقذونـــى ، ولكـــن الله هـــو الذى أنقذنى ، ولا أبالى بجمـــاعتكم الصغـــيرة ".

عندما سمعوا ذلك انهالوا علىّ ضربا ، ولـــم أكـــن أرتـــدى إلا ساتر العورة ، فضربتهم بجمع يدى ، وفـــى الحـــال قتلـــت أربعين رجلاً منهم ، فـــتراجعوا إلـــى الـــوراء وبـــدا عليـــهم الوجوم ، وأخذوا يحدقـــون بعيونـــهم ولا يتحركـــون ، وتقـــدم شاب منهم وقال " هل نحن نســـاء حتـــى يتغلـــب علينـــا هـــذا الرجل ؟ " فلما سمعوا هـــذا الكـــلام زاد حماســـهم وهجمـــوا علي مرة أخرى فأخذت أضرب فيهم حتـــى أعيـــانى التعـــب، حينئذ أسرونى ، وقيدونى ، وقالوا " لا ينبغـــى أن نقتلـــه بـــل نحمله إلى أميرنا ليراه " ، وأخذونى وإلقونـــى فـــى المركـــب كما تلقى بالة القطـــن .

وكان لدى أميرهم صنم ، يسكنه أحـــد الجـــن ، وكـــل مـــا يريد معرفته يسأل الصنم فيجيبه الجنى ، فســـأل عـــن أخبـــار الدنيا ، فقص عليه كل أخبارهـــا ، وعنـــد وصولـــهم أمرهـــم الأمير بقتلى ، ولكـــن الأمـــير رأى أن يـــتركنى إلـــى الغـــد

ويحرقنى فى ميدان عام حتى يرانـــى النـــاس جميعًـــا ، وفـــى الليل أشعلوا نيرانًا كثيرة ، وحملونـــى إلـــى المعبـــد وأغلقـــوه حتى الصباح ، رأيتنى فى هذا اليـــوم وحيـــدًا مـــع الصنـــم ، فقضيت الليل أذكر الله وأصلى علـــى الرســـول ، فلمـــا ســـمع الجنى الذى يسكن الصنم ذكـــر الله رق قلبـــه ، فخـــرج إلـــىّ قائلاً " أيها الشاب ألا تهدينى إلى الإســـلام ؟ " فأســـلم وكـــان ابن أحد الجن اسمه زلزلو بـــن مزلزلـــو .

وقبل أن يطلع النهار كان قد خلصنى مـــن الأســـر وطـــار بى وقصد مدينة أبيه ، وقبل أن نصل إلى المدينـــة كـــان أحـــد الجن قد أخبر أباه أن ابنه أســـلم ، فغضـــب غضبـــاً شـــديداً ، فلما وصلنا إليه أمر بحبس ابنـــه ، وأمرهـــم أن يذهبـــوا بـــى إلى النهر ويلقونى فيه ، وكـــانت بـــرودة هـــذا النـــهر تفـــوق برودة الثلج ، وقبل أن يصل الخادم إلى هـــذا النـــهر بســـاعة واحدة ، أراد الله أن يتعب مـــن حملنـــى فـــأنزلنى ليســـتريح ، فغلبه النوم ، فخلصـــت نفســـى وبحثـــت عـــن حجـــر كبـــير وضربته به علـــى رأســـه فانكســـرت ومـــات فـــى الحـــال ؛ فدخلت الغابة وأخذت آكل من ثمـــار أشـــجارها .

وفى الصبـــاح أمـــر الأمـــير بإحضـــارى مـــن المعبـــد ، فبحثوا عنى فلـــم يجدونـــى ولـــم يجـــدوا الصنـــم، فأصابـــهم الحزن والدهشة ، وأمـــر أن يســـتدعى الوزيـــر الـــذى أشـــار عليه بإبقائى حتى الصباح لأحرق ، وقال لـــه " لقـــد منعتنـــى

أمس من قتل هذا الضيف ، وها هو قد هــرب وأخــذ الصنــم معه ، دون أن يفتح بابـــا أو نـــافذة " ، ثــم أمســك السـيف وقطع به رأس الوزيـــر .

ولما رأى أبناء الوزيـــر ذلــك قتلــوا الأمــير ، ونشــبت الحرب بين رجال الأمير وأتبـــاع الوزيــر، وأخـــذوا يقتلــون بعضهم رجالاً ونساء عـــدا رجليــن اســتطاعا الفــرار إلـــى المدينة ، هذا ما أراد الله أن يقـــع بينـــهم .

وهناك حكمـــة لا نعلمـــها فـــى كـــل مـــا يفعلـــه ســـبحانه وتعالى، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمـــان ، آميـــن .

بعد أن قتلت العفريت ظللت أتجـــول ســـبع ســـنوات فـــى الغابة ، عارى الجســـم ، وذات يـــوم رأيـــت عفريتيـــن كـــل منهما يخطف رجلاً ، ووصلا إلىّ ، نظرا إلـــىّ وظنـــا أننـــى من الجن ، فشعرى يصـــل إلـــى كتفـــى ، عريـــان لا يســـتر عورتى شىء ، وكنـــت أصلـــى هكـــذا ، فســـألانى مـــن أى قبائل الجـــن ؟

قلت " أنا رجل من الإنس " وقصصت عليـــهم قصتـــى .

قال أحدهما " انتظرنى هنا ، بعد غد آتيـــك وأحملـــك إلـــى وطنك ، بعد أن نحمل إلى أميرنا هذيـــن العجليـــن " .

قلت " أين همـــا ؟"

قالا " هــذان الرجـــلان ، حتـــى يجــد أميرنـــا طعامـــه "؛ فتعجبت من هذا الكـــلام .

وبعد يومين رأيت العفريت يعود ومعه ثـــوب قدمـــه إلـــى لأرتديه ، وحملنى وطار بى، وارتفـــع إلـــى الســـماء حتـــى سمعت تسبيح الملائكة ، فأخذت أســـبح مثلـــهم ، وأخـــذ هـــذا العفريت يهبط بى حتى ألقانى فـــى البحـــر ، وســـقط ميتـــا ، وظللت أسبح ثلاثة أيام ، حتى وجـــدت نفســـى بـــالقرب مـــن جزيرة طويلة فخرجت ومشـــيت فيـــها ، وأخـــذت آكـــل مـــن ثمار أشـــجارها .

رأيت طريقـــاً صغـــيراً ، فواصلـــت الســـير فيـــه حتـــى وصلت إلى إحدى المدن ، فوجدت ســـيدة تحكمـــها ، وكـــانت تشبه فى عاداتها أمينة ابنة أمـــير ززو ، فكـــانوا يـــأتون لـــها برجل كل ليلة ينام معها ، وفى صبـــاح اليـــوم التـــالى تقتلـــه، وفجأة وصلت إلـــى هـــذه المدينـــة ، فـــأحبتنى حبـــاً جمـــاً ، وعندما أقبل الليل ، حاولت أن أنام معـــها ولكنـــى رفضـــت ، وقلت الموت عندى أفضل من انحـــراف خلقـــى ، فـــأحضرت ماء وبصقت فيه ومســـحت جســـمى بـــه ، فصـــرت قـــرداً ، ومكثت قرداً لمدة عام كامل والحبل مربـــوط فـــى خـــاصرتى، يلعبون بى ويرمون لى الفول الســـودانى فـــآكل .

وذات يوم قالت لى هذه الأمـــيرة " هـــل تفعـــل كـــل مـــا أطلبه منـــك ؟ "

فرددت عليها بهز رأسى بأننى سأفعل كل ما تأمرنى به ، وفى الليل طلبت ماء وبصقت فيه ، ومسحت جسمى به ، فعدت إنساناً سويا .

قالت" أوفى بالوعد " .

قلت " سأفعل " .

ثم قمت وأمسكت عنقها ولويته ، فماتت فى الحال من شدة الضربة ، وقمت مسرعاً وتوجهت إلى خزانتها؛ فوجدت سيفاً حاداً ، فأخذت ألهو به وتناولت قطعة من القماش ومسحته بها فرحا بحصولى على السلاح الذى أقاتل به .

وفى الصباح بحث عنها أتباعها فى كل مكان فلم يجدوها ، فجلسوا فى حيرة يفكرون فيما سيفعلون .

أما زلزلو ابن ملك الجن ، فلم يطلق سراحه إلا بعد عام كامل ، ولما أطلق سراحه قتل أباه ، واستولى على السلطة بالقوة ، وأسلم على يديه كل سكان المدينة ، أما زوجتى التى أمر أمير إنكوى بقتلها ، والتى أطلق سراحها فى الغابة ؛ فقد هامت على وجهها فى الغابة تتنقل من مكان إلى مكان حتى وصلت بفضل الله إلى مدينة طيبة ، ليس فيها إلا النساء ، ويسكنها الجنيات فرحين بها ، قصت عليهن كل ما حدث لها ، فقلن لها :

لا تحزنى ، كلى واشربى، والبسى ما تريدين ، فسرت بذلك .

وأثناء ذلك أنجبت ولداً ، فقام الجن بخدمتها أثناء الولادة ، لقد كان هؤلاء الجن خدم الملك ، يأتى لزيارتهن كل شهر ، كما أخبرنها وذات يوم جاء إليهن الملك ، فذهب الجميع لتحيته ، وذهبت معهن بابنها الذى حملته على ظهرها .

قال ملك الجن " من هذه ؟ " فأخبرته بقصتها كلها .

قال " يا فتاة ما اسمك ؟ "

قالت " نور " .

قال " سأسمى هذا الطفل ، واصبرى حتى يكبر ابنك ، وسآخذه فى جيش الجن ، ونذهب لقتل أبيك ونوليه السلطة بأية وسيلة " .

قالت " وهو كذلك " وشكرته وانصرفت .

ولما كبر الابن ، أخذ يخرج مع الجن لصيد الأسود، ثم أخذ يتبعهم حيثما ذهبوا ، وأصبح هو الوحيد الذى يستطيع قتل الأسد بالسيف ، وأخذ يخرج معهم لسلب السكان فى المدن ، وأصبح هو الشيطان الذى يرهبه الناس .

ولما بلغ عمره الخامسة عشــر ، ســأل أمــه قــائلا " يــا أمى، أين أبــى ؟ "

فانفجرت فى البكاء ، وقصت عليــه كـل مــا لديــها مــن أخبار .

قال الابن " أصبرى ، إن شاء الله ، ســآتيك بــرأس أمــير إنكوى ، من له ابن مثلى لا ينبغــى أن يبكــى شــيئا ، ولــد واحد مثلى خير من عشرات من الرجال لا خــير فيــهم ".

ثم أعد مائتين من الجن ، وقصـــد إنكــوى ، فقابلــه كـل سكان المدينة ، فقتلــهم جميعــاً ومضــى لشــأنه ، وقبــل أن يصل إلى إنكوى وصل عددهم خمســة آلاف ، والجميــع مــن إنس وجن يؤيدونه ، فلمــا وصلــوا المدينــة أقــاموا دائــرة حولها، ولم يقولوا شيئاً حتى مل الجميع هــذا الموقــف ، ولــم يعرفوا السبب ، لقد بعــث إلــى والدتــه لتــأتى وتــرى مــا سيفعل ابنــها .

بعد أن وجدت جثة الأميرة التى أخـــبرتكم أننـــى قتلتـــها ، استعد الجميع للقتــال ، فحملــت ســلاحى وعــدت لممارســة هوايتى الحربية ، وفى هذه الليلة رأى صديقـــى زلزلــو ابــن ملك الجن مناما فـــى الليــل ، رآنـــى فـــى مدينــة الأمــيرة، ويحيط بى الكفار ليقتلونـــى ، وليــس لــى معيــن ســوى الله ورسوله، فلما استيقظ فى نفــس الليلــة ، أمــر بــدق طبــول

الحرب ، واستعد الرجال للحرب وركـــب الفرســان خيولــهم، والتف حوله ألف مـــن الجـــن يتعجبـــون مـــن خروجــه فـــى الليل، ولم يعرف أحد وجهته ، وقصد المدينـــة ليســاعدنى .

ولما وصل شعر أن الرؤيا تحققت ، فقـــد أحـــاطونى مـــن كل جانب وأخذوا يطعنوننى من اليمين ومـــن الشـــمال ، وأنــا أقول " إننى رجل واحد يغلب ألف ، أنـــا أبـــو جربـــا ! أيــها الكفار ألا تعرفون جنطوكـــى ؟ " وأخـــذت رؤوســـهم تســقط كما تسقط العاصفـــة أوراق الشـــجر ، وهجـــم الجـــن عليـــهم وفى الحال قضوا عليهم جميعًـــا .

وعندما انقشع غبار المعركـــة ، رأيـــت زلزلـــو ، فتبادلنـــا التحية ، فقال " رأيت فى المنـــام أمـــس أن الكفـــار يحيطـــون بك ؛ لذلك جئتك فى الحال " فشكرته ، وذكر لـــى مـــا فعلـــوه بأبيه مزلزلو ، وجمعنا ثـــروة كبـــيرة وعدنـــا إلـــى زلـــزو ، وبحثت عن شخص أمين ووليته الســـلطة فـــى المدينـــة بـــدلاً من الأميرة التى قتلتها بعد أن أســـلم الجميـــع .

وبعد ستة أشـــهر عزمـــت علـــى العـــودة إلـــى وطنـــى ، وحمل أربعة آلاف من الجن ما قدمه إلى زلزلـــو مـــن هديـــا، وحملنى زلزلو بنفسه ، ولم يتوقفوا إلا فـــوق ســـطح مـــنزلى صباحًـــا ، فـــنزلت وأيقظـــت أولادى ، وقلـــت لـــهم " أنـــا زوجكن جنطوكى " ، وكلما جـــاءت واحـــدة مـــن زوجـــاتى عانقتنى لشدة سرورها ، وبعد ذلـــك خرجـــت إلـــى المدينـــة ،

فعمها السرور ، وأخذ سكانها يهتفون جميعًا ، لقد عاد جنطوكى ، لقد عاد جنطوكى ، جاء الأمراء جميعًا لتحيتى، وعانقت جربا جاجرى ، وقبلت رأسه وأخذنا نبكى من شدة السرور والحنين .

حينئذ قلت لهم " هذه الجيوش التى تحيط بالمدينة من أين جاءت ؟ "

قالوا " لا نعرف ، لقد جاءوا وعسكروا ، ولم نقل لهم شيئاً ، ولم يقولوا لنا شيئاً " .

قلت " غدا ابعثوا إليهم برسالة ، ومهما يكن الأمر فليأتوا ، على الرحب والسعة " .

لقد كان قائد الجيش الذى أحاط بالمدينة هو ابنى الذى قصصت عليكم خبره ، لقد وصل مع والدته فى هذه الليلة، التى ينتظرون وصولها ، وها أنا أيضاً قد عدت ، لقد فارقتها منذ كانت حاملاً فى هذا القائد ، الله قادر على كل شىء . عندما طلع النهار ، استعد هو وجنوده ، وما معه من الجن وكل من إصطحبه ، وبدأوا القتال ، خرج ابنى وأخذ يتفاخر قائلاً " لا يخرج إلا أمراؤكم " ( لأنه لا يعرف أن والده استولى على المدينة وقتل جده ، والد أمه).

خرجت ، وبدأ القتال ، وتكسرت الرماح، فبدأت حرب السيوف ، حتى تلثمت ، وتعبت الخيول ، فنزلنا إلى الأرض ودارت المعركة بالأيدى منذ الصباح حتى الظهر، قال الناس " لم يتلق جنطوكى بفارس مغوار مثل هذا " وأمسك الابن أباه ، ورفعنى إلى أعلى ووضعنى فوق كتفه ، وكاد يلقينى على الأرض ، فعركت أذنه ، وكدت أقطعها ، فشعر الغلام كأن السماء قد وقعت على رأسه ، فصرخ قائلاً " تبت ، الأمان " ؛ فأمرت بوضعه فى الأغلال ، فهجم رجاله مرة واحدة ، وكذلك فعل أتباعى ، وبسرعة نشبت معركة حامية ، وصار صليل السيوف كالرعد يصم الآذان ، وفى الحال قضى على جيش الغلام ، وبعد ذلك جلست على الكرسى ، وطلبت أن يأتونى بهذا الغلام الذى قاد المعركة ؛ فلما جاءوا به قلت له " من أين جئت ؟ وما اسم أبيك ؟

قال " جنطوكى قائد جيوش المسلمين " .

قلت " جنطوكى أبو جربا، وكيف عرفت ؟ قال هكذا قالت لى أمى " فأخذ كل رجل فى الحاشية ينظر إلى أخيه" .

قلت " فكو وثاقه " ففعلوا .

قلت " أنى أعرف ذلك ، رجل ابـــن رجـــل ، إننـــى أعلـــم أنه لا يوجد سواى فى هذه الدنيا ينجب ولـــداً شـــجاعاً مثلـــك، من هى أمـــك ؟ "

قال " نور " فأمرت أن يأتونى بـــها ، فلمـــا رأتنى عـــانقتنى من شدة الســـرور، ودخلـــت إلـــى المـــنزل مـــع زوجـــاتى، وودعت زلزو ، وعاد ، وأخذ كل منـــا يقـــص علـــى الآخـــر كل يوم ما وقع له من أحـــداث .

بعد ذلك طلبت من جربا جاجرى الاســـتعداد لنعـــود إلـــى بلاد السودان لنقتـــل الأشـــرار والأوربييـــن الذيـــن ســـيطروا عليها ؛ لقد حاربنا الجن حتى أصلحنـــا أمرهـــم ، فمـــا بـــالك بـــالإنس ، إن إصلاحـــهم أيســـر علينـــا ؛ بعـــد أن وزعـــت رجالى وحددت لكل منهم المكان الـــذى يقيـــم فيـــه ، اتخذنـــا طريقنا ودخلنا مرة أخرى ، ولكن لم ندخـــل محـــاربين، لقـــد جئنا لنرى حالهم ومـــدى قدرتـــهم ، ووصلـــت الـــى الشـــيخ طلحة ، حماى ، وقضيت عنـــده يوميـــن ، ورأيـــت أخوتـــى الترنكاوى الذين فروا مـــن ســـكوتو ، ورأيـــت الذيـــن ألقـــوا الســـلاح ، واحـــترفوا الزراعـــة ، وذهبـــت إلـــى مصـــر ، ورأيتهم يعرفون كل شىء ، فقلت لـــهم " تحيتـــى لكـــم أيـــها المصريون من الصغير إلى الكبـــير " .

حينما تجولت فى البلاد رأيـــت الســـيطرة علـــى الســـكان بصورة لم أر مثلها من قبل ، رأيـــت العـــدل قـــد قـــام بيـــن

الناس ، فقلت لجربا جاجرى هـذا لا يحـدث إلا بـإرادة الله، والأفضل أن نقوم بتعليم الناس القراءة والكتابـة حتـى نجـد ما يعيننا على أداء فريضة الحج ، لعل الله يخفـف عنـا مـا اقترفناه من ذنـوب " .

فهب واقفاً وقال " لا ، لن يحدث هـذا ، لـن نحـترف إلا القتـال " .

فناديته وهمست فى أذنـه قـائلاً " أتعـرف فـائدة العلـم؟ أتعرف أن كل ما ذهب سيعود ؟ ولولا جـهلك لأدركـت مـا أعنى ، إذا رأيت الأمراء قد أقاموا العـدل ، وتركـو الظلـم ، يصير قتالهم أمراً عسيراً " ، عند ذلك وافق علـى رأيـى .

فقلت له " الأفضل أن أبعثك إلى مدينـة كتسـينا ، لأننـى أسمع أنها مجمع للعلماء الأفاضل وطـلاب العلـم " .

قال " سمعا وطاعـة " .

بعد ذلـك ذهبـت إلـى مدينـة كتسـينا ، أخـذت أبيـع وأشترى، وقد ألفت تلاميذ المدرسة التـى التحـق بـها جربـا جاجرى ، وبينما هم جالسون أمام حـانوتى يشـمون الـهواء، سمعت يوماً أحدهـم يقـول " يـوم الأحـد ، عشـرين مـن شهر أكتوبر ، إن شاء الله فـى هـذه الوقـت سـنذهب إلـى مدينة زاريـا " .

فسألته السبب فقال " سنذهب إلـى زاريـا لـنرى سـمارو والمحطة ومعسكر الجنـود " .

لعلك تعرف أن من شب على شيء شاب عليه فقلت " سأذهب معكم ، لا ينبغى أن ننتظر حتى نسمع الأخبار ، لابد أن نرى بأعيننا ، فالرؤية خير من السماع".

ومرت الأيام حتى جاء اليوم ، فاستأذنت من أسرتى ، ونبهت على جربا جاجرى ، بأن يهتم بعمله ، واتخذنا طريقنا حتى وصلنا إلى مدينة كانو ، حيث رأينا طائرة ينظر إليها أهل المدينة صغاراً وكباراً فى دهشة واستغراب ، ولكن هذا لم يدهشنى لأننى رأيتها فى مصر، وها هم فى كانو مثل الجراد ، ولما غادرنا كانو ووصلنا إلى زاريا، توجهنا إلى المحطة فى حى سمارو ، لم أر مثل هذا فى وطنى ولكنى رأيته فى الشرق ، ولم يدهشنى شيء كما أدهشنى ما رأيته فى معسكر الجنود ، وقد رأيت الرجال قد حملوا السلاح يروحون ويجيئون حاملين السنكى والبندقية فى وسط الميدان ، فشعرت بجسدى يقشعر ، وبدأت جذوره تتحرك ، ورأيت ما لم أره وسمعت ما لم أسمعه ، فقلت " ويحى الأمس غير اليوم ".

ذهبنا أولاً إلى من يطلقون المدافع ، ورأينا كيف توضع فيها الطلقات وكيف يوزع عليهم العمل على المدفع ، وكيف يصدر إليهم الأمر بإطلاق النار ، وفى كل مدفع مرآة يرون فيها الهدف الذى يطلقون عليه النيران ، الذى تقربه إليهم هذه المرآه حتى يخيل للإنسان أنه يستطيع أن يمد يده ويلمسه ،فإذا وضعوا القذيفة ،

وصوبوا المدفع على الهدف تماماً جاءوا بالرصاص ، ووضعوه فى ثقب فى المدفع فيخرج من فوهته ، ويحدث ما يحدث من دمار .

وذهبت مع التلاميذ ، ونظرت فى هذه المرآة ، فرأيت مدينة ززو ، كأننى أستطيع أن أمسكها بيدى ، فقلت " نعم، إن هؤلاء الرجال لهم شأن عظيم "، ورأيت ضمن هؤلاء الرجال " إندا غانا " عرفته من مشيته والوشم الذى رسم على شفتيه ، فقلت فى نفسى " هل هذا إندا غانا ؟ " وانصرفت بفكرى عن هذا الأمر .

بعد ذلك رأيت الجنود فى كل مكان ، يحملون اللاسلكى فى أيديهم يتحدثون مع بعضهم ، ودخلنا حجرة كبيرة فلم نجد فيها إلا المدافع يصلحونها ، فقلت فى نفسى: " أهكذا تغيرت الحياة !! أم أننى فى حلم غريب؟".

وواصلت السير مع التلاميذ فرأيت العجب ، فقد كان الجنود يستقبلون الأوامر باللاسلكى ، ويستعملون الأعلام، فيحرك أحد الجنود العلم فى يده ، فيرد عليه جندى آخر من بعيد ، فيحرك العلم الذى يمسكه بطريقة خاصة ، ويستعملون المرايا كذلك التى ثبتت على بعد ميل، فيتحدث الإنسان من خلالها إلى الجندى القريب منه فيمده بالمساعدة ، وواصلنا السير حتى وصلنا إلى من يضعون الذخيرة فى بنادق طويلة ، إذا أطلقت يخرج الرصاص

ويصعد إلى أعلى، ويطلقونـــها علـــى الطـــائرات المعاديـــة ، ويستطيعون رفع رؤوسهم إلى أعلـــى مـــن خـــلال الخنـــادق التي حفروها ، وقد أطلقت أمامنا القذائف فلـــم نرهـــا عندمـــا ارتفعت فى الفضاء ، ولم نعرف أيـــن ســـقطت .

وعندما عدنا ذهبت إلى الجنـــدى الغـــانى ، وحييتـــه فقـــال لى : سيدى ، ألست جنطوكـــى ؟

قلت " نعم أنا جنطوكـــى " .

فقال " ألم تعرفنـــى ؟ "

قلت " أنت إندا غانـــا " .

قال " نعم ، أطال الله حيـــاتك " .

وبدأ يقص علىّ أخباره منذ أن افترقنـــا ، وكيـــف حصـــل على هذا المنصب الكبير فـــى جيـــش غانـــا ، وســـألنى عـــن سيدته ، فقلت له " لقد ماتت هنـــاك فـــى بـــلاد الجـــن "، ثـــم سألنى عن جربا جـــاجرى .

فقلت له " لقد التحق بالمدرسة ، وصـــار معلمـــا " .

فقال لى " وما أخبار حربـــك ، وانتصـــاراتك ؟ "

قلت " اترك الحديث فى هذا الأمر يا بنـــى ، الجـــهل هـــو الى جعلنا نحاربـــهم " .

# المــــاء الشـــافى

# Ruwan Bagaya

تأليف : الحاج أبو بكر إمام

كان يعيش فى عهد الشيخ ابن زيـــازينو رجـل مجنـــون ، كان يسمى كوجى **Koje** أمير القصـــة ، وســمى بـــهذا الأســم لأن جنونه لم يكن يدفعه إلى سب أحـــد ، أو ضـــرب أحـد ، ولم يكن يريد شيئاً سوى ســـماع القصـــص ، فـأخذ يطــوف فى البلاد ، يقص على الأغنيـــاء والأمـــراء قصصـــه ، وهـــم فى مقابل ذلك يقدمون لـه الطعام ، فإذا قـــص لـــك قصـــة لـــم تسمعها من قبل ، وأعطيته مالا ، يأخذ جـــزءًا ممـــا أعطيتـــه ويرده إليك، على أن تقص له قصة لـــم يســمعها ...

وهكذا يطوف فى البلاد ، حتـــى شـــاء الله أن يـــنزل فـــى بلدة اسمها كونتا جـــورا **Kwantagora** ، وهـــى بلـــدة كبـــيرة فى بلاد السودان ــ غـــرب إفريقيـــا ــ فذهـــب إلـــى أمـــير المدينة ونزل عنده ، وبعـــد أن أنـــزل متاعـــه ، خـــرج إلـــى باب النصر ، وبدأ يمـــارس هوايتـــه فـــى طلـــب القصـــص والاستماع إليها ، وظـــل حوالـــى ثلاثـــة أيـــام يقـــص علـــى الأمير قصصه ، ويســـتمع إلـــى مـــا يقصـــه عليـــه رجـــال الحاشية ، مقابل ما يقص علـــى أمـــيرهم .

وبينما هو يتجول فى المدينة ، وصل إلـــى مبنـــى ضخـم به حجرات كثـــيرة ، ووجـــد خدمـــا يجلســـون علـــى بابـــه، فسألهم " بيت من هـــذا ؟ "

فقالوا " من فــــى هــذه الدنيــا كلــها لــم يعــرف الحــاج إمــلم!!؟؟ "

قال أمير القصة " هل ســــيخرج الآن ؟ "

قالوا " وماذا سيخرجه الآن ، طالما أن الظـــــهر لــم يحــن حينه ؟ "

حان وقت الظهر ، فسمع وقع الأقدام تف تــف تــف فقــام كل الجالسين فـــى الممـــر ، فلمـــا ظــهر رب البيــت خــروا جميعا راكعين ، تحية له ، فلمـــا جلــس نظــر إلـــى كوجـــى Koje وقال : من هـــذا ؟

قال كوجى : أنا أمير القصة ، جئـــت هـــذه المدينـــة منـــذ عشرة أيـــلم .

وقص لـــه كــل شـــىء عــن هوايتــه لســماع القصــص الغريبة، وكيف يدفع له ... وما يدفـــع لـــه ، ثـــم ســأل هــل يشـــترى ؟

قال رب البيت : لا بـــأس ، قــل وسأســتمع إليــك ، لقــد نلت اليوم ما تتمنـــى .

فابتسم كوجى وقال : وهو كذلك كل منا نال مـــا تمنـــى .

ثم بدأ أمير القصة يقص أخبـــاره ، ولـــم يتوقـــف ، ولمـــا قص حوالى ثلاثين قصة قال لرب البيت : ادفـــع ثمـــن هـــذه القصص حتى أحس بالقوة التى تدفعنـــى للاســتمرار .

قال رب البيـــت : زد .

فأخذ يقص حتى تعب ، ولمـــا انتـــهى مـــن الحديـــث قـــال رب البيـــت :

كل قصصك لا تستغرق وقتـــاً أكـــثر ممـــا بيـــن الصبـــح والمغرب ، ومع ذلك يسمونك أمير القصـــة ؟ ثـــم قـــال لـــه : عد غداً أنت وأصحابك جميعا ، وسأقص عليـــك أخبـــار كـــل ما عملته فى هذه الدنيا ، حتى شـــاء الله أن أجمـــع كـــل هـــذه الثروة التى تراها ، وســـأحاول أن أختصـــر هـــذه القصـــص حتى أقصها عليك فى عشرة أيـــام .

فودعه كوجى أمير القصة وانصـــرف.

وعندما طلع صباح اليوم التالى ، حضر وجلس ليستمع إلى رب البيت ، وبعد أن ظهرت الشمس بقليل خرج ، فصبح عليه الرجال الذين ينتظرونه فى مدخل القصر ، ثم جلس على كرسيه واضجع ونظر إلى كوجى وقال له : كم أذنا لك ؟

قال : اثنان

فقال رب البيت : ضف إليها الثالثة حتى تحسن السمع.

قال كوجى : وهو كذلك ، شكراً .

## الباب الأول

## الحاج يخرج للبحث عن الماء الشافى :

قال رب البيت : أولا ، اسمى الحاج إمام ، كان والدى عالمًا كبيرًا من علماء أمير السودان ، اسمه نا ــ بكن ــ كوجى NA BAKIN KOGI وقد تقدم به السن حتى بلغ الكبر ، ولم يرزق بمولود ، حتى ولو ميتا ، مما سبب له حزنًا شديدًا ، فهو يملك الكثير من الكتب الضخمة ، ولم يجد لها وارثا ، ولكن له زوجة ، لها ابن من رجل آخر ، كان شيطاناً ، يقال له سقيمو SAKIMU ، مهما يقدم له أبى من خير ، لا تقابله الأم أو الابن بالشكر .

وذات يوم ـــ وهو على هذا الحال ــ كبر الولد وصار شجاعًا ؛ وأصبح فارسًا ، وبعد أن بلغ الخامسة عشر من عمره ، وأحس بقوة الشباب ، أخذ يخرج إلى القرى المجاورة ، ويقطع الطريق ، وينهب الناس ، وقد حاول أبى كثيرًا ، أن يمنعه فرفض ، فأمر بحبسه .

وبعد أن قضى ثلاثة أيام فى الحبس ، أمر بإطلاق سراحه ، فعاد إلى البيت غضبان ، ويحس بالضيق ،

ولكنه لم يظهر شيئاً ، ولما أقبل الليل ، أخـــذ سـيفه ، وتســلل إلى حجرة نوم أبى ، وقطع رأسه ، وأخذ الجثـــة وكفنـــها.

وعندما طلع النهار ، خرج إلى الأمير وقـــال لـــه إن أبـــاه قد مات فى الليل ، بعـــد أن أحـــس بمغـــص شـــديد، فـــاجتمع الناس ، وشيعوه إلى مثواه ، ثم تفرقـــوا ، واجتمـــع النســـوة ، وأخذن يبكين كالعادة ، ثم ســـكتن .

وبعد مرور أيام على مـــوت أبـــى ، رأى ســـقيمو رؤيـــة، رأى أبى واقفاً ، ورأى شيئاً صغـــيراً كـــانواة التمـــر يخـــرج من ذكره ، ثم أخذ ينمو حتى صـــار كالأســـد ، وعندمـــا بلـــغ ذلك انقض على سقيمو وقتلــــه .

هذه الرؤية أقضت مضجعه ، فلما طلـــع الصبـــاح ، جمـــع علماء التنجيم ليضربوا له الرمـــل.

أخذ العلماء يخطون على الرمل خطوطـــا ، ثـــم يمحونـــها، عدة مرات ، وأخيراً قال كبيرهم: ستلد إحـــدى نســـاء الشـــيخ الذى توفى فى هذا البيت ولدا سيقتلك ؛ فقـــال ســـقيمو : مـــع أننى لا أعرف فى هذا الفـــن ، إلا أنـــه كـــذب ، فـــرب هـــذا البيت لم يسبق له الإنجاب، اغربوا عـــن وجـــهى ، كهنـــة لا فائدة منـــهم .

فنفض كل منهم يده من الرمال ، وانصرف فـــى خجـــل.

وفى منتصف الليل استيقظ سقيمو من نومه ، وأخذ يفكر ويدبر ، وتذكر ما قاله المنجمون ويقول : كما يجب أن نخاف الله ، يجب أن نخاف قول المنجمين كذلك ، الأفضل أن أهلك هؤلاء النسوة الأربع كلهن ، قبل أن يوفين العدة ، كيلا تصير أقوال أصحاب اللحاة الطويلة حقيقية .

لذلك فكر فى الحصول على سم ليدسه لهن ، واحدة بعد الأخرى، حتى يمتن ، فيقال إن الحزن على فراق زوجهن قتلهن ، ولكن والدتى كانت قد تركت المدينة قبل ذلك ، فمنذ وفاة والدى ، أخذها أبواها لتعيش معهما فى القرية التى يعيشان فيها .

ولكن سقيمو لم يتركها ، فأرسل خادماً من خدمه الأشرار إلى هذه القرية ، وشرح له ما سيفعله حتى يسرقها ، ويخترق بها الغابة ليقتلها، فلما أقبل الليل وضع الخادم السرج على الحصان ، وذهب وسرقها ، بعد أن ربط فمها وذهب بها خارج المدينة ، حيث أخفى حصانه، وضعها مقيدة على الحصان ، واخترق الغابة بها بسرعة شديدة ، حتى اقترب الصباح ، فوقف واستل سيفه ، ليقتلها فوطئ ذيل حية ضخمة ، فلدغته ، فسقط فى الحال ميتاً ، واخترق الحصان الغابة جريا .

تحيرت والدتى ، ولم تعرف شرقاً ولا غرباً ، وخافت أن تسأل عن الطريق إلى المدينة ، ومرت أيام عليها وهى تسير على غير هدى ، حتى وصلت إلى هنا، إلى " كونتا جوار "، وأراد الله أن تبلغ فى هذا الوقت الشهر الثانى من حملها ، ومرت الأيام ، وكبر الجنين ، ثم ولدتنى هنا، فى بيت أمام المدينة ، فسميت باسم الحاج إمام ، لأن إمام المدينة لم يكن له ولد أو حفيد ، لذلك قال إنه وجد ابنا وسمانى إمام ، أى الإمام الثانى من بعده .

وكانت أمى تسمى " ياقوتة " ، عندما بلغت الأربعين يوما من الولادة ، عقد لها على إمام المدينة ، وهكذا حتى بلغت الثانية عشرة من عمرى ، وقد حاول الإمام كثيراً أن يعلمنى القراءة ، ولكنه فشل فى ذلك، وها أنا قد كبرت، ولا أعرف حتى الألف ، ومع ذلك جعلنى كابنه تماماً ، ولم ينظر إلى نظرة غضب واحدة ، ولا ضربنى.

وذات يوم ، بعد أن انتهيت من صلاة الجمعة ، رأيت الإمام ــ أبى ــ يعود إلى البيت، وعيناه يسيل منهما دمع غزير ، فقابلته باكياً وقلت له : بابا عافية .. فقال : أين هى العافية ؟ !! لقد أحرجنى الأمير اليوم أمام الناس .

ولما سألته عن سبب ذلك قال : لأنه كان يجلس بين رجال الحاشية اليوم فقال إن ابنه ياريما **Yarima** مريض ولا يستطيع الحركة ، فقلت له : سمعت أنه يقال لو وجد

الماء الشافى ، فى أية مدينة لارتاح كل سكان هذه المدينة من وباء هذا الزمان ؛ لأننى قلت هذا الكلام البسيط ، غضب الأمير ، وادعى أننى أسخر منه .

عندما سمعت أبى يقول ذلك غضبت ، فعدت إلى البيت وأخذت عصاتى الصغيرة ، وذهبت إلى حجرة أبى، وطلبت المغفرة منه ، وقلت له سأتجول فى الدنيا ، وخرجت من المدينة من الباب الشرقى ، تفاؤلاً فقط ، وليس لمعرفتى للجهة التى سأقصدها ، وأخذت طريق تمبوكتو، سرت كثيراً ، وبعد أن سرت سبعين يوماً ، رأيت على البعد صخرة فى وسط غابة لا حياة فيها ، فقلت فى نفسى : لأذهب إلى هذه الصخرة ، ربما أجد ماء أسد به رمقى .

قصدت الصخرة مباشرة ، وعندما وصلت إليها ، رأيت كهفاً كبيراً ، فتوقعت أننى سأجد فيه ماء ، فأطللت برأسى فيه ، ثم توغلت بداخله وسمعت من يقول لى : أنت إنسى أم جنى ؟ !!

عندما سمعت ذلك ، أسقط فى يدى ، وخفت وأخذ كبدى يرتعش ، ثم تشجعت وقلت : إنسى ... فرأيت شيخاً كبيراً يقبل علىّ ، وهو يمسك مسبحة فى يده، وسألنى عن قصتى ، فقلت له كل شىء من البداية حتى النهاية .

ولما عرف أن فى نيتى الوصـــول إلـــى المـــاء الشـــافى ، صرخ صرخة شديدة ، وقـــال :" يـــا والـــدى أنـــت إنـــس أم جن؟ ما دفعنى إلـــى أن أســـأله هـــذا الســـؤال إننـــى رأيتـــه يحشرج حشرجة وصلـــت إلـــى صـــدره ، فأجـــابنى قـــائلاً : إننى إنسى ... أخوك ، قضيـــت هنـــا ســـبعين عامـــاً ، فـــى العبادة ، لم أر مخلوقا قط ســـواك اليـــوم .

وبدأ يقص علـــىّ قصتـــه ، وقصـــة مدينتـــه ، وأقاربـــه ، فأحسست كأنه أبى الأخ الأكبر للإمـــام ، الـــذى طالمـــا قـــص علىّ الإمام قصته ، وقال إنه هام علـــى وجهـــه فـــى الدنيـــا ، ولم يعرف أين هو الآن ، ولما انتـــهى مـــن كلامـــه عرفتـــه بنفسى ، فأخذنا نتعانق ونبكى فرحـــاً ، وســـألنى عـــن أخبـــار المدينة فقلت له كل شـــىء .

قضيـــت يوميـــن عنـــده لأســـتريح ، وآكـــل مـــن ثمـــار الأشجار ، لأنها طعامه الوحيد ، وبعد أن تآلفنـــا طلبـــت منـــه أن يضرب لى الرمـــل ، ليحدثنـــى عـــن أخبـــارى وأخبـــار نيتى، فضربه وقال لى : إن الماء الشافى موجـــود فـــى هـــذه الدنيا ولكنه تحت سيطرة الجـــن ، وليـــس علـــى ظـــهر هـــذه الأرض التى تطأها قدمـــاك الآن .

وعندما انتهى من قص خبره قلـــت لـــه لا بـــأس ، طالمـــا أنها موجودة فى هذه الدنيا ، سأبحث عنـــها إلـــى آخـــر يـــوم

من حياتى ، مع أن الإمام زوج والدتى ، ولكننـــى لــن أسـمح لأحد أن يهينــه .

بعد أن قضيت سبعين يوماً فـــى الرحلــة ، وصلــت إلــى مدينة تمبوكتو ، فأعددت نفسى كمـــا يعــد التجــار أنفســهم ، وذهبت إلى الأمير ، وقلت له إننـــى تــاجر ، وتجــارتى فــى أعقابى ، ستصل بعد ثلاثة أيام ـ ما دفعنـــى إلــى أن أقــول له ذلك إننى تركت ماشية أحد التجار خلفى فـــى الطريــق .

لعلك تعرف رحيـــل الرجــل المفلــس ، لا ينــام إلا فــى استراحة التجار فى الطريق لذلــك تركــهم .

وتعودت أن أشـــترى مــاء كــل يــوم ، وشــربه بثلاثــة قروش ، وأخرج إلى باب البيت الذى أنـــزل فيــه ، وأصبــها فى كل مكان ، لأنه كان لدى صديق غنـــى ، يــأتى لزيــارتى كل يوم فى المغرب ، فإذا جلس لتحيتـــى أقــول لـــه : كــش الأولاد وسخوا الأرض بالشربة ، فــإذا التفــت ليجلــس فــى الغرب قلت له ، وهنا أيضاً ، وإذا التفـــت جنوبــاً أو شــمالاً، أقول له وهنا أيضاً ، كل المكان وسخوه ، حتـــى يظــن أننـــى غنى ، أطعم كل فقراء المدينة ، منذ أن جئـــت ، فـــى الوقــت الذى أعيش فيه على الكفـــاف .

وبقدرة الله ، بدأ الجميع يعتقـــدون ذلــك، حتــى اســتطعت أن أقترض منه حوالى خمسين جنيـــها ، وكـــل يـــوم أتحـــايل عليه قائلاً ، عندما تصل ماشـــيتى ، لـــن أبيـــع لأحـــد ســـواه

فقط ، وسيمسك أى ثور ، ويخفض فى ثمنـــه كيفمــا يشــاء ، لأنها كلها ملكـــى .

ومضى ثلاثة أيـــام ، ولــم تصـــل ماشـــيتى ، وذات يـــوم رأى بعض التجار ، فقال لى :لنسألهم عن أخبـــــار ماشـــيتك؛

فأجبته : يجب أن نسألهم .

فقابلتهم وسألتهم : هل تركتم ماشية كثـــيرة وراءكــم ؟

فأجابوا : نعم ستصل غـــداً .

أى الماشية التى تركتها ورائى ، قـــد رأوهـــا.

وعندما أحسست أنه إذا وصلـــوا غـــداً سيكتشـــف كذبـــى ، ذهبت إلى بيت هذا التاجر وقلت له : أريـــــد خمســـين جنيـــهاً أخرى ، قبــــل أن تصـــل الماشـــية فـــى الصبـــاح وتبـــاع ، فأعطانى فى الحال ، وبذلك اقترضت منه مائـــــة جنيــــه .

وبعد أن خرجت من عنده ، اخترقت الغابـــــة ، بـــدلاً مـــن اتباع الطريق العام ، وبعد أن سرت واحـــداً وأربعيـــن يومـــاً، وصلت إلى مدينـــة يقـــال لـــها " ســـابورى **Saburi** " وهـــى مدينة كبيرة ، ولكن كل ســـــكانها جـــهلاء تمامـــاً ، لا يوجـــد فيهم من يعرف حتى الألف إلا أنـــا فقـــط ، وأنـــا أيضـــاً ، لا أعرف شيئاً مـــن القـــرآن ، إلا آيـــة واحـــدة ، كنـــت أســـمع المعلـــم يقرؤهـــا دائمـــاً ، إذ صلـــــى الــــتراويح وهـــــى " مدهامتـــان " :

عندما وصلت أخــذت مســبحة طويلـــة ، وقصـــدت بيــت الأمير ، وقلت له إننى عـــالم .

فقال : من أيــن ؟

قلت : من البلاد العربيـــة .

عندما سمع الأمير ذلك سر بقدومى ، وقـــال : إلــى أيــن ذاهب ؟

قلت : سأبقى هنا ، لقد كنت أرى دائماً فـــى منـــامى هــذه المدينة ويطلب منى أن آتى لأعلمكم الصـــلاة لتدخلــوا الجنــة كلكم بسبب عدلك يا أمــير.

لما سمع الأمير ذلك ، جمع كبـــار رجــال المدينــة كلـــهم وأخــبرهم .

جمعت ستة لأعلمهم الصلاة ، ولم أعرف مـــا أقــول لـــهم، مكثت كل يوم أعلمهم هـــذه الآيـــة "مدهامتـــان " وجــاء كـــل أبناء المدينة ، لأعلمهم القراءة ، وبعد أيام قلائـــل حفــظ كـــل واحد منهم "مدهامتان " ومـــن حفظـــها جيــدا أخــذ يرددهـــا بطرق مختلفة ، فمرة يرفع صوتـــه ، أو يخفضـــه، أو يخـــرج صوتا مختلفا حتى يحفظها تمامـــا .

بعد أن مكثت حوالى سبعة أشـــهر ، حضـــر إلـــى المدينـــة ذات يوم أحد العلماء فأخبره الأمـــير قصتـــى وشـــهرتى فـــى المدينة كلها ، ولعلك تعرف أن العلمـــاء يعيبـــون زملاءهـــم ،

فجاء وتبادلنا التحية ، فى هذا الوقت جمعت مالاً كثيراً ، لأننى كنت صاحب الأمر والنهى فى المدينة، حتى جعلونى كالصنم الذى يعبد .

وعندما وصل هذا العالم وتبادلنا التحية قلت :

ما اسمك ؟

قال : اسمى المعلم زرقية بن محمد ، وأنت ما اسمك؟

قلت : المعلم الحاج إمام ، معلم المعلمين .

عندما طلع النهار ذهبنا للصلاة ، فأحس أننى لا أعرف شيئا ، فأخذ يهاجمنى لدى الأمير ، وطلب أن يمتحننا معاً ، ليرى من منا الأعلم ، فقال الأمير : لا ، المعلم الحاج إمام لا يغلبه أحد فى هذه الدنيا كلها ، ولكن المعلم زرقية بن محمد أصر على طلبه ليحرجنى ، ليسخر الناس منى .

وذات يوم ناداني الأمير وأخبرنى بما قال هذا المعلم له ، فلما سمعت ذلك قلت فى نفسى " اليوم انكشفت كذبة الرجل " .

قال الأمير : لم أسمعك تقول شيئاً ؟

فقلت : لابـد أن يكـون ذلـك ، فـالعلم القليـل مضلـل، وطلبت من الأمـير أن يعلـن علـى النـاس الحضـور فـى صباح الغد ، كباراً وصغاراً ، لمشـاهدة المناقشـة .

فلما سمع الأمير ذلك رفع يده تحية لى وقـال " عـالم ابـن عالم " .

وفى الصباح تجمع الناس فبعث الأمـير إلـىّ ، فحضـرت وجلست وسط الناس ، وبينما أن جـالس رأيـت ثلاثـة أولاد يحملون كتاباً كبيراً ، فقلت " من أيـن جئتـم ؟ قـالوا : مـن منزل المعلم زرقية بن محمـد " .

وبعد قليل حضر المعلم زرقيـة ، فـأعطى فـروة وجلـس عليها ، وحوله كثير من الناس ، بعد أن تبادلنـا التحيـة قلـت " هذه الكتب جمعتـها ؟ " .

فقال : عندى التوراة ، والزبـور ، والإنجيـل ، والقـرآن، والسمرقندى الأول والثانى ، وكتب أخـرى لا أذكـر اسـمها، ولم يسبق لى أن سمعته ، فقلت له : اف كل هـذه الكتـب لـم تحفظها ... ثم تقول إنك تريـد مجـادلتى ؟؟ !!

فنظر إلىّ مبتسماً ، فقلت لبعض الأطفـال " انقلوهـا فـى ذلك الركن ، سنرى نحن وأنـت، مـا فـائدة معرفـة الكتـب فقط ، كقراءة الببغاء ؛ فنقلـها الأولاد .

بعد أن هدأ النـــاس وســكتوا ، كنســت الأرض ، وكــأني سأضرب الرمل ، ورسمت علامــــة هكــذا ) ونظــرت الــى المعلم زرقية وقلت : ما هـــذه ؟

قال : نــون .

قلت : ويحــك ، لا .

قــال : راء .

قلت : هكذا الراء فى بلدكــــم ؟

قــال: لام .

قلت : أى معلم جاهل علمك ذلـــك ؟

ظل يخمن حتى ذكر حــروف القــرآن التـــى تشــبه هــذه العلامة كلها ، فقلت كذاب ، فقال إنه عجـــز عـــن معرفتـــها، فقلت للناس : قربوا ، انظروا ، ونظـــر النـــاس وقلــت هــذه ليست راء ، وليست لام ، وليســـت نــون ، إنــها هــلال أول الشهر ؛ فنظر الجهلاء إلى رسمى وقـــالوا : هــو كذلــك يـــا معلم المعلمين، هذا هـــلال .

فنظرت إلى المعلم زرقية وقلــت لــلأولاد " التفــوا حولــه وارجموه بالحجارة ... فالتف الأولاد حولـــه وأخــذوا يقولـــون " ايهو ـــ ايهو ... فخرج من المدينـــة هاربــاً ، ولـــم يتذكـــر شيئاً حتى كتبـــه تركـــها، وتبعـــه الأولاد يرمونـــه بالحجـــارة حتى نجا منهم بصعوبة ، وهكذا تخلصت من هـــذا المعلـــم .

## الباب الثانى

## الحاج مع المعلم زرقية فى السجن :

بعد أن قضيت اياماً قلائل ، وصلت إلى مدينة تسمى ياميل Yamel ، وعندما اقتربت من المدينة سمعت دقات طبول كثيرة ، وأصوات صفارات مختلفة ، وأفرحاً كثيرة، وأثناء سيرى رأيت ولداً يجرى متجهاً إلى مكان الاحتفال ، فناديته قائلا : أنت يا غلام ماذا حدث فى المدينة اليوم ؟

قال الولد : جاءوا اليوم بزوجة الأمير المفضلة .

قلت : من أين ؟

قال الولد : أبنه أمير قرية النعم ، لقد زوجوها الأمير.

عندما دخلت المدينة لم أجلس إلا عند باب القصر، الذى أقيم فيه الفرح ، ثم دخلت الفرح مدعياً أننى أعرف كل شىء ، وأظهرت السرور على وجهى وكأنها ليلة حنة أخى الأصغر، وفى الحال اشتهرت لدى الهتيفة ، ولما سألونى عن اسمى قلت : الحاج إمام يحى الناس فى الفرح بشلنين ... ، شلنين ، أما أنا فأحيى بجنيه ... جنيه،

هذا السرور الذى أظهرته جعل الأمير يرحب بى ، وتصادقت مع ابن الأمير حتى أصبح لا يفرق بيننا سوى الليل فقط .

وأصبحت حيثما أذهب ألقى التحية من رجال القصر والأغنياء والعلماء وكل رجال المدينة ، وهكذا صرت فى المدينة ، لذلك أخذ يقصدنى كل من أراد أن أتوسط له طلباً للسلطة.

وبمرور الأيام انتقلت إلى المدينة ساسا **Sasa** ، وما كدت أدخل المدينة حتى وفقنى الله ، فنزلت فى بيت أحد الأثرياء الشوام ، وتصنعت عدم المبالاة كأننى رجل من الأولياء ، فلما رأى الرجل ذلك بدأ يصاحبنى ، وبعد أيام قليلة جعلنى خادماً له ، وسلم إلىّ كل أموره ، فغرقت فى الثروة ، لا أعمل أبيض ولا أسود ، سوى أكل الطعام وغسل اليدين .

رويدا رويدا بدأت أدخل فى مشكلة المكسب والخسارة، فأقيم الحفلات الموسيقية ، وأخذ الطبالون يقولون لى : يا حاج لا تفسد حجتك ، وأنا أقول لهم " لقد جئت وسأعود كما جئت " وابتدعت بدعة بالمدينة.

فحينما تسير تجد الناس قادمين للاحتفالات التى أقيمها، لقد كنت أفعل فى المدينة ما أشاء ، حتى سمع الشامى

ذلك ، فبدأ يعمـــل الحيـــل ليقبــض علـــىّ ويســـجننى ، فـــإذا نصب لى فخاً من هنا تخلصت مــن هنـــا .

وعندما رأى ذلك ، بعـــث ذات يــوم مــن يخــبرنى أنـــه مات، فجـــاءوا وقـــالوا لـــى ، وألحـــوا علـــىّ لأذهـــب لأرى بنفسى ، لأنه ليس له سواى ، فلا ابن ولا حفيـــد لـــه .

وكنت أعرف حال الشامى ومكره ، ولـــولا إلحـــاح النـــاس ما ذهبت إليه، قالوا لى إنه فى هذه الحجرة، لـــم يدفـــن حتـــى الآن ، حتى أحضـــر لأننـــى كابنـــه ، ونظـــرت مـــن نـــافذة الحجرة ، فرأيته نائما فاتحا فمــــه ، منتظـــرا دخولـــى عليـــه الحجرة ليقبض علـــى .

عندما نظرت إليه جيدا شـــككت فـــى موتـــه ، فقلـــت " الله أكبر " ولكن لا أظن أنه مـــات" .

فقال الرسول الذى استدعانى " ســـبحان الله ... لمـــاذا ؟ "

قلـــت : لأننـــى ســـمعت أن الشـــوام لا يموتـــون وفمـــهم مفتوح، لابد أن يقفلوه ، وهـــا هـــو الشـــامى يمـــوت وفمـــه مفتوح .

عندما سمع الشامى كلامى أغلق فمـــه لكـــى أصـــدق أنـــه مات ، وكأننى عبيط ؛ عجيبة : هل الميـــت يتحـــرك ويقفـــل فمه ؟ عندما رأيت ذلك خرجت هاربـــا.

أحسست أن الإقامة في هذه المدينة أصبحت غير مناسبة لي فخرجت منها وسرت في الغابة ، فرأيت قرويا يسير ومعه مائة جنيه إلا شلنا وخمسة قروش ، ولما سألته عن مصدر هذا المال ، قص علي كيف حصل عليه، وكيف أنفق شلنا وخمسة قروش ، وفي الطريق أراد أن يقف ويقضي حاجته ، فأعطاني المال لأحفظه له، أي أنه صار رفيق الرحلة.

وعندما انتهى ، قال لي هات المال لنفترق ، فقلت له دون حياء ولا خوف أعطيك ماذا ؟ !! هذا مالي ... واشتد الجدال حتى كبرت المشكلة فذهبنا إلى بيت القاضي ــ الذي أعرف من قبل ذلك أنه يحصل على رشوة ــ وعندما سألني فأجبته كأنني صادق تماما ، ثم سأل الفلاح ، ولكن الدهشة منعته من قول ما يستند إليه القاضي في حكمه .

فقال له القاضي : هل لديك شهود ؟

قال الفلاح : لا .. الله ورسوله .

ثم التفت إلي وسألني : وأنت هل لديك شهود،يا شاب ؟

قلت : نعم .. غفر الله لك يا معلم .. لدي كثيرون .

فقال : من ومن لديك ؟

قلت : المعلم طلحة وأخوه شاهدان ، المعلم سليمان وأخوه الأصغر ، المعلم هاشم وأخوه شاهدان ، وها هو أصغرهم المعلم مختار يشهد ، وبعض الناس حوالى مائة قادمون فى منتصف الليل كلهم سيشهدون .

عندما سمع القاضى ذلك فهم كلامى ، فالمعلم طلحة وأخوه معناهما شلنان ونصف والمعلم مختار معناه ثلاثة قروش ، ومائة رجل قادمون فى منتصف الليل معناه مائة شلن ، أى أنه فى منتصف الليل سأحضر له ، مائة وستة شلنات إلا ثلاثة قروش ، إذا حكم لى ـ هذا الزمن لا يصدق فيه إلا الأثرياء ـ وفى الحال حكم لى المرتشى ، فحبس الفلاح ثلاثة أشهر ، بحجة أنه سرقنى ، وفى الليل أحضرت له كل هذه النقود وعدت لما أنا فيه .

وذات يوم ذهبت خارج المدينة للنزهة ، فوجدت عقدا من المرجان ، ولم أعرف أنه عقد ابنة الأمير ، الذى سرق منها ، فأخذته إلى السوق لأبيعه ، وعندما رآنى الناس قبضوا على ، وقادونى إلى دار القاضى ، وقالوا إننى سرقته ، فحكم على بعشرين جلدة ، وحبست ثلاثة أشهر ، وفى السجن التقيت بالفلاح الذى سلبت نقوده ، وجعلت القاضى يحبسه أول أمس ، وعندما التقينا عن قرب قال لى : الله أكبر ما حدث لى حدث لك .

لقد جمعوا أقدامنا معا وربطوها ، ورأيت سجينا فنظرت إليه من أسفل إلى أعلى فوجدته يشبه المعلم زرقية بن محمد ، الذى جعلتهم يرجمونه فى مدينة سابورى مدينة الجهلاء ، فذكرته بحادثة هذا اليوم ، فقال: ويحك ... إننى كنت أشك فى معرفتك " ، وقص كل منا للآخر كيف افترق وما حدث له .

بعد ثلاثة أشهر أطلق سراحنا ، فاسترحنا يومين ، وتهيأنا للسفر معا إلى.مدينة رس **Ris**؛ فقد أصبح رفيقى ، وبينما نحن نسير فى الغابة قابلنا جملا شاردا ، فتتبعنا فاتحا فمه ، فجرينا إلى شجرة ، وتسلقناها ، فوقف الجمل تحت الشجرة ينتظر نزولنا ليهجم علينا ، ولم نستطع أن نفعل شيئا منذ الصباح حتى الظهر ، حتى شعرنا باللجوع، وقرب العصر رأيت بعض الفلاتا ذاهبين للعبة " الشارو" فلما رأيتهم من بعيد سببتهم ، ولعلك تعرف أن الفلاتا يغضبون بسرعة، فقصدونا جريا من بعيد ، ليعرفوا سبب ذلك ، فلما رفع الجمل عينه ورآهم جرى وراءهم ، ولم يعد إلينا ، ففر كل منهم واختفى فى الغابة.

نزلنا من فوق الشجرة ، وواصلنا السير حتى وصلنا مدينة " رس " ، وأخذ المعلم زرقية يتلفت حوله حتى تفرقنا ؛ فواصلت السير حتى لقيت مركبا فركبته ، وقصدت مدينة القاما **Alkama** لأبحث عما تركت بلدى

من أجله أى الماء الشـــافى ، ونزلنـــا فـــى جزيـــرة لنرتـــاح قليلا، فـــأخذت أتمشـــى حتـــى أبحـــرت المركبـــة وتركتنـــى وحدى ؛ بعد أن أبحرت المركب أخذت أبحـــث عـــن مركـــب آخر، حتى أصل إلى شاطئ البحر ، فرأيـــت رجـــلا جالســـا ، فلما اقتربت منه وجـــدت أنـــه المعلـــم زرقيـــة بـــن محمـــد ، فناديته قائلا : زرقية بن محمـــد.

فرد قائلا : الهمة يا ابن الشـــيخ .

فتصافحنا وقال : والله منذ أن جئت عرفتـــك وقـــص كـــل منا أخباره على الآخر منذ أن افترقنـــا .

بعد التقائنا واصلنا السير حتى وصلنـــا إلـــى مدينـــة مـــا، فذهبنا إلى قصر الأمير فأمر أن يهيأ لنا منزلا فنزلنـــا فيـــه .

وذات يوم انتظرت حتى يخـــرج الأمـــير مـــن المســـجد ، وأخذت أضرب المعلم زرقيـــة ، ولـــم يســـتطع أن يتخلـــص منى ، فقال الأمير : أنت .. ماذا حدث اليـــوم حتـــى تضـــرب أخاك ؟ خـــيرا .

فقلت : أين هو الخير طالما أنه يســـبك ؟ أنـــا لا أســـتطيع أن أترك أى إنسان ليسب أميرا مثلـــك ، فســـر الأمـــير مـــن كلامى ، وأمـــر أن يطـــرد المعلـــم زرقيـــة مـــن المدينـــة ، ويرجم بالحجارة ، وهكذا افترقنـــا .

ولما رأيت أن الأمير قد أمر بعقاب أخـــي هكــذا ، بــدأت أحس بالشفقة عليه ، ولكن رأيـــت بعــد ذلــك كيــف يحصــد الإنسان ما يزرع ، إن خيرا فخيرا ، وإن شـــرا فشــرا.

## الباب الثالث

## استقرار الحاج فى طندجو وخبره مع الجثة :

بدأت أبحث عن الماء الشافى ، ولكن لم أجد واحدا سمع خبره ولو مرة واحدة ، فلما رأيت ذلك استأذنت من الأمير، فأعطانى هدية ، وعزمت على الرحيل إلى مدينة أخرى تسمى طندجو .

هناك وجدت فتاة، بنت أحد العلماء ، واسمها "جميلة " ولعلك عرفتنى الآن أتدخل فى كل أمر ، فبدأت أسعى لخطبتها ، وتبادلت معها هدايا الخطبة ، وحتى هذه اللحظة ، لم تكن الفتاة قد حددت من تريده زوجا لها ، فأنفقنا أموالا كثيرة بلا حدود ، وذات يوم ذهبت إلى أبيها وقلت له : يجب أن تختار هذه الفتاة من يصلح زوجا لها، ليرتاح كل إنسان .

عندما قال لها ذلك قالت له : بعد ثلاثة أيام ، اذهب يا أبى ، وقل لكل واحد ممن يريدون الزواج منى : إنه قد أصابنى مغص شديد ليلة أمس قضى على ، لنرى ما سيقوله كل واحد منهم .

قال الأب : لا بـــأس .

بعد ثلاثة أيام ، ذهب إلى بيـــت أحدهـــم وقـــال حالـــه يـــا فلان لقد توفيت جميلة أمس أصابـــها مغـــص شـــديد أســـلمها للموت .

فلما سمع الرجل ذلك قال : تستحقون ذلك لقـــد قيـــل لكـــم زوجوها ، فمنعكم حب المال حتى مـــاتت ، ولا يوجـــد مـــن يذكرهـــا .

سمع أبوها ذلـــك فـــارتدى حـــذاءه ، وخـــرج مســـرعا ، يمسح دموعا كاذبة ، متصنعا البكـــاء، وقصـــد مـــنزل رجـــل آخر ، وقال له ذلك ، فلما سمع ذلك قـــال لـــه الآخـــر : هـــذا هو جزاء الطمع ، اذهبوا وادفنوهـــا .

خرج أبوها وقصد منزلى ، عندما ســـمعت هـــذا الكـــلام ، شككت فيه ، مع علمى أن قدرة الله تفعل أكـــثر مـــن ذلـــك ، وفى الحال انفجرت فى البكـــاء الكـــاذب ، وعندمـــا وصلـــت إلى منزلها ، وجدتها ممـــددة علـــى الســـرير ، فاحتضنتـــها ، وأخذت أهلل بالصلاة ، فلما سمعت ذلـــك ، فتحـــت عينيـــها ، وطلبت من أبيها أن يعقد لى عليـــها ، فقـــد وجـــدت الـــزوج المنشود وفى الحال عقد لى عليـــها ، وحـــدد يـــوم الزفـــاف ، وأقيمت الأفراح وانتهى كل شـــىء .

ولما رأى الناس الذين انتصرت عليهم ذلك ، بدأوا يحقدون على حقدا شديدا ، فكانو كلما رأونى أخذوا فى ذمى ، ونظرا لأننى كنت غريبا عن المدينة ، كان على أن أسكت ، إلا أن حقدهم اشتد ، فبدأوا يدبرون لى المكائد، ويرسمون الخطط لخطف زوجتى ، فصنعوا لى دواء للعمى ، وقد أسقط فى يدى ، وعجزت عن كل شىء حتى العثور على الطعام ، وعندما رأيت الأمر بلغ هذا الحد ، اتجهت إلى حرفة صيد الأسماك ، لأنها حرفتى منذ الطفولة ؛اخترت لى خادما اسمه أرمى ، فكان يسحبنى كل يوم بعد أن أصابنى العمى ، ويذهب بى إلى شاطئ البحر، وينزلنى فى القارب ، فألقى بالشبكة فى الماء ، وأبدأ فى الصيد ، ولعلك تعرف حال من أصابه العمى حديثا ، لا يسلم بالعمى بسهولة ، فكنت كلما ذهبت إلى الصيد مع هذا الغلام ، إذا وصلنا إلى الشاطئ يقول لى : يا حاج وصلنا .

ولكى لا يقال إننى أعمى ، أدعى أننى أرى قليلا ، مع العلم أننى لا أبصر شيئا ، فإذا قال الخادم : وصلنا ، أنهره قائلا : هل تظننى أعمى ؟ أنا كذلك أعلم أننا وصلنا لأننى أرى ، وإذا قال : ادخل أو انزل من المركب قلت: لقد عرفت قبلك ، وتهيأت للنزول .

وقد وهب الله هذا الولد الصبر على ، لذلك لم يغضب من هذا ، وبينما نحن معا على هذا الحال ، جاء شخص إلى وقال إنه يريد أن يخدمنى فقلت له : لا بأس ــ ومن العجيب أنه كان المعلم زرقية ولم أعرف فى حينه ــ وظلا يخدمانى معا ، وأنا لا أعرف صناعة أو حرفة غير صيد الأسماك ، كل شيء يقدمانه إلى لا أشكرهما عليه ، إذا قالا لى : تمهل أمامك حفرة ، أقول لهما : هل أنتما تبصران أكثر منى ؟

ولما تعبا من أحوالى قال زرقية لابد أن يعاقبنى ، وذات يوم طلبت منهما أن يصطحبانى إلى الصيد فى بحيرة اسمها بحيرة قارون ، وعندما وصلنا قالا لى وصلنا ؛فلما سمعت ذلك قلت لهما : " لقد عرفت أننا وصلنا ، أنتما دائما تظنان الناس عميان،إن ما أصابنى هو مرض فقط لا غير. فسكتا .

وعندما توغلنا فى البحيرة ، وانتهينا من الصيد ، اتجها بى نحو الشاطئ ، فلما وصلنا إلى وسط البحيرة ، قال المعلم زرقية : إنزل لقد وصلنا ، فقلت له : اليوم أنتما لا فائدة منكما ، تدعيان أن الناس عميان ، لقد عرفت أننا وصلنا ، ثم تدليت من المركب لأنزل على الأرض ، وبمجرد نزولى وجدت نفسى أغوص فى قاع البحيرة ، وبقدرة الله ، وصلت إلى منزل فى القاع، فوجدت

مخلوقات تشبه الإنسان ، لها رؤوس كبيرة ــ علمت بعد ذلك أنهم سكان البحر من الجن ــ فرحبوا بى .

بعد أن استرحت سألونى عن أخبارى ، فأخبرتهم بكل شىء ، فلما سمعوا ذلك أشفقوا على ، وأعطونى دواء شفى عينى ، وأمر الأمير أن يصعدوا بى إلى ظهر الأرض ودلونى على الطريق .

ودارت الأيام حتى وصلت مدينة يقال لها باكو **Bako** قريبة من البحر ، وفى هذه المدينة ، رأيت رجلا طويلا جدا ، لا يوجد من يدانيه فى الطول ، ومعه ثور سمين يقول " من يأخذ ثورى ، وبعد سبعة أيام يأتى ليلمس رأسى ؟ " وأخذ يتجول كثيرا حتى تعب ، ولم يجد من يقول له شيئا ، فظل يتجول حتى وصل إلى منزلى ، وأنتم تعرفوننى أتدخل فى كل شىء ، ففكرت فى أخذ الثور إلى البيت وذبحه حتى آكل وأشبع ، وليكن ما يكون، من كتب له أن يعيش حتى العام القادم سيعيش .

ثم سبقنى وقال إنه إذا فشلت سيذبحنى ويقدم دمى قربانا لصنمه ، اسم هذا الرجل زندورو بن زوتور .

ولما أخذت الثور سألته عن سبب طوله ، الذى فاق المثال ،.فقص على قصته ، وقال "إنهم يسمونه فى بلدهم " الجبل " ؛لأن طوله سبعين ذراعا فقط ، وقال إنه من قبيلة أواجاين أونقا، أى القبيلة التى عاشت فى أيام سيدنا

نوح ، عندما حدث الطوفان ، وأخبار أجداده لا تخفى على من يعرف قصة الطوفان.

عندما سمعت ذلك ، عدت إلى بيتى ، ولم أنم من كثرة التفكير ، وبعد أن مضى خمسة أيام خطرت فكرة على بالى ، وفى اليوم السابع جاءنى مبكرا فى الصباح ، فنظرت إليه وقلت "ويحك يا طويل " . وتبعه الناس ليروا كيف سيلتهمنى ، وعندما جاء قال " أخرج حان الموعد " فقلت له : انتظر قليلا حتى أنتهى من إصلاح حائط هذه الحجرة ، الذى تشقق من المطر " .

فقال : عجبا .. كيف تصلح الحائط ؟ !!

قلت : هذا أمر سهل فى مدينتنا طل برأسك لترى " فأدخل رأسه ليرى ، فقمت مسرعا ، ولمست رأسه ، وقلت " آه لمستها " فرد الناس " نعم .. لمس .. نعم لمس " فعاد زندورو بيته غضبان ، وهكذا انتهت مشكلتى مع زندورو بن زوتور أكثر بنى آدم طولا.

مكثت سبعة أيام ، أسأل شيوخ المدينة وتجارها عن الماء الشافى، فلم أجد من يدلنى عليه ، فخرجت وقصدت الهند ، فلما دخلت رأيت المعلم زرقية فناديته قائلا : زرقية بن محمد.

فالتفت إلى قائلا " الهمة يا ابن الشيخ " فتبادلنا التحية ، وقصصنا على بعضنا أخبار ما حدث بعد أن افترقنا .

بعد أن مكثنا حوالى ثلاثة أيام ، قام أحد اللصوص بقتل خادم أمير المدينة ، وسحبه حتى شاطئ النهر ليرميه، وفى صباح اليوم نفسه قصد المعلم زرقية النهر ليستحم ، وبمجرد وصوله رأى القتيل ـ وما أدراك ما العبيط ـ لقد فرد البطانية ، ولف فيها الجثة ، وحملها إلى البيت ، الذى نسكن فيه .

استيقظ كل سكان المدينة من النوم ، فلما وصل إلى البيت وجدنى نائما ، فأخذ الجثة وحملها إلى حجرتى التى أنام فيها ، ووضعها فى ركن من أركانها ، كل هذا دون علمى .

بعد أن أذن للصلاة ، استيقظت وخرجت لأتوضأ ، وذهبت إلى المسجد لأصلى خلف الإمام لأنال ثواب الجماعة ، ولما انتهت الصلاة قرأت بعض الأوراد وعدت إلى البيت ، وصعدت إلى السرير لأرتاح قليلا قبل أن تظهر الشمس ، وبينما أنا على هذا الحال ، رأيت المعلم زرقية يخرج فجأة من حجرته ، فلما رأيته نزلت وبادلته التحية ، وجلسنا نتحدث فى شئون الحياة الدنيا .

بعد ذلك بقليل رأيته ينظر تجاه الركن ، حيث ترقد الجثة ، وقال : أف ، هذا القماش الذى تحفظه ألا تخش عليه من الجراد ؟ "

فقلت ، أى قماش ؟ ليس عندى قماش ، ثم قمت وذهبت الى الركن ونظرت فإذا بشيء ملفوف ، لما رفعته وجدته ثقيلا ، ففتحته فإذا برجل ميت ملفوف ، عند ذلك عرفت من فعل هذا .

لما رآنى المعلم زرقية اقترب منى وقال " ما الذى وجدته ، وتخفيه عنى ؟ ثم قام وأمسك الجثة ، وخرج بها إلى وسط البيت .. ثم تراجع إلى الخلف وأخذ يهلل قائلا: عجيبة .. يا حاج بدأت تقتل خدم الأمير ، وتسلب أموالهم؟ أحسن شيء الآن .. أن أذهب لأخبر الأمير بما فعلت ، لا أقبل أن ألام على أمر لم أفعله .

عندما سمعت ذلك قلت اليوم نفدت حيلتى ، ونظرت إلى المعلم زرقية وقلت له : أنت غبى من الذى لا يعرف قدرة الله ، أمس أعلن الأمير أن كل من يجد هذا الخادم يقتله ، ومن يفعل ذلك سيعطيه مائة جنيه .

ولما سمع المعلم زرقية ذلك قال : لماذا يريد الأمير قتله ؟

قلت : حينما كان الأمير يتعسس بالليل ، عاد فوجده قد دخل بيته ، فلما علم الأمير بذلك ، أمر أن يقبض عليه، ويقتل ، فهرب الخادم واختفى ، أرأيت كيف جاء الله به إلى هنا؟ لأذهب به وأنال كثيرا من المال دون تعب".

فقال زرقية : أنا الذى قتلته ، وهذه الجثة سأحملها إلى الأمير .

قلت : لا أنت كذاب ، فقال : والله هذه جثته ، ولما رأيت أصراره على ذلك قلت له "احملها إليه ، إذا لم تكن ملكك حسبى الله " .

ظن المعلم زرقية أن الأمر حقيقة ، فلف حواية ، وقصد بيت الأمير فجمعت متاعى وتركت المدينة ، وهكذا افترقنا .

## الباب الرابع

## الحاج يدعى الجنون :

ذات يوم نزلـت فـى استراحة التجـار فـى الطريـق ، فسمعت التجار يتحدثون ويقولـون إنـهم منـذ أن خلقهـم الله لم يروا أحدا بلغ ما بلغه المعلم زرقية مـن الغبـاء ، ولـم يعرفوا العلاقة التى تربطنى بـه .

عندما سمعتهم يقولون ذلك ، قلت لـهم : أيـن رأيتمـوه ؟ قالوا فى بلدة كذا ، وذكروا اسم المدينة التـى خرجـت منـها؛ فسألتهم مرة أخرى قائلا : لماذا تقولون إنه غبـى جـدا ؟

فقال كبـيرهم : يـوم الجمعـة المـاضى ، ذهبنـا لتحيـة الأمير ، وبينما نحن جالسون ، فإذا بـه يدخـل بشـىء فـى بطانية ، وقدم جثة كبير خدامه وقال : هـا هـو مـن طلبـت أن يقتل جئت لك بجثتـه .

فنظر الأمير إلى الجثة متعجبا وقال .. لمـاذا قتلتـه ؟

فقال المعلم زرقية : أنت أعلنـت عصـر أمـس ، وقلـت إنك تريد أن تقتله ، لأنه دخل بيتك عندمـا خرجـت تتعسـس فى الليل " فلما سمع الوزير كلامه قال : إنـه مجنـون .

فنظر المعلم زرقية إلى الوزير وقال : أنت المجنون ولست أنا ، فلما سمع الأمير ذلك قال:أين الخدم ؟ .. أضربوه حتى يموت ؛ فأخذوا يرفعونه إلى أعلى ويلقونه على الأرض ، فلما رأى الأمير أنه كاد يموت ، قال : احملوه وألقوه فى الشمس قبل أن يفيق ، وقرب العصر فاق ، فحملوه إلى مستشفى المجانين فقيدوه وصلبوه .

عندما سمعت ذلك أخذتنى الشفقة عليه ، لأنه رفيقى الذى نطوف الدنيا معا ، وسألت: ألم يقل إنه سيقتل ؟

فقالوا : لا .. لقد قال الأمير : إنه لابد مريض ، لذلك لن يقتلوه .

وبينما كنت أتجول فى السوق ، أسأل عن أخبار الماء الشافى ، رأيت فتاة ، فأعجبتنى فنويت أن أتزوجها ، وكان لها زوج لا تحبه مطلقا ، فناديتها ، واتفقنا فطلبت منى أن أزورها فى الليل ، وكانت هذه الليلة ممطرة ، وخلال هذا المطر حضر زوجها ، فأشعلت له النار ، وجلس يدفئ ظهره .

عندما وصلت تسللت إلى الحجرة وأخذت أطل عليه ، فرأيته يحك ظهره .. وكان المعلم زرقية أيضا بالمدينة ، جاء إليها بعد أن أفرجوا عنه ، وتصادف أنه كان يمر فى هذه الليلة ، فلما رآنى أطل برأسى ، تسلل إلى الحجرة ودفعنى من الخلف إلى داخل الحجرة .

عندما رآنى الزوج قال : ماذا جاء بك إلى هنا ؟ فقلت له : والله لقد دفعونى . وكنت على وشك أن أجرى ، ولكنه أمسكنى وأدخلنى فى اصطبل الخيول ، وحبسنى معها، وفى الصباح قادونى إلى دار القاضى ، فأخذت أفكر فى الأمر ، وأخيرا قررت أن أدعى الجنون .

سأل الأمير عن سبب القبض علي فقص عليه كل شيء ، فنظر إلي وقال : ما اسمك يا شاب ؟

قلت : شرقى .

قال : فى أى يوم نحن ؟

قلت : الجمعة .

فسألنى مرة أخرى : فى أى شهر نحن ؟

قلت : شوال .

فسمعت رجال الحاشية يقولون : تذكر .

فسألنى الأمير مرة أخرى : هل تعرف الله ؟

قلت : ويحك ، من الذى لا يعرف الله ؟

قال : أين هو ؟

فقلت فى نفسى يجب أن أتمهل كيلا يقولون إننى كنت أدعى الجنون لذلك قمت مبديا حذرى وأشرت إلى السماء،

أقصد أن الله وحـــده فـــى السـماء ، وليـس لـــه شــريك ، وأبقيت رأسى مرفوعة إلـــى السـماء مــدة طويلـــة فــانفجر الناس فى الضحك ، وقـــالوا لابــد أننـــى مجنــون ، ولكننـــى قاربت على الشـــفاء .

فقال الأمير : لا شك أنه ليــس مجنونـــا ، ولكنــه عبيــط " ثم أخرجنـــى .

ولم يأت يــــوم الجمعــة التـــالى حتـــى جعلونـــى رئيســا للمجانين ، وأصبحت أشغل مركز "الرئيـــس المجنـــون " وقــد نلت الحظوة ، حتى إنــــه أصبـــح لا يبــت فـــى أمــر أو أى مشكلة بالمدينة حتى يرجع إلى فيـــها .

ونحن على هذا الحال جمعنـــا الابـــن الأكــبر للأمــير ، أى كبير رجال القصر ، وقــال أنــه يدعونـــا ، لنـنزح لعائلتــه المرحاض ، لأنه لا يســمح لأحــد بدخــول بيتــه إلا نحــن المقربين إلى أبيه فذهبنا جميعا إلـــى البيــت وبدأنـــا العمــل ؛ فكان لعاب كل واحد منهم يسيل من الرائحـــة الكريهــة ، أمــا أنا فقد كنت أغنى ، وأثناء ذلــك كــان لعــابى يســيل دون أن يراه أحــد .

وعندما رأى ابن الأمـــير لعــاب رجــال القصــر يســيل هكذا، غضـــب وقـــال لـــهم : إذا كـــانت رائحـــة الفضـــلات كريهة جدا اتركوا العمل ، لمـــاذا تشـــتغلون ولعـــابكم يســيل

هكذا ؟ لو كـــان الأمـــير قـــد أحضـــر لكـــم طعامـــا ، كنتـــم هجمتهم عليه بيد فى الفم ويد فـــى الإنـــاء .

لما غضب ابن الأمير ذهب وأخبر أبـــاه مـــا فعلـــه رجـــال القصر ، وقال : إننى فقط الذى لا يسيل لعابـــه ، وبـــدلا مـــن ذلك كنت أغنـــى .

سمع الأمير ذلك فغضـــــب ، وأمـــر باســـتدعائهم جميعـــا. وأخذ يســـــب أمامـــهم واحـــدا واحـــدا، ونجـــوت مـــن ذلـــك بصعوبة، وهذا ما جعلنى أكبر فى نظر الأمـــــير وأبنائـــه.

لما رأيت أننى انتصرت على أهـــل المدينـــة ، قلـــت فـــى نفسى إن المثل يقول " الجلوس بعد الأكـــل مؤامـــرة "، لذلـــك قمت فى هذا اليـــوم وقصـــدت قصـــر الأمـــير ، وقلـــت لـــه " أريد أن أسافر لأيام قلائـــل ، ولكنـــى ســـأعود بعـــد ثلاثـــة أيام"، وتركت له كـــل ثروتـــى ليحفظـــها لديـــه أمانـــة حتـــى أعود، ثم واصلت الرحلة طلبا للماء الشـــافى ، أى طلبـــا لمـــا جعلنى أغادر بـــلادى.

## الباب الخامس

## التقاؤهما والمعلم زرقية يطرد الذباب عن فضلات الحاج:

واصلت الرحلة حتى وصلت إلى مدينة كبيرة جدا تسمى تيجى ، فرحب بى أمير المدينة ، واصطحبنى الناس إلى منزل فنزلت فيه ، وذات يوم كنت أجلس مع رجال القصر ، فسمعت الأمير يقول : لقد ضايقنى رئيس ساسة الخيل أمس ، وحرم على النوم ؛ فقال الوزير : لماذا أطال الله عمرك ؟

فأجابه الأمير قائلا : أنت تعرف أن زوجته توفيت الشهر الماضى ، ومن يوم وفاتها حتى اليوم لا ينام مطلقا، فإذا انتصف الليل قام وأخذ ينشد بعض الأشعار كالمجنون ويقول : ليت الموت أخذنى وترك زوجتى لأرتاح .

عندما سمعت ذلك قلت للأمير : أطال الله حياتك ، هل تريد أن أعالجه ؟ قال الأمير : نعم أطال الله حياتك لقد حاولت ذلك كثيرا .

فلما أقبل الليل وانصرف كل رجال الحاشية ، تسللت وتوجهت إلى دار رئيس الساسة ودخلت حجرته واختفيت تحت السرير وبعد قليل دخل بيته ، ثم توجه إلى حجرة النوم، وهو ينشد الشعر ، ويتنهد كلما تذكر زوجته حتى استولت ذكراها على روحه تماما ، وعندما سمعته قادما ، جلست ساكنا بلا حركة فدخل وصعد السرير ونام ، ولكنه لم يستطع النوم من شدة الشوق إليها ، وعند منتصف الليل سمعته يردد الأشعار التى قصها على الأمير نهارا.

سمعته يقول : ليت الموت أخذه وترك زوجته ، فظهرت فجأة له ورددت عليه بصوت مختنق قائلا : من أجل أمنيتك هذه بعثت لأقبض روحك لتلحق بها ، ثم جريت وراءه .

فلما سمع ذلك ــ وما أدراك بالجاهل ــ أخذ يجرى خارج الحجرة ظنا أن الموت بعث إليه ليقبض روحه ، ولم ير النوم فى هذا اليوم ، ولما طلع الصباح ذهب إلى الأمير وقص عليه كل ما حدث ، قائلا : لقد طاردنى الموت أمس من حجرتى ، ولم أنم مطلقا فيها ، ولولا أننى جريت خارجها لقبضت روحى .

عندما سمع الأمير ذلك انفجر فى الضحك ، ومنذ ذلك اليوم لم يذكر رئيس الساسة هذه المرأة مرة أخرى ، ولا أظهر الشوق إليها .

لأننى سببت لـــه هـــذا الخجـــل بـــدأ يكرهنـــى ، ويتصيـــد أخطائى لدى الأمير فلم تعد بيننا علاقة طيبـــة ، بذلـــك فقـــدت الحظوة فى المدينـــة ، ورأيـــت أن الأمـــير بـــدأ يحتقرنـــى ، فتظاهرت أننى سأترك المدينـــة احترامـــا لنفســـى ، ولكننـــى تذكرت أنهم يقولون إن الإنسان يجـــب أن يثـــأر لمـــا يحـــدث له من إساءة ، لذلك قلت فى نفسى : لـــن أرحـــل حتـــى أرى نهاية رئيس الساســـة .

ذات يوم دخل أحد اللصوص منزل الرجـــل الـــذى أنـــزل فى بيته ليسرقه ، فوجده مستيقظا، وكـــان رب البيـــت موفقـــا، فأوقع اللص على الأرض حتى أنشقت رأســـه ، فســـقط ميتـــا ولم يتحـــرك .

ضايق هذا رب البيت فجـــاء وأيقظنـــى وقـــال لـــى : مـــا العمل يا حاج ؟ لقد قتلت رجلا ، فسكت قليـــلا ثـــم قلـــت : لا يهمك إذا استطعت الســـكوت .

لـــم أنتظر وطلبت منه أن يحمـــل هـــذه الجثـــة وذهبنـــا بها خارج المدينة ، ألقيناها هناك وأخذنـــا يـــد فـــأس وبلطـــة وتوجهنا إلى بيـــت رئيـــس الساســـة ، فوجدنـــاه ممـــددا فـــى الفراش يغط فى نوم عميق ، فبحثت عـــن وجنتـــه وضربتـــه بالعصا الغليظة عليها ، وخرجنـــا مســـرعين ثـــم عدنـــا إلـــى البيت ونمنا ، وصاحب البيت ينتظر مـــا ســـأفعل .

استيقظت من منتصف الليل ، وخرجت أتجول في المدينة ، وأعظ الناس حتى الصباح وقد أحس كل واحد في المدينة أننى قضيت الليلة أحدث الناس .

وفى الصباح الباكر خرج النسوة إلى النهر فرأين الجثة على باب المدينة ولم يعرفن من القاتل ، فذهبن وأخبرن الأمير ، فقال أحد أفراد الحاشية أمس أحسست أن هذا الضيف الذى ينزل فى دار المعلم محمود شقيق يونس الكبير لم ينم ، وقضى الليل يعظ الناس ، لعل الله أسمعه أية حركة فى الليل ، حينما كان يتجول فى المدينة.

وفى الحال أمر الأمير باستدعائى فحضرت ، وسألونى فقلت : نعم سمعت شخصاً من أفراد الحاشية ، وشخصاً آخر خارج المدينة ، سمعت أحدهما يقول للآخر " طالما أنك لطمتنى ، لابد أن أقتلك " ، هذا كل ما سمعته أطال الله عمرك .

عندما سمع الأمير ذلك بعث يطلب رئيس الساسة ليذهب ويعلن فى السوق ، كل من يرى رجلاً تورمت إحدى وجنتيه يأتى ويدل الأمير عليه ، وفى الحال ذهب رجال الشرطة إلى رئيس الساسة وجاءوا به ، وهو لا يعرف شيئاً مما حدث ، وكلما هم بالكلام أسكته الأمير، وأمر بحبسه سنة لعدم وجود الشهود .

ولما أحسست أننى أفسدت فى هذه المدينة كثيرا ، خرجت قاصدا قرية أخرى لأنزل فيها ، وواصلت البحث عن الماء الشافى فلم أجد إليه سبيلا، وبينما كنت أسير فى الغابة رأيت قرويا يتشاجر مع رجل آخر ، فضربه بعصا غليظة فأوقعه ميتا فلما رأيت أنه سيهرب قلت : قف ؛ إلى أين ستذهب ؟ لابد من الذهاب بك إلى العمدة .

فلما علم أننى سأذيع سره ركع وأخذ يطلب منى المغفرة ، وأن أتستر عليه ، وأخفى سره ، ولما أحسست أنه خاف قلت له : كم ستعطينى لأكتم سرك ؟ قال : سأعطيك عشر بقرات .

فنظرت إليه وأظهرت عدم الرضى وقلت : روحى أبيعها لك بعشر بقرات ؟ لا أوافق .

رويدا رويدا ، وافق أن يعطينى عشرين بقرة ، فرضيت بذلك ، وذهبنا إلى حظيرة والده ، وفصل عشرين بقرة وأعطاها لى ، فسقتها إلى المدينة ، وادعيت أننى اشتريتها ولففت الجثة ، وذهبت بها إلى المدينة ، وحفظتها فى البيت .

وبعد منتصف الليل ، خرجت قاصدا منزل المعلم زرقية ، الذى لم يعلم بنزولى إلى المدينة ، ولكننى عرفت أنه بها ، وسألت عن صناعته التى يزاولها ، فقيل إنها السرقة فقلت : الحمد لله .

وبينما أنا أتجسس عليه ، سمعته يقول لزوجته : أنا خارج أبحث عن عمل .

فقالت له : الله يوفقك .

وبمجرد أن خرج من منزله عدت إلى بيتي ، وحملت الجثة بعد أن لففتها ، وكأنها سلعة بالضبط ، وذهبت بها إلى بيت هذا اللص ؛ فلما وصلت قلت لزوجة المعلم زرقية : تعالى خذى، لقد جئت وسأعود بسرعة ، لأن بعض التجار ينزلون فى الإستراحة .

قامت وجسمها يرتعد ، وأخذت ما معى ، وقالت : اذهب بسرعة ، واجمع كل ما معهم وإذا كان هناك حصيرة أو ملابس لف كل شىء فيهما .

وخرجت وبحثت عن مكان لأختبئ فيه ، لأضحك عليها ، وعندما اقترب الصباح عاد رب البيت . تف تف تف ، ولما دخل الحجرة قال لزوجته : اليوم حفظنى الله ، لقد أطلق بعض الشوام على النار من البندقية ، فلم أسرق شيئا .

فلما سمعت الزوجة ذلك قالت : ما أحضرته اليوم يكفى ، ونظر إلى اللفة الضخمة وقال : نعم .. لابد أنه يكفى .. هاتى لنرى ما فيها .

لعلك تعرف ما يحدث عادة بين الزوج وزوجته ، جلس وأخذ يقص عليها الأكاذيب ، ويمدح نفسه قائلا : لقد خطفتها من بين عشرة رجال كبار ، فلما سمعت ذلك قلت فى نفسى: إنه يشعر بالغرور .

وفضا اللفة فإذا بهما يجدان جثة رجل ميت ، ولما أمعنا النظر وجدا أنها جثة طفل اسمه "طنجيوا " ابن أحد المحاربين فى الحى الذى يسكنان فيه اسمه " جيوا " ؛ فقال المعلم زرقية : والله ... أقسم بأبى لم أحضر لك هذا.

فقالت : من ؟ إن لم يكن أنت ، لقد قلت إنك خطفتها من بين عشرة رجال وفى الحال نشبت معركة بينهما ، وتبادلا الضرب بالأيادى ، المعلم زرقية يقول لزوجته إنها كذابة، وهى تقول له إنه كذاب ، ولما طلع النهار ، علم الأمير بالقصة ، فأمر فى الحال باستدعائهما .

وفى الليل علمت أن المعلم زرقية ، هرب وكأنه استخدم طاقية الإخفاء ، ولكنى مكثت فى المدينة مدة طويلة بعد ذلك .

وذات يوم تركت المدينة ، وقصدت مدينة منتا حيث المعلم زرقية ، وصادف هذا اليوم ، يوم سوق المدينة ، لذلك توجهت إلى السوق بمجرد وصولى ، وذهبت إلى

حيث يبيع النساء الثريد ، فوطئت إحدى النسـاء كـم ردائـى وقبل أن أتكلم سبتنى المرأة قائلة " عـامل .. ذليـل " .

ولما نظرت إليها ، رأيـت أنـها لـم تبلـغ سـن أختـى الصغيرة ، فقلت لها : لـن أرد إلا علـى زوجـك، فنظـرت إلى بغضب وقالت : كذاب ، المعلم زرقيـة أقـوى منـك ، لا تستطيع أن تساوى رأسك برأسـه .

لما سـمعت ذلـك علمـت أن المعلـم زرقيـة فـى هـذه المدينة، ومن كلام هذه المرأة عرفـت أنـها زوجتـه ، لذلـك قلت لها : إن لم يكن ذلك كذبا .. فليلقنى زوجـك فـى الغابـة ظهر غـد .

قالت : وهو كذلـك ، سـأقول لـه ، المعلـم الـذى يبيـع المعارك أين تظن أنك تلقاه .. فـى البيـت ؟ !! .

وجاء الظهر فجاءت هـذه المـرأة المشاكسـة إلـى بيتـى تسب وتلعن قائلة : هيا .. قم .. نذهب إلـى الغابـة .

فقلت : هيا نذهب ، اسـبقينى .

وقد أخذت تحرض زوجها بشـتى الأسـاليب والأكـاذيب ، حتى قام وأخذ عصا غليظة ، وقصـد الغابـة معـها ، وظـلا ينتظران حضورى ، وليكن مـا يكـون ، وعندمـا رأيتـهما يمران ، أخذت مـادة صباغـة ، وصبغـت بـها وجـهى ، وأخذت يد فأس ، وحملتها على كتفـى ، وبـدلا مـن السـير

في الطريق العام ، الذى يتوقعن أن أسلكه ، خرجت لهما من خلف الغابة ألعنهم ، وأسبهم أثناء سيرى .

عندما رأيانى قالت الزوجة : ها هو المجنون ، قادم هناك ، فسمعت الزوج يقول : أين هو ؟ ، فالتفت ، وهو يغمض عينيه .

فلما أحسست أنه خاف ، قربت منه وأنا أسب وألعن ، ووطئت قدم زوجته ، فنظرت إليه ، فلفت رأسه ، فنظرت إلى فلطمتها ثلاث لطمات على وجهها ، فلم يقل زوجها شيئا ، ثم قلت لهما اخلعا ملابسكما ، لأرى ما معكما ، فخلعوها وجسمهما يرتجف خوفا .

ونحن على هذا الحال ، غلبنى الضحك ، وهممت بالعودة وتركهما ، ولكنى فكرت فى أمر مضحك ، طلبت من المعلم زرقية أن يفعله لى ، فالتفت وتوجهت إلى حافة الطريق وقضيت حاجتى ، وناديت المعلم زرقية وزوجته وقلت : خذى إناء وطبلى لزوجك ، وأنت اجلس هنا ، واطرد الذباب عن فضلاتى ، إذا تركت الذباب يأكل الفضلات سأقتلك .

فقال : نعم ، أطال الله عمرك ، سأفعل .

وقام وجسمه يرتجف ، وأخذ يطرد الذباب عن فضلاتى ، وأخذت زوجته إناء وظلت تطبل على رأسه ،

وتغنى ، ولمـــا رأيـت أنــه أطـــاع أمــرى ، وأن الضحــك سيغلبنى اخترقت الغابة، وذهبت لشأنى ، ولـــم أعــرف كيـف انتهى بهما الأمــر .

عدت إلى البيت ، وأخــذت أضحــك حتـــى آلـــم الضحــك بطنى ، ثم جمعت متاعى ظهر ذلـــك اليــوم خشــية أن ألقـــاه فى المدينة ، وواصلت رحلتى أبحث عن المـــاء الشــافى.

## الباب السادس

## اللصوص يضايقون الحاج :

واصلت الرحلة حتى وصلت مدينة اسمها ميسكا فنزلت في منزل أحد العلماء يسمى دولا ، كان الناس يفخرون به لكثرة عبادته ، قائلين إنه يصلى الليالى الطوال ، رحب بى هذا العالم ، وتصادقت مع خادم له يسمى " كاطو " لا يفرق بيننا إلا الليل فقط ، وذات يوم قضيت الليل مع كاطو فى الحديث والسمر ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى حجرتى لأنام ، فلم أكد أتهيأ للنوم ، حتى سمعت وقع أقدام تف تف قرب الباب فانتحيت ناحية من الحجرة ، فرأيت رجلا ضخما يدخل الحجرة ، فقمت من النوم ، وجلست معتقدا أنه سيهرب إذا رآنى استيقظت ، ولكنى رأيت أنه لم يهرب ، فقلت فى نفسى ، وجدت من يشبهنى .

عندما اقترب منى قمت ، وقلت : مرحبا ، مرحبا خذ هذه الحصيرة واجلس ، هل سترفض أن تقول لى ما حدث منذ التقينا فى السوق ؟ وأخذت أحدثه كثيرا كأننى أعرفه .

فلما سمع ذلك ، جلس وأخذ يفكر ، أين قابلنى وتلفت حوله وقال : أين عرفتنى ؟ قلت : أعرفك منذ زمن طويل ، إلى جانب ذلك أعرف كل أقاربك ، وكلهم يعرفوننى ، والتقيت كثيرا جدا مع أخوتك ،وكانوا يسألوننى عن أخبارك فقلت لهم لا أعرف ، حتى شاء الله أن نلتقى اليوم .

فنظر إلى مرة أخرى من أسفل إلى أعلى وقال : إذا كنت تعرفنى فما اسمى ؟ فرفعت رأسى إلى أعلى ، وصرخت صرخة شديدة ، وقلت : أسمك حرامى ، حرامى ، حرامى .

عندما سمع صراخى ، هرب ، فتجمع الناس ، وطاردوه، ولكنه نجا ، كل هذا وأنا نائم فوق فراشى ، لم أتحرك ، وعندما طلع الصباح أخذ كل الناس فى المدينة يتندرون بما فعلت.

أحسست أن اللصوص بدأوا يضايقوننى ، فتركت الحى، وذهبت إلى بيت رئيس المتسولين بالذئاب ، ونزلت عنده ، وكان لنزولى على هذا الرجل سبب قوى ، لما سمعته يأمر بإعطائى حجرة لأضع فيها متاعى ، قلت له: لا .. لا .. إننى أفضل أن أظل هنا ، أنام معك ، طالما أن ذئابك مكممة .

فقال : أنا أنام هنـــا معــها ، لمــاذا تريــد أن تنــام مــع الذئــب؟ !!

فقلت : منذ أن كنت فى بلدنا ، وأنا أشــتاق للنــوم معــها ، وحتى فى بيت رئيــس المتســولين ، الــذى كنــت أخدمــه ، وهذا هو سبب نزولى عليك ؛ فقال : الحمــد لله لقــد وجــدت البيت الذى تريــده .

رأى اللصــوص الذيــن يطــاردوننى ، أننــى غــــيرت مسكنى، فلما وصلوا إلـــى مســكنى الجديـد،وجـدوا ذئــاب المتسول نائمة ، ولم يروها ، فقال أحدهمـــا للآخــر ، ادخــل أنت ، وأعطنى ما تجد من متاع وســأقوم بربطــه .

ولما دخل اللص الحجرة أيقظت حركتـــه الذئــاب النائمـــة، فهبت قائمة مذعورة ، وانضمـــت لبعضـــها ، وأخــذت تــهز آذانها ، وسدت على اللص مكان الدخــول ، وبــدأت تعــوى ، لأنها رأت رجلا أجنبيا فى الحجــــرة .

عندما أحس اللص بذلك ، أخذ يصيـــح وينــادينى قــائلا : أنت ، أنت ، قم ، أمسك حرامـــى ، فلمــا اســتيقظت ورأيتــه وعرفت ما حدث ، قلت : لا ، لن أمســك أحــدا ، لأنــه لــم يسرق منى شيئا ، اذهب لحـــالك .

ونحن علـــى هــذا الحــال ، اســتيقظ صــاحب البيــت ، فسألنى ماذا حدث ؟ فقلت له كل شىء ، ثــم قمــت ضربــت

اللص ضربة بعصا غليظة ، فأخذ يئن أنينا شديدا فأمسكته وقيدته وسجنته ، وطحنت شطة ، ومسحت عينيه بمسحوقها ، فأخذ يبكى ويصرخ حتى الصباح.

وعندما طلع النهار ، نظرت إليه من أعلى إلى أسفل ، ففوجئت أنه المعلم زرقية بن محمد ؛ فالتفت إلى وعيناه محمرتان من الشطة ، وقال : الهمة يا ابن الشيخ ، وقضينا اليوم معا ، ونحن نضحك كلما تذكرنا ذلك الحادث، وقصصت عليه قصة المرأة ، التى جعلتنا نتشاجر فى السوق ، وسألته عنها ، فأخبرنى أنه طلقها منذ زمن طويل ، وقال إنه لم يكف عن طرد الذباب عن فضلاتى إلا المغرب ، عندما مر عليه بعض التجار ، فسار فى حمايتهم ، وكان كلما هم بالقيام ، ظن أننى هناك أراقبه ، لذلك لم يقم من مكانه حتى مر به التجار.

وقال إنه لم ير فى حياته امرأة تجلب المصائب لزوجها كامرأته هذه ، فقد سببت له ذات يوم مشاجرة كبيرة مع رجل ضخم ، إذ لطمها على وجهها ، فجرت وقالت له ، وفى الحال قام وتوجه إلى مكان هذا الرجل الضخم ، فلما وصل نظر إليه ، فأحس أنه لا يوجد من يدانيه ضخامة

فقال له : أنت لطمت زوجتى ؟ !فرد الرجل بغضب : نعم ، أنا ، لعلك جئت لتثأر لها ، فلما سمع ذلك قال

للرجل ، الطمها مرة ثانية لأرى كيف حـــدث ذلــك ، فنظــر إليها الرجل ولطمها لطمة شـــديدة .

فلما رأى عينيها تدمعان ، وتورمتـــا مــن شــدة اللطمــة ، قال مرة أخرى للرجل " نعــم حقيقــة أنــت الــذى لطمتــها ، اضربها مرة أخرى لأرى ، فنظر الرجــل للمــرأة ، ولطمــها مرة أخرى حتى سقطت على الأرض ، وفمها يـــنزف دمــا.

فلما رأى المعلم زرقيـــة ذلــك قــال لامرأتــه : قومــى ، لننصرف ، الله ينتقم لنـــا منـــه ، وبينمـــا همـــا عــائدان فــى طريقهما ، ظلت المرأة تبكى فقال لها : كفـــى عــن البكــاء ، عندما كنت ترييننى ، وكأننى لا أفعل شيئا ، كنـــت ألــوح لــه بيدى وهى داخل كم ردائـــى .

أخذت المرأة تطوف فى المدينة ، تقـــص علـــى كــل مــن يقابلها قصة زوجها ، وحتـــى الآن إذا زرت المدينـــة ، تجــد الأطفال يقصون قصته ، لذلك طلقها ، وقال إنـــه فعــل خــيرا بانفصاله عنها، لأنـــه كــاد أن يقتــل بســبب الجرائــم التـــى ترتكبــها .

كما قص لى قصة مضحكة ، فقد دخـــل أحــد اللصــوص ذات يوم منزله ليلا ، كان يظنـــه نائمـــا ، وبمجــرد دخولــه قصد السرير الذى ينام عليه ، ليســرق القميــص الــذى ينــام فيه ، وظل يحاول السرقة حتى طلوع القمــر ، فكلمـــا وضــع اللص يده على جسم المعلـــم زرقيــة ، فتــح عينيــه ، فلمـــا

أحس اللص أنه استيقظ قال لـــه : جئـت لأدعـوك ، لنعمـل غدا فى مزرعة رئيس المزارعيـــن ، فمنعـه الضحـك مـن اتباع اللص ، لقد عانينا كثيرا فـى الحيـاة .

لعلك تعرف أن ما يؤخذ ظلما لا بركة فيـــه ، فقـد نفـدت أموالنا تماما ، فتركنا هذه المدينـــة ، واتبعنــا الطريـق حتـى وصلنا إلى مدينـــة نصــراوا ، حيــث افــترقت عــن المعلـم زرقية ، حين قال إنـــه سـيواصل الرحلـة حتـى يشـاء الله ويجمعنا أحياء ؛ فقصـــدت قصــر الأمـير ونزلــت عنــده ، واتخذت لـــى مسـجدا ، أجلـس فيـه لا أعمـل شـيئا ، إلا التظاهر بذكر الله على حبات المســبحة ، فـأخذ كـل سـكان المدينة يقدمون إلـــى الطعــام والصدقـات أنواعـا مختلفــة ، ولكنى رفضت أن ألمس شيئا منها ، بينمــا احتفظـت بجـوال كبير فيه كمية من الطعام والخبز ، كنـــت آكـل منـــه ، ممـا ساعدنى على الإمتناع عما يقدمونه إلى مـــن طعــام ، لأننـى كنت أريد أن يعتقدوا أننى من أوليـــاء الله فيعظموننــى .

وبعد أيام قلائل ، بدأ كل إنسان فى المدينـــة يعتقـد ذلـك، وجاء كل منهم بطعامه ، يطلب منى أن أنال منـــه ولـو لقمــة واحدة ، لينال البركة من يـــدى .

وهكذا عشــت فـى هــذه المدينـــة ، معــززا مكرمــا ،إذا أرادوا أن يقيموا شـــعيرة مــن شــعائر الديــن – كــالصلاة مثلا– طلبوا منى أن أكون إمامـــا لـــهم ، ولعلــك تعرفنـــى ،

مهما بلغ الجهلاء من الجهل ، فأنـــا أجـــهل منـــهم جميعـــا ، كانوا يحاولون كثيرا ، ولكنى كنت أرفض فـــى كـــل مـــرة ، حتى العالم ، كان يظننى عالما ، ويخشـــى أن أصلـــى خلفـــه، فيخطئ مع وجود صاحب الكرمـــات ـــ يقصدنـــى.

ومرت الأيام ، وذات يـــوم ، توفيـــت ابنـــة أمـــير إحـــدى القرى الصغيرة ، فطلبوا منـــا أن نســـتعد ، لنذهـــب لنشـــيع الجنازة ، فقلت : نعم ، أين طريق المدينـــة ؟ فدلونـــى عليـــه وقالوا : عند الظـــهر ســـتجهز ، لذلـــك يجـــب أن يعـــد لـــى حصانا لنذهب بسرعة لأن المدينة بعيدة قليـــلا ، فطلبـــت مـــن الأمير والعلماء الذين معه أن يذهبـــوا ، أمـــا أنـــا فســـأصلى الظهر هنا فى البيت ، ثم ألتقى بـــهم هنـــاك ، فـــأمر الأمـــير أن يتركوا لى حصانا جيـــدا ، فقلـــت : لـــن أركـــب شـــيئا ، فقالت الجماعة : صاحب كرامـــة .

ولما اقترب الظهر ، خرجوا جميعـــا ، فتســـللت وخرجـــت من المدينة ، واتبعت الطريـــق ، واخـــترقت المدينـــة ، وأنـــا أجرى جريا سريعا ، حتى تصبب وجـــهى عرقـــا ، وكـــادت روحى أن تزهق ، حتى رأيتهم بالقرب مـــن المدينـــة.

وبينما كنت أسير فى الغابـــة ، ســـمعتهم يقولـــون : حتـــى الآن لم يخرج من المدينة ، فرد الوزيـــر : هـــؤلاء يطـــيرون كـــالطيور.

ثم تجاوزتهم وأخذت أجرى بسرعة ، حتى وجدت بحيرة ، فخلعت ملابسى واغتسلت، حتى ردت روحى ، و لما وصلت إلى المدينة ، سألت عن المنزل ، فدلونى عليه فدخلت المسجد، وجلست على بابه ، وأخذت أسبح بالمسبحة ، وبعد برهة وصلوا ، فلما أحسست بوصولهم ، خرجت من المسجد ، والمسبحة فى يدى وقلت : الحمد لله على سلامتك ، فلم يستطع الوزير أو رجاله الرد من فرط الدهشة ، وركع كل واحد منهم أمامى ، وسجدوا لى ؛ فقلت " قم سبحان الله ، لا يسجد إلا لله فقط" .

ولما انتهينا مما نحن فيه ، مضوا أمامى ، وأنا خلفهم؛ فلففت من داخل الغابة ، وأسرعت إلى البيت ، وهكذا كانت المدة التى قضيتها فى مدينة " نصراوى " .

## الفصل السابع

## الحاج وزرقية يتوبان ، الحاج يقتل أخاه :

عندما هدأت أعصاب الأمير ، سألته أن يجمع شيوخ المدينة كلهم ، رجالا ونساء لأسألهم ، لعل الله جعل أحدهم يسمع مرة أخبار الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بأس ، وفى الحال جمعهم ، وسألتهم ، فسكتوا أولا ، ثم قال رجل عجوز صغير الجسم ، جاءوا به محمولا فى سلة ، لقد سمعت مرة عنه ، عندما كنت صغيرا ، كان جدى يقول إنه فى بلدة يقال لها "رامى " أو " راما " لقد نسيت اسم البلدة ــ يوجد بئر فوق صخرة ... ماذا يسمى؟ ماذا يسمى ؟ لا أذكر اسمه بالضبط ، يوجد الماء الشافى فى هذا البئر ، ولكن إذا أردت يا مولاى الآن أن تعرف خبرها تماما ، واسم المدينة والأرض ، يجب الذهاب إلى بيت المقدس ، حيث يوجد أخى الأكبر الذى سمع أخبارها معى ، فربما يذكر اسمها لأنه أكبر منى سنا.

غادرت هذه المدينة ولم أتوقف إلا فى قرية اسمها سرى ، لا عادة لسكانها إلا صيد الببغاوات وتعليمها

الكلام ، ثم يطوفون بها فى البلاد لبيعها ، فاشتريت واحدا منها ، ولم أعلمه سوى جملة واحدة ، فإذا سؤل أى شيء أجاب عنه بها وهى " ويحك يا سيدى ، ترى مثلى ، ثم تقول لا أساوى مائة جنيه ؟ ولما اختبرته بعدة أسئلة ، وجدته يجيبنى هكذا ، فأخذته ذات يوم إلى سوق المدينة ، وأخذت أتجول به ، وهو فى القفص .

ومرت الأيام ، حتى وصلت إلى قرية تسمى يلوى فنزلت بها ، وكان هذا اليوم يوم وقفة السحرة ، وبينما كنت نائما بالليل ، جاء بعض اللصوص وسرقونى ، فأخذت أهلل أقول " سارق يسرق سارقا " .

ولما أقبل الليل اشتريت سكينة حادة ، وأخذت أتجول فى المدينة للسرقة ، فدخلت ممر بيت كبير ، فوجدت مجموعة من الشباب أشعلوا مصباحا ، وجلسوا يعدون أموالهم ليلة العيد، وأغلقوا عليهم باب البيت ، فقرعت الباب ، فقال واحد منهم "من هناك ؟ "

فقلت : لص .

قالوا : لص !

قلت : نعم .

قالوا : لماذا جئت ؟

قلت : جئت لأسرقكم .

فقال واحد منهم : لا بأس .. ادخل واسرق .

فقلت : افتحوا الباب ، لتروا سأسرق أم لا ؟

فقام كبيرهم غضبان ، وفتح باب الممر ، فدخلت وأطفأت المصابيح ، وقصدت الحائط، وطعنتها بالسكين ، ثم عدت إلى جانب الممر ، وأوقعت نفسى ، وقلت : الحقونى لقد قتلنى ، فلما سمعوا ذلك ظنوا أحد أخوتهم ، ففروا جميعا إلى داخل البيت ، فقمت وجمعت متاعهم كله ، وتركت المدينة ، وذهبت إلى قرية أخرى وبعته ، وحصلت على مصاريف العيد ، ولما انقضى العيد ، خرجت لأتجول لعل الله يرزقنى بأحد أعرفه ، وأثناء تجولى سمعت صوتا ينادينى ، وكأنه من السماء يقول " الهمة يا ابن الشيخ " فنظرت ، فإذا به المعلم زرقية بن محمد، فتصافحنا ، وأخذنى إلى منزله ، وقضينا الليل نتحدث معا ، هذا اللقاء جعل الأمور تخيفنا ، فكل مرة نفترق ثم نلتقى مرة أخرى ، فالتقينا كثيرا .

ولما اصطحبنى المعلم زرقية ، قال لى أثناء الطريق " يجب أن نغفر الآن الذنوب التى ارتكبناها ، فغفرنا لبعضنا ، ومع ذلك لم أطمئن إليه ، لأنى أعرف أحوال الناس ، لذلك استعرت مصحفا فى الصباح ، واغتسلنا ، وأقسم كل منا ألا يضر أخاه مدى حياته ، ولما طلع النهار، قلت له : سأرحل إلى بلدة القدس ، وأنا مفلس

اليوم ، فقال .. لا بأس لنذهب .. مـــاذا أملــك هنـــا ؟ فذهبنـــا إلى بلدة كبـــيرة ، وحملـــت الببغـــاء إلـــى الســـوق ، فكـــانوا يقولون لى : ما هـــذا الطـــير الـــذى لا تفارقـــه ، فكنـــت أرد عليهم بأنه عينـــاى .

ورآنى رجل أوربى فقال : هذا الببغـــاء للبيـــع ؟

فقلت : نعـــم .

قال : بكم تبيعه لـــى ؟

قلت : مائة جنيـــه .

فسمعت الأوربى يتكلم كلاما لم أفهمـــه ، ولـــم أفـــهم مـــاذا يعنى ، ولا يعنينى ذلك ، ثم ســـمعته يقـــول بالإنجليزيـــة مـــا معناه " اذهب بعيد عنـــى يـــا غبـــى " فقلـــت : لا تســـبنى ، أتظن أننـــى لا أعـــرف الإنجليزيـــة ، إذا كنـــت تشـــك فيمـــا أقول، اسال هذا الطير ، واسمع ماذا يقـــول لـــك " .

فرأيته ينظر إلى الببغاء ويقـــول " هـــل هـــذا حقيقـــة يـــا ببغاء ؟ فأجاب " ويحك يا سيدى ، ترى مثلـــى ثـــم تقـــول لا أساوى مائة جنيه ؟ فانفجر المعلـــم زرقيـــة والأوربـــى فـــى الضحك ، وأحضر مائة جنيـــه كاملـــة ، وأعطانيـــها ، ولـــم نقض الليل فى هذه المدينة ، ولكننا سرنا بـــالليل حتـــى بيـــت المقـــدس .

وفى هذه المدينة المباركة ، قال المعلم زرقية ، لنتب عن الذنوب التى تعودنا على فعلها فوافقت على كلامه ، وجمعنا العلماء ، وأخذوا يدعون لنا ، لكى لا يلعب الشيطان بقلوبنا مرة أخرى .

بعد أن استرحت شهرا ، طلبت من الأمير أن يجمع لى كبار رجال المدينة لأسألهم ، لعل أحدهم ، يعرف مكان الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بأس ، وجمع كثيرا من الناس ، أمام باب قصره ، وسألهم ، فسكتوا جميعا ، فى بداية الأمر ، ثم تقدم رجل عجوز وقال : إنه يعرف مكانه ، فسألته عن بلده ، فقال إنه ولد فى مدينة " نصراوى : أى أنه الشقيق الأكبر الذى أخبرنى عنه أخوه الأصغر ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبين أخيه الأصغر، فقال نعم أبونا واحد.

نادى الأمير هذا الشيخ ، وطلب منه أن يقص على خب.رها ، فقال : الماء الشافى موجود فى مدينة إرم ، وهى مدينة الجن ، الماء الشافى ليس فى هذه المدينة ، ولكنه فوق جبل كبير ، يسمى جبل قاف ، لا يستطيع أى مخلوق أن يصل إلى هناك ، إلا الجن فقط ، ولا يستطيع ذلك إلا الطيارون فقط ، ولكنى نسيت الآن اسم البئر ، ولو حاول الجن أن يصل إلى هذا الجبل للحصول على الماء لا يصل إلا بقدرة الله ، حيث يوجد بعض المردة

الذين يحرسون هذا البئر ، كما يوجد من يقرأون آية الكرسي ، حتى لا يجد الجن الفرصة للدخول ، وهناك قواعد أخرى لابد أن تتبع قبل الدخول ، وإذا أخطأ إنسان ودخل ، مات ولم يعد ، وربما قد نسى جدنا بعض هذه القواعد أو الأدعية ، هذا كل ما عرفت من أخبار الماء الشافي ، أطال الله حياتك " .

عندما طلع النهار ، ركبت المركب ، وقصدت بلاد إرم ، وأثناء الرحلة ، جنحت المركب وتحطمت فغرق كل الركاب الذين كانوا معي ، ولكني استطعت أن أصل إلى الشاطئ بصعوبة ومشقة ، وعندما أفقت وجدت نفسي في جزيرة لا يوجد فيها أي مخلوق ، ولا يوجد أي شيء يستطيع الإنسان أكله ، لا قش ولا عشب ، الأرض فقط ، وها أنا وسط البحر ، تحيطني المياه من كل ناحية، ولا توجد أي جزيرة بالقرب مني ، تذهب صرخاتي أدراج الرياح ، ولا يأتي الجن هذا المكان ، فما بالك بالطيور .

حفرت الرمال ودفنت نفسي فيها ، وحاولت الأنتحار ، ولكن الله لم يرد بحثت عن أي شيء أقتل نفسي به ، فلم أجد ، وبينما أنا في هذه الحفرة ، أنتظر الموت ، فجأة رأيت اثنين من الجن ، وقد حملا آدميا ، وهبطا به بالقرب مني ، وحفرا الرمل على هيئة حجرة ، ثم سمعت كبيرهما يقول " بحرمة سليمان بن داود افتح "فرأيت

الأرض تنشق ، ويدخلان بهذا الرجل ، خفت جدا ، ودفنت جسمى كله فى الرمال ، وكتمت أنفاسى ، وكأن الرمال أصبحت لى قبرا ، ولذلك لم يستطيعا بقدرة الله رؤيتى ، وبعد قليل رأيتهما يخرجان فقالا " بحرمة سليمان بن داود اغلق " فرأيت الأرض تنضم ، فسويا الرمال فوقها ، وكأن شيئا لم يكن .

وبمجرد انصرافهما خرجت ، وذهبت إلى هذا المكان، وأزلت الرمال ، التى وضعاها ، وقلت " بحرمة سليمان بن داود افتح ، فرأيت الباب ينفتح ، فدخلت وعندما رآنى الرجل المحبوس قام وركع أمامى ، وقال

" بالله خلصنى " فسألته عن اسمه ، ومن أين جاء ، فقص على كل شىء ، فعلمت أنه أخى " سقيمو " ابن زوجة أبى ، الذى قتل والدى ، والذى حرص على قتل زوجات أبى لأنه رأى الرؤية التى حدثتكم عنها .

لما عرفت ذلك ، خطر على بالى حادثة مفسرى هذه الرؤية ، فنظرت حولى ، فوجدت بالقرب منى سيفا فى جراب من الذهب ، فأخذته وسحبت السيف منه ، فرأيت كلمة الشهادة مكتوبة على طرفه ، فنظرت إلى هذا الرجل وأخبرته من أنا ، وطلبت منه أن يتذكر تفسير الرؤية التى رآها ، وأخبرته كل ما حدث ، حتى تمت ولادتى ، وكيف نشأت ، فلما سمع ذلك انقض على ، فقطعت رأسه

بالسيف ، وقلـــت : قبـل أن يـأتى الجـن ويقتلونـــى ثـأرت لأبى".

أما عن سبب حضوره إلى هنا ، فقـــد كــان يـــأكل تمـرا ذات يوم ، فرمى بالنواه بعد أن انتـــهى فســقطت علـــى رأس ابن ملك الجن الصغير ، حيث كـــان يلعـــب ، فســقط الطفـل ميتا ، لهذا حملوه إلى هنا حيث قتلتـــــه .

## الباب الثامن

## وصول الحاج إلى هدفه ، وعودته إلى وطنه:

بعد أن قطعت رأسه ، أخذت قطعة من القماش ، لأمسح السيف ، وبمجرد مسحه ، ظهر لى أحد الجن وقال " اطلب حاجتك يا سيدى " فرميت السيف خوفا ، ومددت يدى ومسحت عينى ، وكأنى أقول له اقتلنى ، لأرتاح من العذاب ، فسمعت قلبى يحدثنى قائلا : "دع العذاب يمر " .

فقلت: من أنت ؟ !!

قال الجن : أنا خادم هذا السيف ، يافث بن نوح ، أمرنى أن أخدم هذا السيف ، لأنه حارب به منذ أن كان حيا حتى مات " .

عندما سمعت ذلك ، انشرح قلبى ، وقلت " لا بأس .. إن كان الأمر كذلك ، احملنى لأصل إلى الماء الشافى : فصرخ وقال : ليس لى هذه السلطة ، ولكن يمكن أن أحملك إلى كبيرنا ، إذا وافق ، هو وحده ، الذى يملك هذه السلطة فى كل المدينة ، ... منذ أن خلقت الدنيا ، خلق

الماء الشافى هنا ، من أجل الجن جميعا ، ومنــذ هــذا الوقــت تسيطر ذريتهم عليه حتـــى الآن " .

فقلت له : لا بأس ، احملنى ، وقبــل أن أنطــق البســملة ، وصلنا إلى كهف كبير ، قريـــب مـــن مدينـــة " إرم " فقـــال : هو فى هذا الكـــهف " .

دخلنا فوجدنا عفريتا كبيرا ، فركعت وحييتـــه ، وقلــت لــه كل ما جاء بى ، منذ البداية حتى النهاية ، لـــم أخــف شــيئا ، حتى قصة ســـقيمو ــ أخـــى الأكـــبر ـــ قصصتـــها عليـــه ، فتعجب وقال : لابد أنك ابن حـــر ، لأنـــك ضحيــت بنفســك من أجل أبو فلان " ثم استطرد قـــائلا " الأخ الأكـــبر للإمـــام، الذى قابلته فى الكهف يعبد الله ، هـــو صديـــق لـــى ، جمعنـــا معا حادث غريب ، فذات يـــوم ، كـــانت أمـــى تتجـــول فـــى الصحراء ، فوصلت إلـــى بـــلاد الســـودان ، وهـــى تحملنـــى على ظهرها ، فتملكنى الظمأ ، حتى أخـــذت أبكـــى ، فقـــابلت أمى أمه ، ــ أى أم الشيخ العجوز والإمـــام ـــ تغـــرف المـــاء من البئر ، فلما ســـمعتنى أبكـــى ، قـــالت لأمـــى " انتظـــرى أعطى هذا الطفل الماء ليشرب " فوقفـــت وأخذتنـــى أمـــهما ، وأعطتنى الماء بنفســـها .

وقبل أن تنصرف جـــاءت أم الإمـــام ، وأعطتنـــى زهـــرة ـــ وثمرة الكـــولا ـــ جـــورو ـــ وشـــيئا مثـــل جـــوز الـــهند،

وأعطتــه لأمـــى ، وأخرجــت قرشــين ، وأعطتــهما لـــى ، فأمسكت فى كل يد قرشا، وأخذت ألعب بـــهما ، كـــانت تظــن أن أمى آدمية ، ولم تعرف أنها مـــن الجــن ؛ فســألتها أمـــى عن بلدها ، فدلتها عليها ، وبعــد ثلاثـــة أيــام ، جــاءت لــها والدتى فى الليل ، وكشفت لها عن نفســها ، وتصادقــا معــا ، وكانت أم الإمام تحمل هذا الشــيخ العجــوز ــ الــذى رأيتــه فى كهف الجبل ــ على ظـــهرها .

وكانت أمنا سببا فى نمو الصداقة بيننـــا ، حتـــى كبرنـــا ، وحتى الآن ما زلنا نزور بعضنا ، كل ليلـــة جمعـــة ، أذهــب إليه ، ونقضى الليل فى الســـمر ، واليــوم عــاش كــل منــا ثمانين عاما ، ونحن نعبد الله فى هـــذا الكـــهف .

وأخوك الذى قتلته فى الجزيرة ، قتـــل أخـــى مـــن قبــل ، وأنا ملك الجن ، فـــى هــذه الدنيــا كلــها ، والذيــن رأيتـــهم يحملن ولدى ، وهذا الكنز الـــذى دخلتــه كــنزى ، والســيف الذى فى يدك، سيف يافث بن نوح ، الذى حـــارب بـــه حتـــى توفى ، وهو الآن ملكى ، ولـــولاه مـــا اســتطاع أى مخلــوق الوصول إلى الماء الشافى حتـــى أنـــا ، ولـــولا أنــك أخذتــه لبعثت ليؤتى به لأعطيك إياه ، حتى تســتطيع الوصــول إلـــى الماء الشـــافى .

وهناك سببان أوجبا على مساعدتك : السبب الأول ، أنك قتلت الذى قتل أخى ، والسبب الثانى ، أنك ضحيت بروحك ، من أجل أخى الإمام ، وأنت تعرف أن الأخ الأصغر لصديقك ، كأخيك تماما .

عندما سمعت ذلك ركعت وشكرته ، فنصحنى ألا أدخل المدينة فى المساء ، ولا تنتظر الصباح ، فنمت مع أولاده ، وعندما طلع النهار نادانى ، وقال : احفظ ما سأقول لك ، وإلا ستهلك " .

قلت : لا بأس ، أسال الله أن يساعدنا .

قال : انظر قمة الجبل الموجود فى وسط هذه المدينة البعيدة ، هى المدينة الكبرى ، التى يسكنها الجن ، فى الدنيا كلها ، واسمها مدينة " إرم " ، وهذا الجبل الذى تراه على البعد الذى يخترق السحب ، اسمه جبل " قاف " إذا دخلت ستجد مكتوبا على باب المدينة كلمة " لا تسأل " ومهما ترى من أمور لا تهتم بها ، واقصد الجبل مباشرة، بهذا السيف المسلول وإذا دخلت المدينة ، ابدأ فى إنشاد هذه الأشعار ، " ويفعل فى ملكه ما يشاء ، تعالى الله وجل الحكم" حتى تغرف الماء وتعود.

سبب استمرارك فى هذه القراءة أنك سترى أمورا عجيبة لم تتعود على رؤيتها ، سترى البقرة تحلب صاحبها الفلاتا ، وترى الحصان يركب الفارس ، والكلب يسب ، والكتكوت يخطف الحدأة ، والعنزة تطارد الذئب ، والرجل يلد ، والدجاجة تفلح الأرض ، والديك يزرع ، وأمورا أخرى عجيبة كهذه ، أنت تعرف الله يفعل ما يريد، ويفعل أكثر من ذلك غرابة ، آلاف ، آلاف المرات إذا شاء .

قراءة هذه الأشعار ستجعل الجن يعرفون أنك تعرف قدرة الله ، لذلك لن يضروك ، ولكن لا تقطع أى شىء ، وإذا رأيت أنهم سيضرونك ، لن يصيبك أى أذى ، وعند دخولك سترى أثنتى عشرة حجرة ، متوالية ، اترك الحجرة الخامسة على يدك اليمنى ، وادخل السادسة ، وفيها ستجد البئر ، وهو يسمى بئر سينين ستجده ، مغطى بغطاء من اللؤلؤ ، لو اجتمع كل من فى الدنيا ، لن يستطيعوا فتحه ، حتى يقال " افتح بحرمة النبى سليمان بن داود ، يا سليمان ، يا سليمان ، يا سليمان ، افتح لأجل من لا نبى بعده ، افتح من أجل أفضل الخلق ، النبى محمد"؛ فإذا فتح خذ دلوا من الذهب ، ستجده على حافة البئر، فألقه داخل البئر ، وأنت تنشد ، ما قلته لك من الشعر، وإليك بزجاجة العطر هذه ، خذها ، إذا ملكت أكثر منها هلكت لأنك إذا ملأت هذه الزجاجة ، ووصلت

إلى بلاد السودان ، ومسح به أى إنسان رأسه ، لا يصيبه صداع إلى الأبد ، لذلك فهذه الزجاجة الصغيرة تكفى ، لا تخف ، ولا تنسى شيئا مما قلت لك ، الله يرجعك بالسلامة .

أخذت الزجاجة ، وقصدت المدينة ، وقلبى يدق ، كل ما قاله لى وجدته حقيقة ، ففعلت كل ما قاله لى ، حتى وصلت إلى الجبل ، لذلك كان على أن أعد الحجرة الخامسة على يدى اليمنى ، وأدخل السادسة ، كما قال ، ولكننى خفت ، فعددت الرابعة على يدى اليسرى ، ودخلت الخامسة .

ولما دخلت ، سمعت من يقول : آه لقد أخطأ ، أضربوه ، فأخذوا يضربوننى ، وألقونى خارج المدينة ، والسيف معى ، حتى كسروا رجلى ، فزحفت ومسحت السيف ، فظهر لى العفريت ، فطلبت منه أن يعيدنى إلى كهف ملك الجن ، وفى الحال أعادنى .

فما رآنى ملك الجن ، مصاب بالجراح ، فى كل جسمى ، قال : لقد نجوت ، ولم يقتلوك ، قلت لك انتبه، ها قد رأيت ما أصابك ، لقد كتب الله لك النجاة ولم يهلكوك " ؛ فقلت له أين حدث الخطأ ، فقال ، اجلس حتى يتم لك الشفاء ثم عد بعد ذلك ،وعالجونى حتى شفيت.

بعد عشرين يوما كرر نصيحتـــــه لـــى ، وعــدت ، وفـــى هذه المرة لم أخطئ حتى عدت بالماء، لقد ظـــهر لـــى الجـــن، بأشكال مختلقة ، فلم أهتم بهم ، ولما غرفـــت المـــاء ســـمعتهم يدقون لى الطبـــول ، لقـــد كـــانت دقـــات طبولـــهم جميلـــة ، وخرجت ، ووصلت إلى ملك الجن ، فســـر بـــى .

وبعد أن استرحت ســـبعة أيـــام ، قـــال لـــى : لا بـــأس أن تستعد للعودة " ، وقال " لن يســـتطيع أى عفريـــت فـــى هـــذه الدنيا ، أن يحملـــك ، لثقـــل المـــاء الـــذى تحملـــه ، إلا أنـــا وحدى، ولولا ذلـــك لجعلـــت أحـــد العفـــاريت يحملـــك إلـــى بلادك، قبل طلوع الصبح ، ولكنـــى ســـأحملك بـــالرغم مـــن كبر سنى ، وسأحاول أن أختصر لـــك الطريـــق ، لأخرجـــك من بلادنـــا .

حملنى بنفسه ، حتى البلاد الواسعة ، بـــلاد النـــاس الذيـــن يقال عنهم ، إنهم ملكـــوا الدنيـــا ، أى الأوربييـــن ، وقبـــل أن نفترق أحضر خاتما من الذهب ، ومنحـــه لـــى ، وقـــال : إن له خادما كخادم السيف ، إذا أردت شـــيئا ، امســـحه فيخـــرج لى الخادم ، لأننى لن أستطيع حمـــل الســـيف، ولكـــن الخـــادم لن يستطيع الظهور الآن ، لأن الماء الشـــافى معـــى ، مـــهما مسحت لن يظهر فأخذت هذا الخاتم ، ووضعتـــه فـــى يـــدى ، وأخذت الزجاجة وربطتـــها فـــى جيـــب قميصـــى خشـــية ، سقوطها، وقال : إذا اشتقت لرؤيته فـــلا أذهـــب إلـــى الكـــهف

الذى يعتكــــف فيـــه عمـــى ـ الأخ الأكـــبر الإمـــام ـ يـــوم الجمعة ـ فهو يزوره فى كل ليلـــة جمعـــة ، ليقضـــى الليـــل معه .

ركعت وشكرته ، وكـــدت أبكـــى مـــن فـــرط السـرور ، وتقدمت إليه وسألته المغفرة ، عما يكون قد بـــدر منـــى .

ولما اختفى ، قصدت البحـــر ، وســألت أحـــد النصـــارى الذى يمتلك بعض المراكـــب أن يحملنـــى فـــى إحداهـــا إلـــى بلاد السودان ، فقال إنى لا أروق له ، فأنـــا شـــديد القـــذارة ، كان يظن سواد جسمى قذارة غطته ، ولم يعـــرف أنـــها خلقـــة الله ، وحاولت وحاولت ، ولكنـــه رفـــض ، وأخـــيرا طردنـــى بعيدا عنهم ، مدعين أن رائحتـــى كريهـــة ، حتـــى لا أجلـــب لهم القمـــل .

عندما طلع النهار ، وجـــدت قاربـــا قديمـــا ، فأصلحتـــه ، ونزلت به البحر المالح ، ومعـــى أدوات الطعـــام وصفيحـــة الماء ، لأن ماء البحر لا يصلح للشرب ، ففيـــه ملـــح كثـــير ، وقصدت جهـــة الســـودان ، وقلـــت ، إذا شـــاء الله أن أحمـــل الماء الشافى إلى السودان حملتـــه ، وإذا لـــم يشـــأ ، فإرادتـــه فوق كل شـــىء .

وظللت أجـــدف ، أقـــع هنـــا ، وتدفعنـــى الريـــاح هنـــاك، والأمواج تحملنى مع المركـــب ، وتقـــذف بنـــا معـــا ، ولمـــا رأيـــت أننـــى لا أشـــم رائحـــة الأرض ، تركـــت التجديـــف

وقلت: لأذهب حيث أراد الله أن أذهب " ، وإذا أحسست بالنعاس لم أهتم به ، وتغلبت عليه ، وقطعت أملى فى النجاة تماما ، حتى أصبحت لا أعرف تواريخ الأيام .

وذات يوم كنت نائما ، فتوقفت بى المركب ، ففتحت عينى ، فرأيت نفسى فى وسط شىء مثل البئر ، فأصغيت، فسمعت أصواتا ، كأنها كلام لبعض الناس فوق رأسي ، فرفعتها فرأيت السماء ، فقلت " اليوم أراد الله أن آتى هنا ... الحمد لله " .

وبينما أنا أفكر ، رأيت من يدلى دلوا ، فأمسكته فأخذ يشد ، وأنا أشد ، حتى سمعت من يقول : آه من الذى يمسك الدلو ؟

فقلت : أنا وقعت هنا ليلة أمس ، وخشيت أن أقول إننى من البحر المالح فيخافون ، ولا يخرجوننى .

فلما قلت ذلك سمعتهم يصرخون، وفى الحال تجمع الناس، وأدلوا لى حبلا فأمسكته فأخرجونى وأنا فى أقبح صورة يتدلى شعرى حتى الكتف عندما رأونى تفرقوا من شدة الخوف وذهبوا وأخبروا أمير المدينة، فجاء ومعه رجاله، فسألونى عن أخبارى فقلت لهم أنا رجل آدمى أعطونى طعاما لآكل، حتى أستطيع أن أحدثكم وأقص عليكم قصتى كلها .

وأمر الأمير ، فأحضروا لـــى طعامـا فـأكلت ، وكـانت حركة البحر قــد أصـابتنى بـالصمم ، فسـقونى دواء لمـدة سبعة أيام ، حتى شفيت ومكثـت عـدة أيـام ، حتـى هـدأت أعصابى ، لأننى كنـت كـالمجنون ، أو كمـن بعـث يـوم الحشر .

ولما هدأت أعصابى بعد عـدة أيـام ، رأى أهـل المدينـة شكلى تماما ، عاداتـهم كلـها وكلامـهم وملابسـهم ولـون بشرتهم مثل أهل السودان ؛ فلما انتبـهت إلـى ذلـك سـألت الأمير قائلا : أطال الله عمر الأمير ، أيـن أنـا ؟ !!

فقال : فى مدينة كـانو .

قلت : أى كانو ؟ !! مدينـة السـودان ؟ !!

قال : نعـم .

قلت : لا بأس ، أين كونتا جـورا ؟

قال : بعد مسيرة خمسة عشـر يومـا مـن هنـا ، دون أن تستريح فى الطريـق .

لما سمعت ذلك هللـــت بـــالصلاة ، وقلــت الحمــد لله ، الله يعلم بأى طريقة جئت إلى هنا ؟ فــــأمر الأمــير أن يــأخذونى إلى بيت كبير ، وقالوا من هذا البـــئر خرجــت .

قلت : ما أســمها ؟

قالوا : ميبر حـــامى .

فقلت للأمير : هذه البئر عيناها تلتقى مــــع البحــر المـــالح، فأنا خرجت من البحر المــــالح ، وأراد الله أن تســحبنى قـــوة عين هذه البئر معها حتى هنا ، حيـــث خرجــت فتعجبـــوا ، وقصصت لهم قصتــــى منـــذ البدايــة حتـــى النهايـــة ، فســـر الأمير بسماع ذلـــك .

قصة خروجى من هذه البئر ، لا كــــذب فيـــها ولا شــك ، وحتى اليوم إذا أردت أن تسمع القصة ، اذهـــب إلـــى مدينـــة " كانو " واسأل عنها ، فكل كـــانوى عمـــره عشـــرين عامـــا يعرفها، وكل من تسأله عن مدينة كـــانو ، قـــل لـــه أن يريـــك بئر فى برجامى ، يوصلك حتــــى البيــت الــذى يوجــد فيـــه البئر ، وخشية أن يقع فيـــه أى إنســـان يغــرف منـــها المـــاء فيموت ، أمر أمير كانو أن يصنعوا لها غطـــاء مـــن الصـــاج ليغطيها ، كما أمر أن يغلـــق البيــت ومنـــع زيارتـــه ، والآن هى مغلقة والمياه كثيرة ، ولم تظهر لأستخرج المـــاء منـــها.

وبعد أن استرحت عشرة أيام ، أعطاني الأمير هدايا كثيرة ، وأمر أن تعد لي ناقة حتى تنقلني إلى باب بيتي في كونتا جوار ، فقد مضى خمسة عشر عاما تماما على خروجي منها حتى اليوم الذي عدت إليها فيه ، فخرج الإمام إلى الباب ، ولم يستطع التعرف علي ، وخرجت طفلا عمره خمسة عشر عاما ، وعدت شابا عمره ثلاثون عاما لحيتي طويلة حتى عارضي .

عندما كشفت له عن شخصيتي ، احضتنني ، وأخذنا نبكي من شدة السرور ، ودخلت البيت معه ، فلما رأتني أمي ، لم تنسني ولم أنسها ، فتعانقنا حتى كاد يغمى علينا من شدة السرور ، فصب الناس علينا الماء حتى أفقنا ، وأخذت كل المدينة تبارك لأهلي .

وأخبر الإمام الأمير ، أن ابنه الذي خرج يتجول في الدنيا قد عاد ، فبعث مرحبا بعودته ، ولم يعرف أحد ، ما أخرجني من بلادي ، أو ما حصلت عليه وبعد أن استرحت سبعة أيام ذهبت إلى الإمام ذات يوم ، أنا وأمي، وقصصت عليهما أخبار رحلتي منذ أن خرجت حتى اليوم الذي عدت فيه ، وأخذت الماء الشافي وقدمته لهما ، فاكتشفت أنه قد تبعثر مني ، حينما كانت الأمواج تتقاذفني في البحر المالح ، ولم يبق إلا شيء قليل ، فقدمت لهما الجزء الباقي .

عندما سمع الإمام ذلك قام في الحال ، وأخبر أمير السودان ، فأمر باستدعائي لأقص عليه القصة كلها ، وقدمت له الماء الشافي ، فأخذني وعانقني ، وأمر أن تدق لي الطبول منذ الصباح حتى الظهر ، ولأختصر لكم القصة أقول أن الأفراح التي أقيمت والسرور الذي عم والخير الذي ناله الأمير ورجاله والدهشة التي أصابت الجميع لا حدود لها .

وسألت الأمير عن الولد الذي تركته مريضا ، هل شفي ؟ أعني " يا ريما " الذي قال لو أعطي الماء الشافي ، قال الأمير : لقد عالجناه ، حتى تعبنا ، وحتى الآن لا يتقدم ، ونتمنى أن يموت الآن لنرتاح ، فهو بين الموت والحياة ، لمدة خمسة عشر عاما .

عندما سمعت ذلك قلت : لا بأس ، انتظر لنرى المشكلة التي أثارها الإمام، ما إذا كانت الحقيقة أم لا ؟ فأخذت عصا صغيرة ، وغمرتها في الزجاجة ، وألقيت بها في قليل من الماء في إناء وأعطي للولد فشرب ، وبمجرد أن شربه مرة واحدة ، هب قائما وشفي في الحال.

ولم يبق إلا القوة فقط فسر الأمير وبدى وكأنه سيأخذنى ويلتهمنى من فرط السرور ، وأخذ الناس يتعجبون من قوة الماء الشافى .

وعجب الإمام من أخبار أخيه الأكبر ، وملك جن الدنيا، واستدعى الأمير الإمام ، وسأله المغفرة لتكذيبه له، عندما تكلم عن الماء الشافى ، فغفرا لبعضهما...

لقد كانت رحلتى ذات فائدة عظيمة لأهل السودان ، ولكنهم لم يعرفوا ذلك ، وقبل قيامي بهذه الرحلة ، كان دواءنا فى بلاد السودان ، لافائدة منه للنباتات أو الحيوانات ، لأنه لا يوجد به قطرة واحدة من الماء الشافى ولكن بسبب قوته حولها ، فأصبحت كل العواصف التى تهب على البحر المالح وتمد الأرض بالماء الذى يرويها، وأصبح الدواء صغيرا إذا خلط به وسقى منه الحيوان أو النبات ، أرأيت كيف أن كل الأدوية تفيد ، لأننى صببت بعض الماء الشافى فى البحر ، والآن إذا وجدت شجرة أو حيوان يشرب من الماء الذى يخرج من هذا البحر وعولجت من أى مرض تم لها الشفاء .

بعد أن استرحت حوالى شهر ، بدأت أستعد لحك الخاتم ، فلما ظهر لى الخادم ، أخبرته باسم المدن التى حفظت فيها متاعى كله ، فحملنى وذهب لنقل متاعى ،

ولم أترك شيئا حتى الأبرة نقلتــها ، وكــل شــىء تجــده الآن في بيتــي ·

وبينما أجمع متاعى ، ذات يوم قلـــت للخـادم أن يحملنــى إلى المدينة التى تركت فيـــها زوجتـــى " رقيــة " لأحضرهـــا فلما رأتنى سرت جدا بعودتى ، وخرجت أتـــتره فـــى المدينـــة معها .

فوصلنا إلى قرية صغيرة ، فرأيـــت المعلـم زرقيـــة فـــى السوق بين القصابين ، يدق طبلة وينبـــح وكأنـــه كلـب أحـد المتسولين ، فلما فتحت عبني ورأيتـــه ناديتـــه فنظـــر إلـــى وقد طلى وجهه بلون أحمر وقال : الهمة يـــا بـن الشـــيخ " وألقى الطبلة واتبعني واتبعني كل النـــاس ، وقــص كــل منــا على الآخر أخباره ، منذ أن افترقنـــا ، وســبب عـدم التقائنـــا بسرعة ، فأعطيته كــل ثروتـــى ، التـــى تركتـــها بالمدينـــة ، وتركت لـــه حريـــة التصــرف فيــها ، وأخــذت زوجتـــى ، وعدت إلى كونتـــاجورا .

وحتـــى الآن ، إذا أردت المعلـم زرقيـــة ، أو أى إنســـان ألفته ، أو اشتاقت زوجتى لرؤيـــة أهلــها ، أمســح الخــاتم ، فيظهر الخادم لى ويحملنا إلى حيـــث نريـد، وهــذا البيــت بناه الجن لى ، وكنت اتمنـــى أن يبنــوه لـــى مـــن الحديـد ، ولكننى خشيت أن يملأنى الغرور ، فأتكبر علـــى النـــاس " .

هذه هي قصـــة الدنيـــا ، وأشـــكر الله ، ومـــازلت أشـــكره حتى الآن ، الحمدلله رضيت أم لـــم تـــرض .

# إيليـــا الإبـــن الأقوى

# Iliya Dan Mai Karfi

تأليف : أحمد إنجاو

## أمـــر عجيـب :

كان يعيش فى إحدى بلاد الشرق رجـــل يسـمى صحـابى وكان له زوجة تسمى مرجانـــة ، كانـا يعيشـان فـى مـنزل ريفي ، لم يكنا بالأثرياء تمامًا ، ولم يكونا مــن الفقـراء فقـد كانا متوسطى الحال ، يمتلكان بعـــض الـدواب والمــزراع ، إلا أن شيئاً واحداً كان يكـــدر عليـهما صفـو الحيـاة الدنيـا وهو عدم الإنجاب فلم يمن الله عليهما بنعمـــة الولــد .

لقد بذلا الكثير من المحاولات لعـــلاج حالـة العقـم إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ... ومــرت السـنون تلـو السنين حتى من الله على مرجانـــة بـالحمل ، ويعجـز القلـم عن وصف مظاهر الفرح والسرور لـــدى الأبويـن ، وأخـذا يستعدان ليوم الولادة منذ الشـــهر الرابـع .

وذات يوم كان صحابي يعمل فى الحقــل خلـف المـنزل ، وكانت الشمس قد توسطت الســـماء وفجـأة سـمع زغـرودة تنطلق ثلاث مرات من منزله ، فألقى فأســـه وعـاد مسـرعاً إلى المنزل فلما وصل وجد أن الأمنية التـــى طالمـا تحققـت، فقد ولدت مرجانة ولدا جميلا ، وبعد أســبوع اجتمـع النـاس وأقيم حفل التسمية وأطلق على المولود اســـم إيليـا .

ودارت الأيــام وبلــغ الرضيــع الفطــام ، إلا أن مــرض الشلل أصاب رجليه وإحدى يديه ، ومكث علـــى هــذا الحــال حتى كبر ، لا يستطيع مغـــادرة ســريره إلــى أى مكــان إلا محمولا ، وقد حزن والده لمرضه حزناً شــديداً ولكنــهما لــم يســتطيعا إلا صــبرا وذات يــوم ذهــب والــدا إيليــا إلــى المزرعة ، وتركاه وحده فى المـــنزل فــوق ســريره ، وقــد استغرق مفكرا فى أمور الحياة الدنيــا ، ومــاذا كــان يمكــن أن يفعل لو كان سليم الرجلين ، وفجأة سمع مــن يلقــى عليــه السلام " السلام عليكم ، الســلام عليكــم " فــرد عليــه إيليــا قائلا " عليك الســلام ، مــن الــذى دخــل " ثــم رأى ثــلاث رجال يرتدون الملابــس العربيــة التــى يرتديــها الحجــاج ، يحمل كل منهم مسبحه طويلة فى يده ، جلســوا فرحــب بــهم إيليا فردوا التحية مبتســمين .

نظر إيليا إلى هؤلاء الرجال جيدا ، فــأدرك أنــهم ليســوا كمن تعود أن يراهم من النــاس ، فظــن أنــهم ممــن يقــال عنهم أنهم يطوفون البلاد يعظــون النــاس .

سأل هؤلاء الرجال إيليا عما إذا كان لديــه بعــض الطعــام يقدمه إليهم ليأكلوه قال إيليا " لا يخلــو المــنزل مــن بعــض الطعام ابحثوا فى كل مكــان وخــذوا مــا تجدونــه وكلــوه ، لأنى لا أستطيع القيام والبحث " فسألوه عمــا أصابــه ، قــال " هذا المكان الذي ترونني فيه ، أنام فيه منــذ ولادتــي ، لــم

أخرج من باب المنزل ولم أذهب خارج هذه الحجرة إلا محمولاً " .

الله أرحم الراحمين ! لم يكن هؤلاء الزوار بشراً ، كانوا ملائكة بعثوا لامتحان إيليا ، وشفائه ، طلب أحدهما ماء في إناء ، وقرأ عليه بعض الأدعية ، وقدمه إلى إيليا، وقال " اغسل وجهك وجسمك " أخذ إيليا الماء بيده السليمة واغتسل ، وفي لمح البصر ، وجد جسمه معافى تماماً وكأن شيئاً لم يكن ، واستطاع أن يمد رجليه ويده المشلولة، وأصبح من لم يره من قبل ، لا يدرك أنه كان مريضاً .

مد رجليه من فوق السرير ، وانحنى أمام هؤلاء الرجال ، وقدم لهم الشكر ، وفي غبطة وسرور ، ذهب وأحضر بعض اللبن ، وركع وقدمه إليهم ، فشرب كل منهم وأعطى رفيقه ، حتى شربوا جميعاً ، ثم مد كبيرهم يده إلى إيليا وقال " اشرب أنت أيضاً يا إيليا " أخذ إيليا اللبن وشرب . وبعد قليل قال أحدهم لإيليا " كيف تشعر بجسدك الآن " ؟ قال إيليا " أشعر أن قوة جديدة قد تسللت إلي ، وأشعر ان الأرض ، بما عليها لا تنال مني " .

قال كبيرهم من إيليا أن يشرب مزيداً من اللبن . وبعد أن شرب قدراً أكبر من اللبن ، قال له الرجل " حسناً ، آمن بالملك الأعلى ، واتبع أوامره واعمل بكل ما يأمرك

به ، وستكون أشرف من كل سكان البلـــد وسيشـــتهر اســمك فى كل مكان فـــى الدنيـــا ، ولا تثنيـــك الصعـــاب والأخطـــار عن حبك لربك . وهذا الأمر مؤكـــد ومكتـــوب ولـــن تمـــوت فى ميدان القتال مهما حمى الوطيـــس .

ولن ينتصر عليك أى إنسان فـــى هـــذه الدنيـــا ، إلا رجـــل واحد فقط يســـمى ورجـــاجى ، ســـتلتقى بـــه ، ولكـــن إيـــاك ومحاربته ، وعليك الآن أن تعقد العـــزم علـــى الذهـــاب إلـــى مدينة قب ، ولا تنتظـــر لتســـتنفد قوتـــك فـــى المزرعـــة ، أو الحديقة أو الغابـــة . "

وبمجرد انتهائهم من هذا الحديـــث اختفـــوا دون أن يشـــعر بهم إيليا . فتملكته الحيرة ، وحزن لأنـــه لـــم يعـــرف الســـبب الذي سيذهب من أجلـــه مدينـــة قـــب ، وقـــد اختفـــوا دون أن يسألهم ، ورأى الأمر كلـــه كـــالحلم الخـــاطف، وبعـــد قليـــل هدأت نفسه، وذهب إلـــــى المزرعـــة حيـــث يعمـــل والـــده ، فوجدهما قد انتهيا من عملـــهما وأصابـــهما التعـــب فاســـتغرقا فى نوم عميـــق ، فـــألقى عليـــهما الســـلام ، فلـــم يســـتيقظا ، فاقترب منهما وأخذ فأساً وقصـــد فرعـــاً كبـــيراً مـــن شـــجرة الباو باو ينام والده فى ظله وقطعه ، وبـــالرغم مـــن الصـــوت المرتفع الذى أحدثه القطع وسقوط الغصـــن إلا أن والديـــه لـــم يستيقظا من نومهما . فأخذ باقى الفئـــوس وثبتـــها فـــى جســـم الشجرة وذهب إلى مكان واختبأ فيـــه وهـــو يضحـــك ويقـــول

فى نفسه " عندمـــا يســتيقظان ويــهمان بــالعمل فلــن يجــدا فأسهما وسيبحثان عنـــها . "

وبعد أن ضربتهما حـــرارة الشــمس ، قامــا مذعوريــن ، ونظرا إلى أعلــى فوجــدا أن غصــن الشــجرة الكبــيرة قــد قطع، فتعجبا لأنهما يعلمان أنـــه لا يقــوم بــهذا العمــل فــى الوقت القصير إلا عشرة رجال أشداء ، ونظــرا فلــم يشــاهدا أحداً إلا فئوسهما مثبتـــة فــى الشــجرة ، فحــاولا اقتلاعــها ولكنهما عجزا عن ذلـــك ، ولمــا رأى إيليــا أنــهما عجــزا خرج إليهما ضاحكا ومد يده واقتلـــع الفئــوس جميعــا . فلمــا رأيا إيليا على هذا الحال ، زالـــت دهشــتهما لقطــع الشــجرة وتثبيت الفئوس فيها . وأخذا يتعجبان من أمــر إيليــا . وهــدأ كل المكان ، وأخذت أم إيليا وأبوه ينظر إليه مــن أســفل إلــى أعلى. وبعد قليل أدركا أنه ابنهما إيليا قد كتـــب لــه الشــفاء ، فرفع الأب رأسه إلى السـماء حــامداً الله .

ولشدة دهشة والدى إليها لم يستطيعا أن يقــولا لــه شــيئاً ، وركع إيليـــا أمامــهما، وقــص عليــهما كــل مــا حــدث . وأخبرهما أنه لن يبقى معهما ، وقال أنـــه أمــر بــأن يذهــب إلى مدينة قــب .

فرح والده كثيرا لشفاء أبنهما ، ولكنـــهما شــعرا بــالحزن عندما تذكرا أنه سيفارقهما ، فركع مـــرة أخــرى ، وخفــض من صوته وأخذ يحـــث والديــه علــى الصــبر ، ويحدثــهما

حديثاً لطيفاً ، حتى يهدأ مـــن روعــهما ، ثــم طلــب منــهما المغفرة، وودعهما ، واتخذ سبيله إلى مدينـــة قــب .

وفى أثناء الرحلة التقى برجـــل يجـــر حصانـــا صغـــيرا ، فسأله إيليا مازحا هل يبيعه هذا الحصـــان . فوافـــق صـــاحب الحصان ، وساومه فى الثمن وهو علـــى يقيـــن أنـــه لا يملـــك درهما ، ثم وضع يده فى جيبـــه ، مازحـــا فـــأحس أن فيـــها مالا ، فأخذه ودفع ثمن الحصان . وهنـــا ورد علـــى خـــاطره أنه من الأفضل أن يعود إلى منزلـــه، ويرعـــى الحصـــان ثـــم يستأنف الرحلة ، فالتفت عائداً إلـــى منزلـــه .

أطلق إيليا علـــى حصانـــه اسـم قوليلـــى ، أخـــذ يرعـــاه ويربيه على تحمـــل الصعـــاب ، والصـــبر علـــى الجـــوع ، وقبل مضى ثلاثة أشهر كان الحصـــان قـــد امتـــلأ وصـــار لا مثيل له فى المنطقة المجاورة ، وظل فى مربطـــه حتـــى مـــل الراحة ، وأخذ يتشوق إلى الرحيل أكثر مـــن صاحبـــه .

عندما شعر إيليا أن وقت رحيله قـــد حـــان ، ذهـــب إلـــى والديه وأخبرهمـــا ، وطلـــب منـــهما المغفـــرة ، فـــأكثر مـــن الدعاء له ، وودعاه وفى صباح اليوم التـــالى ، اســـتعد إيليـــا وامتطى صهوة جواده قوليلى وبـــدأ الرحلـــة .

## لقاء إيليا بورجاجى :

دخل إيليا الغابة وواصل السير ، وهو لا يعرف له وجهة ، حتى أقبل الليل واستولى عليه الجوع والتعب والظمأ ، كما تعب حصانه كذلك. واصل السير وسط سكون الغابة ، حتى وجد حديقة أمامه مملوءة بالثمار والأزهار العجيبة ، وفى وسط الحديقة أقيمت خيمة من الحرير الأبيض ، نزل إيليا وربط حصانه ، ودخل الحديقة وأطل برأسه فى الخيمة فلم ير إلا سريرا من الحديد وبعض الفراش والوسائد. لم ينتظر طويلا ، وصعد السرير ونام وسرعان ما استغرق فى النوم حتى طلع النهار. وغربت الشمس مرة أخرى ، وأقبل الليل وطلع النهار وهكذا استمر ثلاثة أيام نائما لم يستيقظ. وفى الليلة الثالثة كان إيليا مستغرقا فى نومه ، أخذ قوليلى يسمع حركة وضوضاء مقبلة تجاه الخيمة ، وكأن عاصفة تهب ، تهتز الأرض من تحتها وكأنها ستنشق. أخذت الأشجار تسقط ، وفاضت مياه النهر فى الغابة. ثم صهل الحصان بشدة حتى يستيقظ إيليا ، وكأنه ينبهه إلى القيام بسرعة لاقتراب هذا المخلوق الضخم إليه. لقد كان هذا المكان هو منتزه ورجاجى الذى طلب من إيليا ألا يتقاتل معه .

بعد قليل ، شعر إيليا بالخوف ، وأشار إليه قوليلي بأن يصعد إلى مكان مرتفع ليختبيء فيه ، وبسرعة صعد إيليا فوق إحدى الأشجار الطويلة في الحديقة واختبأ . وبحث قوليلى عن مكان اختفى فيه .

بعد ذلك وصل ورجاجى ، على ظهر حصان كبير كان يشبه الجمل مقبلا من بعيد ، ونزل عند مدخل الخيمة . نظر إليه إيليا جيداً فوجده شيئاً مخيفاً ، لأنه لم ير من قبل شخصاً ضخماً مثله ، رجل عريض وطويل كان يقطع الأشجار التى تعترض المكان بيده . ثم أنزل صندوقاً كبيراً من فوق ظهر حصانه وأخذ ما يشبه المفتاح من الذهب وفتح الصندوق فخرجت فتاة جميلة حمراء مثل الجن ، وقد تزينت بأنواع شتى من الحلى الذهبية واللؤلؤ والمرجان ترتدى حذاء منسوجا من الحرير الأحمر . وقد بلغ شعر رأسها الأرض فكانت ترفعه بيدها .

أمسك ورجاجى يد هذه المرأة ودخلا الخيمة ، ففتحت حقيبة وأخرجت مائدة للطهى ووضعت عليها طعاما وشرابا ، وجلسا يأكلان ويشربان حتى شبعا . ثم صعد ورجاجى إلى السرير ونام فأخذت تهوى له حتى غلبه النوم . فلما رأته قد استغرق فى نومه خرجت تتجول فى الحديقة ، وأخذت تسير وتنشد بعض الأغانى الجميلة

بصوت منخفض ، تأخذ بلب من يستمع إليـــــها . وبعـــد قليـــل رفعت رأسها إلى أعلى ، فرأت إيليا فـــوق الشـــجرة مختبــأ . فنظرت إليه جيدا ثم قالت " ايها الشاب الوســـيم انـــزل "

نزل إيليا وهو يرتعش فأمســـكت يـــده ودخلـــت بـــه إلـــى الحديقة . وبينما كـــان ورجـــاجى يغـــط فـــى نـــوم عميـــق ، فتحت جيبه ووضعت فيه إيليا . فشعر وكأنـــه قـــد نـــزل فـــى بئر عميـــق .

وبعد وقت قليل استيقظ ورجـــاجى مـــن نومـــه ، واســـتعد للقيام وأخذ الفتاة ووضعها فـــى الصنـــدوق ، وأغلقـــه وعلقـــه فى سرج حصانه . واتخـــذ طريقـــه عـــائدا إلـــى المـــنزل . وقصد بعض الجبال العالية تسمى " الجبـــال العاليـــة " وهـــى مكان لم يصل إليـــــه أى مخلـــوق مـــن قبـــل ، ولا يســـتطيع الوصول إليه إلا جيجى والد ورجـــاجى ، ويحيـــط بـــالقصر مبان كثيرة جميلة ومتنوعة . والرخاء ونعم الحيـــاة فـــى كـــل مكان .

كان جيجى يفوق ورجاجى حجماً وطـــولاً وجمـــالاً ولكنـــه شاخ تماماً وفقد بصره . لاحـــظ ورجـــاجى أثنـــاء الســـير أن الحصان يسير فى ببطىء على غير عادتـــــه . يســـير وكأنـــه سيقع ، غضب ورجاجى وضربـــه فنبهـــه الحصـــان قـــائلاً " صبرا يا سيدى ، قوتـــى لا تتحملـــك إلا أنـــت وربـــة البيـــت

فقط ، ولكن ليس لدى القدرة على أن أحمل مخلوقات ثلاث . "

بحث ورجاجى فى كل مكان فلم ير أحدا ، وأخيرا شعر بشىء ثقيل قليلا فى جيبه ، فمد يده وأخرج إيليا ، ونظر إليه جيدا وقال " أنت يا بنى آدم ، ماذا فعلت حتى جئت إلى هنا ودخلت جيبى ؟ " كان إيليا يتوكل على الله دائماً، ولا يخشى أحدا ، فنظر إلى ورجاجى دون خوف أو دهشة وقال " يا سيدى ، امرأتك هى التى وضعتنى فى جيبك يا سيدى " وفى الحال أغضب وأخذ هذا الصندوق الذى ترقد فيه الفتاة وألقى به فوق جبل فى وسط النهر، وقال " امكثى هنا ، أيتها المرأة القذرة ، ستبقين هنا حتى يوم القيامة " .

أخذ ورجاجى إيليا وأجلسه أمامه على الحصان وواصل السير وبعد قليل هدأت نفسه ، فسأل إيليا عن موطنه ومدينته وأخباره كلها فقص له قصته منذ البداية حتى النهاية ، وفى الحال ألفت المحبة بين قلبيهما ، فواصلا الرحلة يتحدثان عن أخبارهما كأنهما صديقين .

وقبل أن يصلا إلى المنزل قال ورجاجى لإيليا " إذا وصلنا إلى المنزل سأحملك لتحية والدى ، فإذا مد يده ليحييك لا تمد إليه يدك ، يوجد حداد عند باب المنزل ،

ستذهب إليه وتأخذ منه قضيبيـــا مـــن الحديـــد وتضعـــه فـــى النار، فإذا مد إليك يده مددت إليـــه هـــذا القضيـــب الحديـــدى فيمسكه بدلا من يدك . فقال إيليا " وهـــو كذلـــك " .

واصلا السير حتى بلغا بـــاب القصـــر ، فتملكـــت الدهشـــة إيليا لضخامة البناء فقد كان يشـــبه الجبـــل الأبيـــض ، زيـــن بمختلف الزينات ، وحينما ســـرت بداخلـــه رأيـــت الكراســـى والفراش . حتى نوافذه من المرايـــا مغطـــاة بـــألوان مختلفـــة من الستائر ، والمصابيح فى كـــل مكـــان . وخلاصـــة القـــول أنه مملوء بجميع متع الحيـــاة ونعيمـــها .

بعد قليل خرج جيجى جيجى ووقف علـــى بـــاب الدهلـــيز ليرحب بورجاجى . يسأله عن المـــدن التـــى زارهـــا ، فقـــال له ورجاجى أنه زار بلاد الشرق ، حيث عـــاد بصديـــق مـــن هناك ، فأمر أن يأتى إيليا لتحيتـــه .

وكان إيليا قـــد وضـــع القضيـــب الحديـــدى الضخـــم فـــى النار، وأخذ ينفخ فى النـــار حتـــى التـــهب الحديـــد ، وأخـــذ ينتظر حتى يســـتدعيه . ذهـــب ورجـــاجى مـــع إيليـــا ، مـــد جيجى يده لإيليا ليحييه فمد إليه القضيـــب الحديـــدى فأمســـك الحديد الملتهب كأنه يمسك يد من يحييه ، وبعـــد قليـــل تـــرك القضيب وقد صار بـــاردا قـــائلا " إنـــك يـــا ورجـــاجى قـــد

وجدت الصديـــق الـــذى يشـــبهك وجديـــر بـــأن يكـــون لـــك صديـق".

وفى اليـــوم التـــالى خـــرج إلـــى بـــاب القصـــر ، ووقفـــا يتأملان من بعيد اتساع الريف وضخامـــة الأشـــجار ، ونظـــر إيليا فرأى على بعد حصانـــه قواليلـــى يرعـــى بـــالقرب مـــن القصر . فملأ السرور قلبه وأســـرع إليـــه وأمســـكه فتعجـــب ورجاجى من هذا الحصان ، فـــأخذاه وربطـــاه فـــى المربـــط ووضعا له الطعام وقدما إليه المـــاء .

وفى المساء ركبا حصانيهما وخرجـــا يتنزهـــان ، وتتبعـــا حافة الجبل وهما فى فرح وسرور ، وواصـــلا الســـير حتـــى وصلا إلى مكان جبلى ، وبالقرب من الجبـــل رأيـــا صندوقـــا مفتوحا وكتب عليه " هـــذا الصنـــدوق مـــن قبـــل لورجـــاجى ليكون قبرا له ، فلما رآه إيليـــا قـــال " دعنـــى أجربـــه لأرى لعله صنع لى " فنزل ودخل الصندوق ، فوجـــده مناســـبا لـــه تماماً ، كأنه قد صنع له بمقاساته ، لقـــد مـــلأه حتـــى تعـــذر عليه التحرك داخله ، فمد يده مـــن داخلـــه وأغلـــق غطـــاءه ، فانقفل الصندوق تماماً . ولم توجد ثغرة تدخـــل منـــها شـــعرة الـــرأس .

أغلـــق ورجـــاجى الصنـــدوق دون أن يـــودع إيليـــا ، لـــم يحمله وصيته يبلغها لأبيه ، لذلك طلب مـــن إيليـــا أن يفتحـــه ليبلغه الوصية ويودعه ، فمد إيليـــا يـــده ، وحـــاول أن يفتـــح

الصندوق ، ولكنه عجز عن تحريك الغطـــاء . فتـــألم وقـــال " لا أستطيع فتح الصنـــدوق " قـــال ورجـــاجى " خـــذ ســيفى الذى أحارب به ، وأقطع حافة الصنـــدوق " فمـد إيليـا يـده وأخذ السيف ، وقـــال ورجـــاجى " اقـــترب منــى " فـــاقترب إيليا، فنفخ ورجاجى فى جسد إيليا بكل قوتـــه ، وفـى الحـال أخذ إيليا السيف بسرعة كأنه يحمل عودا مـن الغـاب وقطـع الصنـــدوق بقـــوة ، فــدوى الصــوت فــى أنحــاء الغابـــة ، واشتعلت النار فى الغابة ، واضطرب المكـــان كـأن الســماء قد انطبقت على الأرض ، وانتشرت ألســنة النــار فــى كـل مكان ، وبدلا من أن ينفتح غطاء الصنـــدوق ازداد إحكامـــا.

وبعد أن هدأت المنطقة ، قال ورجاجى " اقـــترب يـــا إيليـــا لأزيدك قوة ، سأمدك بكل ما لـــدى مـــن قـــوة " قـــال إيليـــا " سيدى إذا زادت القوة التى لـــدى عـــن ذلـــك ، لـــن تســـتطيع الأرض بمن عليها أن يسلبنيها ، أشـــكرك كثـــيراً ، أريـــد أن تقول كل ما تريد ، إذا استطعت سأفعل مـــا تريـــد . "

قال ورجاجى " لا شئ أكثر من ذلك تســـتطيع فعلـــه لـــى، لقد انتهت حياتى الآن . أترى هـــذا الصنـــدوق أنـــه قـــبرى ، أشكرك بارك الله فيـــك ، وقـــاك الله مـــن شـــر النـــاس ، إذا وجدت فرصة للعودة ، بلغ تحيـــاتى إلـــى والـــدى ، وأخـــبره بما أصابنى من أقدار فى هذا المكـــان ، أســـأله الله أن نلتقـــى فى دار الســـلام .

هذا الكلام الذى قالـــه ورجــاجى ، أثـــار غضـــب إيليــا ، وأحزنه ، وأفقده لذة الحياة ، وتحير فيما يفعلــــه ، ثـــم انفجــر فى البكاء ، وطلـــب المغفــرة مــن ورجــاجي ودعــا لــه ، ومكث مدة على حافة الصنـــدوق يبكـــى . وبعــد أن هــدأت نفسه وتذكر أن كـــل شـــئ بقضـــاء مـــن الله ، ولذلــك أخــذ يحدث نفسه قـــائلا " الآن إذا رجعـــت مـــاذا أقـــول لجيجـــى جيجي ؟ لا ينبغي أن أعود إلـــى هــذا المكـــان " ثـــم ركــب حصانه ، وواصل الســـير ، وهــو لا يعــرف لـــه وجهــة ، وتتبع انحدار الجبل ، وأخذ يســير حتـــى بعــد عــن المكـــان فتلفت حوله فوجد دمـــوع ورجـــاجى تتصبــب مـــن ثقـــوب الصندوق ، فأشفق عليه ، وانفجر فـى البكـــاء مـــرة أخـــرى ، ثم نزل من فوق الحصان وجلس يفكر ، وقـــد بـــدى الحـــزن على وجهه ، وبعد أن مكث فـــترة علـــى هــذا الحـــال ، قـــام وواصل رحلتـــه .

## إيليا يهيم على وجهه :

واصل إيليا السير أياما وأياما حتى وصل إلى مدينة صغيرة ، فنزل ليستريح يومين . ولم يمض وقت طويل حتى ألفه سكان المدينة ، وفرحوا بقدومه . وصار كأخ لهم ، كلما ذهب إلى مكان عاد إليهم . وبعد أن أستراح قال لهم ذات يوم أنه سيذهب إلى مدينة قب . فدهش الناس لذلك .

على طريق مدينة قب يعيش عفريت ضخم يقطع الطريق على القوافل ، لو تعرض لجمع كبير من المحاربين يسلب متاعهم، ومهما كانت شجاعة المحاربين يستطيع هذا العفريت التغلب عليهم ، وقد ذاعت أخباره فى كل مكان فى المدينة ، حتى قطع الطريق تماما ، وصار لا يسلكه أحد . وكان هذا العفريت يسمى جوجى، وله تسعة أبناء ، ومن بينهم فتاة تسمى جليلى ، لها عين واحدة ، هى التى ورثت كل أفعال جوجى الشريرة وطباعه .

ولمعرفة الناس أخبار هذا العفريت حاول الناس أن يمنعوا إيليا من الذهاب إلى مدينة قب . ولكنه أصر على

عزمه . فلما أعيتهم المحاولة تركوه . وأشاروا عليه أن يغير الطريق ، فقال أنه لابد أن يسلك هذا الطريق ، فودعوه ، وذهب إلى مقصده .

ولم يكن إيليا يفخر بشيء كما يفخر بسيفه ، والقوة التى وضعها الله فيه ، وكان لسرجه أثنا عشر حزاما ، وكان سيفه إذا ضرب به الصخرة انقسمت نصفين . وإذا اجتمع عليه مائة من الشجعان العتاه استطاع القضاء عليهم وتفريقهم .

وقبل رحيلهم بيوم واحد ذهب إلى مسجد المدينة الكبير، وأكثر من الدعاء وسأل الله أن يوفقه ، وعقد العزم على الذهاب إلى مدينة قب ، وسلوك الطريق الذى يقال أن أحدا لا يسلكه إلا وقضى عليه . وأخذ على نفسه عهدا بالا يستعمل سيفه حتى يصل إلى مدينة قب ، مهما كانت شدة الأخطار التى سيواجهها فى الطريق . عاد منزله واستعد ، وفى الصباح ركب حصانه ، واتخذ طريقه وواصل السير أياما وأياما دون أن يرى فى طريقه منزلا ولا مدينة . فلم تقع عينه إلا على الغابات .

واستمر على هذا الحال حتى وصل إلى جبل طالما سمع عن عظمته كثيرا ، فلما رآه تحقق ما سمع ، أخذ ينظر إلى قمته وطوله فلم يجد لها نهاية ، أخذ يطوف

حوله لعله يجد مكانا يجتازه بسهولة، وأمضى خمسة أيام وهو يطوف حوله ، وأخيرا اكتشف مكانا صغيرا ، استطاع إصلاحه بسيفه وصعد منه وواصل الرحلة .

وبعد حوالى أسبوعين وجد النهر الكبير الذى سمع عنه كثيرا ، فنزل وتفقد المكان جيدا ، وربط حصانه ، ووضع متاعه فى الكوخ ، ونام . ولما طلع النهار قصد شجرة كبيرة وقطعها ، وأخذ يصنع قاربا ، قضى شهرا فى الغابة لا عمل له إلا صناعة القارب ، ولما انتهى أنزل فيه متاعه وحصانه ، وعبر النهر قاصدا مدينة قب .

وبعد أن عبر النهر قضى حوالى عشرين يوما ، اقترب من مدينة تسمى كانيغو . وقبل أن يصل حدود المدينة رأى على البعد فرقة من المحاربين يحيطون بالمدينة ، وتعذر الدخول إليها والخروج منها . وأخذوا ينتظرون سكان المدينة حتى يخرجوا إليهم فيقضو عليهم بعد أن يفتحوا باب المدينة . وقد عزم المحاربون على أن يكسروا الباب ويدخلوا المدينة بالقوة ويستولون عليها بالحرب إذا اعتصم أهلها داخلها . وكان عدد هؤلاء المحاربين كثيرا جدا ، ومهما كانت شجاعة الإنسان ، إذا رأى كثرتهم ومدى استعداداهم ، يتراجع عن قتالهم .

اجتمع كبار رجال المدينة في مسجد المدينة الكبير ، وأخذوا يدعون الله لعله يخفف عنهم هذه المصيبة بعد أن أغلقوا أبواب المدينة كلها .

الله سميع الدعاء ، وإذ بإيليا يهاجم معسكر هؤلاء المحاربين فجأة من الخلف ، وهو على ظهر حصانه قوليلى ، وهو لا يعرف ماذا يجرى خلف أسوار المدينة . هاجمهم وهم باختراق صفوفهم ، فالتفوا حولهم وأعلنوا عليه الحرب ، وأخذوا يضربونه بالسيوف والسهام والعصا الغليظة والرماح . تذكر إيليا الوعد الذى أخذه على نفسه بألا يستعمل السلاح حتى يصل إلى مدينة قب . فمد يده وجذب زمام حصانه واندفع به بين صفوفهم قائلا " أيها الوثنيون ، سيغلبكم الشجعان " وأخذوا يضربونه وهو يضربهم بيده ، واشتد القتال بينهم وبينه وحده .

وبعد قليل فرقهم جميعا ، وقتل بعضهم وجرح البعض الآخر ، فلما رأوا أنهم مهزمون لا محالة ، نجا الباقون وولوا الأدبار ، ولم يتركوا إلا الموتى والذين لا يستطيعون الفرار ، وانهزم معسكر المعتدين .

كان هذا هو اليوم الأول الذى بدأ فيه إيليا اختبار قوته وشجاعته . ومضى إلى بوابة المدينة فوجد الأبوباب كلها قد أغلقت ، فتراجع إلى الوراء ، ودفع حصانه قوليلى

فقفز إلى السور وإذ به داخل المدينة . ذهب إلى قصر المدينة فلم يجد أحدا ، فقد ذهب الجميع إلى المسجد حيث يرددون الدعوات . لم ينتظر وتوجه إلى المسجد ، وسألهم عن سبب تجمعهم فى هذا المكان فقص الأمام عليه قصة هؤلاء المحاربين ، فقال إيليا " لقد استجاب الله اليوم دعوتكم ، ولم يبق أحد من المحاربين ، لقد طردتهم جميعا فاطمئنوا " نظر الناس إلى إيليا ، فى دهشة مما يقول ، ولكنهم لم يصدقوا .

لما أدرك إيليا عدم تصديقهم لكلامه ، طلب منهم أن يبعثوا من يطل خارج السور ليرى بنفسه ، قال بعض الكبار منهم ، ابعثوا من يتحقق من الأمر . وفى الحال بعثوا بعض الشجعان ، فصعدوا فوق السور ونظروا على البعد ، فلم يجدوا أحدا ، إلا الموتى والجرحى مبعثرين فى كل مكان . فأخذوا يصيحون صيحة النصر الحربى . وحملوا الأخبار إلى الأمير . وعم السرور جميع أنحاء المدينة وفى الحال انطلقت الطبول والمزامير . واجتمع الأمير مع جميع كبار المدينة وأخذوا ينظرون إلى إيليا فى دهشة بالغة ويعربون له عن شكرهم . كما قص عليهم كيف بدأت هذه المعركة .

وعندما أقبل الليل ، اجتمع كبار رجال المدينة ، وتبادلوا الآراء ، وطلبوا من إيليا أن ينتظر ليعينوه أميرا

بعد وفاة أمير المدينة ويولونه السلطة ، وجمعوا له ألف مد من الذهب والكثير من الفضة ، وغير ذلك من المتاع القيم ، وقدموه إليه ، إلا أنه أخبرهم أنه ليس بحاجة إلى شيء منهم . وكل ما يريده منهم أن يدلوه على الطريق إلى مدينة قب . عندما سمع هؤلاء الناس اسم المكان الذى يقصده ، قاطع بعضهم كلامه وأخذ بعضهم يتنهد والبعض الآخر أخذ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله . واجتمع أمير المدينة وإمامها وكبار رجالها ، وحاولوا إقناع إيليا بعدم الذهاب إلى مدينة قب ، لأنهم متأكدين من هلاكه ، وقصوا عليه قصة الغابة التى تقع فى الطريق إليها والتى لم يسلكها أى مخلوق من خمسين عاما ، والتى ليس فيها إلا الفيلة والحيوانات المفترسة وهذا العفريت الذى يسمى جوجى قاطع الطريق . وأن أكثر من مائة رجل ذهبوا لقتله فتعذر عليهم وقتلهم جميعا .

## إيليا يلتقى بجوجى :

كل هذه القصص لم تثنى إيليا ، إلا أنــها زادتــه إصــرارا على الرحيل قال " دلونى علــى الطريــق فقــط . إذا هلكــت سيجمعنا الله على الخير يــوم القيامــة . وإذا نجــوت أرجــو من الله أن أعود إلى مدينتكم مــرة أخــرى لمســاعدتكم أكــثر مما فعلــت الآن " .

صبروا على ما ســيلاقيه وتركــوا إيليــا ، ودلــوه علــى طريق مدينـــة قــب ، واصطحبــوه إلــى خــارج المدينــة ، وودعوه ، وواصل السير نحو الغابة الموحشـــة أيامــا وأيامــا لا شيء فيــها إلا التــلال والجبــال والشــلالات والأنــهار . أحيانا تهطل عليه الأمطـــار بغــزارة ، وأحيانــا يســير فــى أماكن لم يسلكها مخلوق منـــذ أن خلــق الله الأرض . وهكــذا مرت الأيام حتـــى دخــل إيليــا الغابــة التــى يعيــش فيــها جوجى. وواصل السير حتـــى وصـــل إلـــى المكـــان الـــذى يعيش فيه العفريت تمامـــا .

رأى جوجى إيليا من بعيد قادما ، وهو أمــر لــم يحــدث منذ سنوات عديدة فاسرع وســـحب عصـــاه الغليظـــة ، وبــدأ يستعد ويلعق شــفتيه . وذهــب للقـــاء إيليـــا وهـــو يصيـــح ،

فيخرج الدخان من فمه ، وقد أصـــاب قواليلـــى الرعـــب مـــن صراخـــه ، فســـار الـــهوينا وكـــاد يركـــع علـــى الأرض ، فغضب إيليا وضربه ، وأســـتأنف الســـير ، قصـــد جوججـــى إيليا مباشرة لقتله ، ولكن إيليـــا تذكـــر وعـــده بـــألا يســـتعمل السلاح . فانتزع غصن شجرة وأصلحه وثبتـــه فـــى القـــوس بدلا من السهم ، وصوبـــه علـــى قلـــب جوججـــى ، وأطلقـــه عليه وبدلا من أن يصيب صدره أصاب أذنـــه اليســـرى ، ثـــم صوب على أذنه اليمنى ، فارتفع جوججـــى إلـــى أعلـــى ثـــم سقط على الأرض ، ثم قام وصرخ صرخة ، ثـــم وقـــع علـــى الأرض ، كأنه فيل ضخـــم .

وفى الحال نزل إيليـــا وربـــط جوججـــى بزمـــام حصانـــه السميك ثم ساقه أمامه وقصد المكـــان الـــذى يقيـــم فيـــه هـــو وأولاده .

واصلا السير حتى عبر شـــلالا ووصـــلا إلـــى نـــهر فـــى وسط غابة تحيط بها الجبال . حيث توجـــد حدائـــق كثـــيرة ، ومهد وســـطها بحجـــارة كالأســـمنت ، وبنيـــت أعمـــدة مـــن الحديد كالدعامات وبنيت عليها حجـــرة كبـــيرة .

عندما رأى أبناء جوججى إيليا قادما مـــن بعيـــد ، غمرهـــم السرور وأخذوا يقفزون ويقولـــون " ألـــو ، هـــا بابـــا قـــادم ، جاء لنا باللحم ، اليوم سيكون عندنا وليمة " هـــذا يقـــول أنـــه

سيأكل الرأس ، وهذا يقول أنه سيأكل العين ، حينئذ قالت لهم مليلى التى تعد الطعام " أنتم أغبياء ، انظروا جيدا ، أبونا هو الذى وقع فى الشرك اليوم ، ليس هو الصياد . " ثم حدقوا بأعينهم جيدا ينتظرون وصول إيليا. قال جوجى لأولاده من بعيد بألا يلمسوا إيليا ومع ذلك اقتلعت مليلة إحدى الدعامات الحديدية وضربت إيليا على رأسه . فلم يلتفت إيليا . فرفعتها مرة أخرى وستضربه ، فغضب إيليا . ومد يده وجذبها ، ودفعها إلى أعلى فوقعت على الأرض فتكسرت .

قال جوجى " أى لقد قلت لكم ، ها هى العينة " وقال لأولاده أن يحضروا حقيبة كبيرة . بها مائة قطعة من الذهب ، وأخرى بها مائتان من الفضة وخمسين قطعة من اللؤلؤ ويقدمونها لإيليا ليطلق سراحه .

قال إيليا " دع جواهرك ، لا أريد منها شيئا ، مرادى أن أذهب بك إلى مدينة قب ، وترك أبناء جوجى يبكون.

ومرت الأيام وهما على هذا الحال يسيران فى الطريق حتى وصلا ذات يوم إلى مدينة قب . فلم يقصد إيليا أى مكان غير مسجد المدينة ، فربط حصانه وربط جوجى، وقال له ألا يفكر فى الهروب ، فقال من يستطيع أن يفكر

فى الفرار . وفى الحال ذهب إيليا إلى القصر ، وبعث من يخبر ولديما أمير المدينة بأنه قدم من مدينة كاينغو متخذا الطريق الذى لا يسلكه أحد ، فتملكت الدهشة ولديما ، فلم يصدق هذه الرسالة ، وطلب إحضار إيليا ، وسأله عن مدينته وأخباره ، فقص عليه كل ما حدث من البداية حتى النهاية ، ومع ذلك فلم يصدق ولديما تماما أنه سلك الطريق المهجور وأخذ بعض الحاضرين يقولون لإيليا " أنت تكذب ، الطريق الذى عجز كبار الفرسان والمشاه عن سلوكه ، تقول أنك سرت فيه وحدك " وهنا غضب إيليا وقال " قوموا واذهبوا إلى المسجد الكبير وسأبرهن لكم على قولى " .

خرج الأمير والأميرة وأهل المدينة إلى المسجد ، واقترب كل منهم من جوججى وهو مربوط ، ففعل ما يفعله الفأر عندما يرى القط ، واضطرب المكان كله ، وهرب الناس إلى منازلهم ، فلما رأى إيليا ذلك زجر الناس فأصابهم من الرعب أكثر مما أصابهم لرؤية جوججى ، ولم يجدوا مفرا وأخذ الجميع يتراجع خوفا ، بعضهم سقط على الأرض ، وبعضهم لجأ إلى الوديان حيث اعتصموا ، ولديما نفسه أصابه الرعب فقال لإيليا " صدقنا أنك سلكت هذا الطريق ، لأننا رأينا الدليل على ذلك . والآن ينبغى أن تذهب معنا إلى منزلى لتستريح . وتأكل بعض الطعام ، وفى المساء يجتمع الناس ، ونأتى

مرة أخرى لنشاهد جوججى ، نريد أن نجعلـــه يصـــرخ كمـــا كان يفعل فى جموع الناس إذا لقيهم فـــى الطريــق " .

قال إيليا " وهو كذلك والآن هو يشـــعر بـــالجوع ، يجـب إحضار الطعـــام لـــه والخمـــر ، ليمـــلأ بطنـــه ويســتطيع أن يصيح صيحته " فأمر ولديما أن يحضــر لـــه حوالـــى مـــائتي برميلا من الخمر وكميات كبيرة مـــن الـــثريد ، حتـــى أكـل وشبع .

وقبل المساء كان الخبر فى جميع أنحـــاء المدينـــة ، وأخــذ كل إنسان يمنى نفسه برؤيتـــه . وتزيـــن الأمـــير والأمـــيرة ، وخرجا فوجدا القصر قد امتـــلأ بجمـــع خفـــير مـــن النـــاس ، فسار أمام الناس قاصدا جوججـــى .

قال إيليا " يا جوججـــى الأمـــير ولديمـــا يريـــد أن يســمع الصرخة التى تطلقها للناس عندما تلقاهم فـــى الطريــق "

فتح جوججى عينيه فرأى كثـــيرا مـــن النـــاس . فابتســـم ، ثم وضع فمه فى الأرض وضربها برجليه عـــدة مـــرات ثـــم زأر ، زئيرا لم يفعله مـــن قبـــل ، فـــأحس النـــاس بصـــوت يفـــوق صـــوت الرعـــد عشـــر مـــرات . وأن الأرض تكـــاد تنشق، وقد عجز الناس عن الـــهروب مـــن شـــدة الخـــوف ، يعتقدون أنهم سيلقونه حيث ذهبوا . بعضـــهم أغمـــى عليـــه ، والبعض الآخر وقع علـــى الأرض ينتظـــرون المـــوت . أمـــا

القريبون من الأمير والأميرة فقد داسوهم بالأقدام دون أن يعرفوهما من شدة الهلع . وهنا زجر إيليا جوججى ليسكت ونظرا لقوة إيليا فقد كانت زجرته أشد رعبا من زئير جوججى . أما من استطاع التحرك من الناس فقد تفرقوا تماما يظنون أنه سيقضى عليهم كما شعر جوججى بالرعب حتى عجز عن الفرار فركع أمام إيليا يعبر عن أسفه ويطلب المغفرة بوضع التراب على رأسه . ويقول " لقد قدمت إليك كل ما لدى من ثروة ، حتى لا تهلكنى " قال إيليا لجوججى " لا أريد أى شىء منك ، ولكن سأقتلك ، هذا جزاء ما فعلت فى الناس سنوات عديدة " .

لقد وفى إيليا بالوعد الذى أخذه على نفسه ، فمنذ أن حضر إلى مدينة قب لم يسفك قطرة من الدماء ، فذهب بجوججى خارج المدينة ، وانتزع سهما واحدا ووضعه فى القوس وصوبه نحو حنجرته ، فارتفع جوججى إلى أعلى ، ثم سقط ميتا . ثم عاد إيليا إلى القصر وأخبر الأمير .

فرح الناس جميعا . وليعبر الأمير عن سروره لإيليا ، جمع كل كبار المدينة وأثريائها ، وأقام حفلا عظيما . وبعد أن استراح إيليا عدة أيام ، ودع الأمير وأخبره أنه سيرحل .

## إيليا يهيم على وجهه مرة أخرى :

أثناء التجول الذى كان يقوم بـــه إيليـــا ، ذهـــب ذات يـــوم إلى مدينة كبيرة ، واشتهرت بحب القتـــال ، وكـــانت تحكمـــها أميرة صغيرة تبلغ من العمـــر عشـــرين عامـــا ، غايـــة فـــى الجمال والشجاعة ، لم يمض وقـــت طويـــل حتـــى تزوجـــها إيليا ، وعاشا معـــا حوالـــى ثـــلاث أشـــهر يســـتمتعان بلـــذة الحياة، ونشـــوتها . وذات يـــوم كانـــا يجلســـان تذكـــر إيليـــا الحروب فجأة ، فتغير وجهه فـــى الحـــال . واســـتغرق فـــى التفكير. قال للأميرة أريد أن أهيـــم علـــى وجـــهى فـــى هـــذه الدنيا ، لأرى عجائبـــها ، لقـــد مضـــت فـــترة طويلـــة علـــى إقامتى هنا " فغضبـــت الأمـــيرة ، وأخـــذت تقنعـــه بالبقـــاء ، ولكنه رفض ، حتى عرضت عليه ملكـــها . ولكنـــه رفـــض . فانفجرت فى البكاء وعانقته ، وأخذت تتوســـل إليـــه .

قال إيليا " عليك أن تكفى عـــن البكـــاء ، لأننـــى لابـــد أن أرحل ، وأسالى الله أن يكتب لنـــا اللقـــاء مـــرة أخـــرى ، وإذا لم نلتقى فى الحيـــاة الدنيـــا ، أســـأل الله ان يجمعنـــا فـــى دار الســـلام "

ولما أقبل الصباح وضع إيليا السرج على ظهر قوليلى، وركبه وخرج وليس معه إلا السهم والسيف والعصا الغليظة المعلقة . وأستأنف سيرته فى الحياة الدنيا، خائضا الكثير من الحروب ، حينما يسمع عن فوضى أو اضطراب يسارع ويذهب إلى ميدان القتال ويحارب المعتدى ، حتى يستتب الأمن فيستأنف مسيرته .

بعد أن ترك إيليا الأميرة بدأت تشعر بالحمل ، وبعد عدة أشهر وضعت مولودا وأطلقت عليه فللو . ومرت الأيام وكبر الأبن . وكان يشبه أباه تماما فى الشكل والخلق ، لم يترك من أبيه شيئا ، حتى بلغ مبلغ الرجال وصار لا مثيل له فى الشجاعة فى كل أنحاء الريف ..

وذات يوم سأل والدته عن أبيه من هو ، وأين يعيش . فقالت أنه مات قبل أن يولد .

ومنذ هذا اليوم قرر فللو أن يهيم على وجهه فى الدنيا، ويحارب المعتدين حتى يموت كأبيه . فحزنت والدته لقراره ، وحاولت إقناعه بالعدول عنه ، ولكنه صمم على أن يرث أباه .

فلما أحست أنها لا تستطيع منعه قالت له " إذا ذهبت إلى ميادين القتال والتقيت برجل يسمى إيليا الإبن القوى فسأله المغفرة وامض لشأنك . فلا تنازله، فلن ينتصر

عليك إلا هو " فلما سمع ذلك سكت طويلا ثم قال وهو كذلك ، وودعها وذهب إلى شأنه .

كان فللو يعرف أن والدته أميرة ، فلابد أن أباه أميرا . لذلك خشيت أمه أن تخبره أن أباه ليس أميرا ، وأنه مجرد محارب شجاع من أفراد الشعب ، فيغضب ويقتل نفسه . هام على وجهه ، وأخذ يحارب حيثما ذهب ، وكان ينتصر فى كل معركة ، حتى ذاع صيته جدا فى كل أنحاء مدينة قب ، وكانيغو فأخذوا يتفاخرون به ويرهبونه رهبة شديدة . أخذ يحارب المفسدين فى كل مكان ، دون أن يستطيع أحد التغلب عليه .

بينما كان إيليا يخوض هذه المعارك المتواصلة ، ويدحر الظالمين الذين يؤذون الناس بلا جريرة . لأنه لا يظلم ولا يحب الظالمين لذلك لم يكن له أعداء إلا الظالمين . وذات يوم كان يجلس مساء يتنسم الهواء خطرت مدينة قب فى ذاكرته ، وتذكر ولديما أمير قب ، وما كان يعانيه عدوان جوججى قاطع الطريق . فقال لنفسه لقد طال فراقى لهذه البلاد ، يجب أن أذهب لارى أحوالهم وما هم عليه " ولما طلع النهار لبس لباس الحرب وأخذ سيفه ورمحه وعصاه الغليظة ووضع اللجام فى فم قوليلى وتوجه إلى مدينة قب .

## عشاء الأمير ولديما :

فى اليوم الذى وصل فيه إيليا إلى المدينة ، وجد الأمير قد أعد وليمة عشاء وجمع أمراء المدينة ، وأولاد الأمير والعلماء ، والأثرياء والشجعان الذين قاموا ببطولات غير عادية . أعد لكل هؤلاء المكان المناسب لرتبته ، وقد ارتدى كل منهم أفخر الثياب والحلى ، وجلس الأمير والأميرة على كرسى فى ناحية واحدة . وأخذ الخدم يوزعون الطعام ألوانا .

عندما وصل إيليا لم ينتظر السماح له بالدخول ، فدخل الحجرة التى أعد بها الطعام ، ولم يتوقف فى أى مكان حتى وصل مكان الامير ، وحنى رأسه ، ثم جلس بالقرب منه ، لم يعرفه ولديما ، فنظر إليه غاضبا وقال " لقد سررت بقدومك هذا الحفل الذى أعددته لكبار القوم ، والشجعان والأثرياء وسآمر بمن يعد لك الطعام فى الطرف الآخر . ستأكل وتشرب مجانا ، بالرغم من أنك لست ممن أعددت لهم هذا الحفل . ولكن من أين جئت ؟ ومن أى مدينة أنت ؟ ومن أية ناحية ، ومن أبناء من ؟

عندما سمع إيليا ذلك غضب ، وقد تأكد أنه لا توجد شجاعة مثله فى هذا الجمع كله . ولا ينبغى أن ينساه الأمير . حتى يأمر أن يعد لمثله مكانا فى طرف الحفل ويأكل مجانا . ثم قال " يا ولديما أنا من يأكل طعامك مجانا ، أنا من يقال له هكذا وسط النساء " فلما سمع الشجعان أنه يشبههم بالنساء ، نظروا إلى إيليا جميعا بغضب ، وتقدم أحدهم وقال " أنت تقول للأمير هذا الكلام؟ أنت كذاب ، أين ترى النساء هنا ، إلا إذا كنت مجنونا " واشتد غضب الأمير واستدعى ستة رجال شجعان وطلب منهم أن يخرجوا إيليا . فلما اقتربوا منه دفعهم فسقطوا صرعا جميعا . فأمر بعشرة رجال شجعان آخرين بالقبض عليه ، وفى الحال قضى عليهم ولحقوا بإخوانهم .

واضطرب المكان ، وارتفع الغبار إلى السماء وأخذ كل من الحاضرين يغمض عينيه ، مات بعضهم تحت الأقدام والبعض الآخر ولى الأدبار . وخرج إيليا لشأنه ، وركب حصانه وذهب إلى سوق المدينة ، واشترى بعض الطعام ، وجمع أهل المدينة ، وأمرهم بملأ بطونهم . قال بعضهم أنهم يخشون أن يسمع الأمير خبرهم فيبعث من يقبض عليهم ، وقال لهم إيليا " كلوا ولا تخشوا شيئا ، غدا فى مثل هذا الوقت سأكون أمير مدينته قب ، وسأوليكم السلطة " فأكلوا الطعام خوفا منه ، وبعد فترة ، وجدوا

اهتماما ، وتبادلوا الطعام . أما إيليا فلـــم يـــأكل مـــن الطعـــام ولكن ذهب إلى أحد المنازل التـــــى تصنـــع الطعـــام وأنـــواع الشراب وتبيعه غاليا وتناول طعامــــــه.

هذا الأمر ضايق ولديما . فجثـــث النـــاس مـــازالت ملقـــاة فى منزله ولم يأكل شيئا ، ويكـــــاد الجـــوع يلتـــهم أحشـــاءه ، بعد أن قتل كل خدمه . تمايل ولديمـــــا وســـأل بعـــض النـــاس هل تعرفون الرجل الذى أحدث كل هذه الخســــائر؟قـــال أحـــد الرجال " نصرك الله يا سيدي ، إنه ايليـــا ، الـــذي جـــاء هنـــا قبل ذلك وقتل جوججي هذا العفريت العـــــاتي " فقـــال الامـــير " ويحكم أهكذا الأمر ، لقد شـــعرت أن هـــذا الأمـــر لا يفعلـــه إلا هو " ثم سأل هل يســـــتطيع أحـــد منكـــم أن يذهـــب إليـــه ليســـترضيه ويـــأتي بـــه فســـكت كـــل الجالســـــين فـــى القصريخشون على أنفسهم وأخيرا قال أحدهــــم أنـــه ســـيذهب إليه.

فلما اقترب من إيليا ، تسلل من خلفة حتــــى اقـــترب منـــه، فقال " تعالى الأمير يطلبك " ثم أسرع جاريـــا صمـــت إيليـــا ، وانتظر أن يرى رسول الأمير ليأتى ويبلغـــه الرســـالة ولكنـــه لم ير أحدا . فالتفت فلم ير أحدا ، فقال فلم يـــر أحـــدا ، فقـــال " هذا ما توقعته ، أى جبان . ومهما كان اســـمه ، لـــو انتظـــر لصار خبرا بعد عيـــن "

بعث إيليا إلى ولديما أنه قـــادم ، ولكنـــه طلـب أن يعلــن فى المدن والقرى أن يجتمـــع الجميــع عنــد بــاب قصــره ، فيسقيم للجميع حفل العشاء . وأخبر كـــل صنـــاع الطعـــام أن يصنعوا طعاما شهيا وغال الثمن ، وسيشـــتريه كلــه ويقدمــه للناس . أخبر الأمير بذلـــك وفـــى الحـــال ، أمـــر بـــالإعلان وهو فى حالة من الرعب والخـــوف ، وأعلــن الجميــع بمـــا ينويه إيليا ، كل باعة الأطعمة تقدموا بما صنعـــوا حتـــى مـــن لم يسبق لـه صناعة الطعام . وجاء النـــاس مـــن كـــل مكـــان حتى من لم يسبق له زيارة المدينـــة ، وامتـــلأ فنـــاء القصـــر تماما . وأخذ إيليا يجلس كل إنسان فى مكانـــه، قسـم النـــاس جماعات جماعات . وأجلـــس الأمـــير فـــى طـــرف المجلـــس كأحد المتسولين ثم بدأ يـــوزع العشـــاء . ولمـــا انتـــهى قـــال للأمير " الآن شفى غليلـــي " .

قبل أن ينصرف الناس ، قـــام الأمـــير ، وأمـــر أن يعلـــن على الناس أنه سعد بهذا الحفل الـــذى أقامـــه إيليـــا ، ويريـــد أن تجتمعوا غدا مرة أخرى فسيقيم حفلا بمناســـبة قـــدوم هـــذا الضيـف .

وفى اليوم التالى كان الجمع أكـــثر مـــن الأمـــس . وأمـــر الأمير أن يعد طعام لم يسبق إعداده مـــن قبـــل ، وأعـــد لكـــل جماعة مكانا مختلفا ، وجلس الأمـــير والأمـــيرة وإيليـــا فـــى هذا اليوم فى مكان واحـــد ، ولمـــا رأى إيليـــا الخمـــر لعبـــت

برؤوس كل الحاضرين ، قام وتسلل خارجـــا ، ولــم يعــرف أحد وجهته ، حتـــى لا يـدرك أحـد وأرتـدى ثيابـا عربيـة كثياب الحجاج ، وقصد قريـــة بـالقرب مـن مدينـة قـب ، وعندما أفاق الأمير من سكره ، تلفت حوله فلـم يجـد إيليـا ، فأمر أن يبحث عنه فـى كـل مكـان ، فـاقتفوا أثـره حتـى وصلوا إلى هذه القريـة الصغـيرة ، ولكنـهم لـم يجـدوا إلا أحد الحجاج ، فعـادوا وأخـبروا الأمـير ، فتحـير الأمـير تماما وظن أن إيليا مازال غاضبـا .

لم يتوقف إيليا فى أى مكان إلا فى منزل يبـاع فيـه نـوع من الخمور لا يستطيع شـراءه إلا الأمـراء ، وأخـبر بـائع الخمر أنه يرغب فـى الشـراء ، فنظـر إليـه بـائع الخمـر فوجده رجلا عجوزا لا يبدو أنه يملك مليمـا واحـدا فنـهره ، قائلا " أيها العجوز اذهـب لشـأنك بـالتى هـى أحسـن ، لا أبيع الخمر لمثلك ، بلغـت مـن العمـر عتيـا ، ألا تعـرف ذلك؟ أنفك غير نظيف ملابسـك رثـة ، وتقـول أنـك تريـد شراء الخمر ؟ أذهب لن أبيع لـك " فـأخذ إيليـا يكـرر لـه الرجاء ، ولكن لم يبع له ، فوقع إيليا وأغمـض عينيـه كمـن فقد الوعـى ، فقـال النـاس لبـائع الخمـر " إذا لـم تعطـه سيموت ، وتدخل نفسك فى مشـكلة " فـأتى ببعـض الخمـر وصبه فى فم إيليا ، وفى الحـال أفـاق . وصبـوا لـه مـرة ثانية وثالثة حتى شبع وانتفخ تماما . فدخـل الحـانوت ونـام

واستغرق في النوم ، وعندما انتصف الليل وأيقظه صاحب الحانوت فرفض القيام ، فأغلقوا الحانوت عليه .

وفي الصباح استيقظ إيليا ، ودفع باب الحانوت بقدمه ففتحه ، وكان يوجد في الحانوت بعض براميل الخمر الكبيرة التي لا يستطيع حملها عشرات الرجال الأقوياء أو السير بها .

أخذ إيليا ثلاثة منها ووضع اثنين تحت أبطيه وأخذ يدحرج الثالث على الأرض برجله ، ويسير قائلا " كل من أراد أن يشرب خمرا فليأت هنا ، حتى من لا يشرب فليقبل على " فلما سمع أصحاب الحانوت لحقوا به وحاولوا انتزاع براميل الخمر منه فلم يستطيعوا ، فذهبوا إلى القاضي وتقدموا بشكوى إليه . وبعث القاضي إلى إيليا يرجوه الحضور . ولما وصلت هذه الأخبار إلى ولديما تأكد أنه لا يفعل هذا الأمر إلا إيليا ، لذلك قال عند قدومه " مرحبا يا إيليا ، عدت إلى طبيعتك الطيبة " فانفجر إيليا ضاحكا ، وعاد إلى خلقه الحقيقي الذي عرفه الناس ، ودفع لأصحاب الحانوت ثمن الخمر ، وأعطاهم ما تبقى منها .

تفرق كل رجال الحاشية ، بعد أن أقبل الليل ، وانتهى السمر ، وبقى ولديما وإيليا وحدهما ، قال ولديما " أريد

أن تساعدنا وأن تخلصنا ممن يسمى فللو وهو أحد المغيرين الأشرار الأقوياء ، فهو لا يدخل مكانا فى هذه المدينة إلا وسلبه ، يسلب الناس أموالهم ويضربهم ، ضايقنا جميعا ، وليس عندنا من يتصدى له . إلا أنت وحدك .

ابتسم إيليا وغير مكانه ، وشد شاربيه ، فقد جاء اليوم الذي ينتظره ، فقال للأمير " نصرك الله ، لا مانع ، أسأل الله التوفيق ، أريد أن تختار لى ستة من الرجال الشجعان الذين تفخر بهم لنذهب معا "

. لم يكن إيليا يحتاج إلى هؤلاء الستة ، ولكن ليختبر شجاعتهم فقط ، فأمر ولديما ستة من رجاله الشجعان بأن يستعدوا للذهاب مع إيليا .

عندما حان الحين ، واستعد هؤلاء الشجعان . ذهب إيليا أمامهم ، وهم يتبعونه ، وقصدوا الطريق الذي تعود فللو أن يسلكه .

## إيليا يلتقى بفللو :

وقرب ظهور الصباح أحسوا بفللو قادما . يقطع أشجار الغابة كالفيل الضخم ، خرج مختالا كشأنه ، لأنه يعلم أن أحدا لا يستطيع منازلته ، جاء ومر بالقرب من المكان الذي يختبيء فيه إيليا مع رفاقه ، حيث لا يراهم ، قال إيليا لهؤلاء الشجعان " من يستطيع اتباعه ليعرف وجهته ؟ وإذا وجد الفرصة سانحة تحرش به ؟ فسكتوا جميعا ، ولم يجد من يقول أنه سيتبعه . وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر ، نظر إيليا لكبيرهم وأمره باتباعه فلم يستطع المعارضة ، قام وأوثق أحزمة سرج الحصان ، وركب واتبع فللو . وقلبه يرتجف خوفا ، وسار وهو يفكر فيما سيفعل مع فللو وهو يعرف تماما أن من يلتقى به من رفاقه الشجعان لابد هالك . واصل السير حتى لاح له فللو من بعيد . نظر إلى فللو فوجده يفحص ثيابه وأدوات القتال ، ثم نظر إلى حصانه ، وضحك وألقى بالرمح إلى أعلى ، والتقطه وهو يفخر ويقول " اليوم لو التقيت بإيليا لانتصرت عليه ، اليوم كيف التقى إيليا "

عندما سمع هذا الشجاع فللو يذكر اسم إيليا تذكر أنه أيضا شجاع وفى الحال خفق قلبه ، وقال من بعيد " فللو كذاب ، سيقضى عليك إيليا إذا التقى بك "

التفت فللو فوقع نظره على المتكلم فصرخ صرخة مرعبة كانت كالرعد على مسمعه ، فأخذ الدخان يتصاعد من فمه وكأنه عاصفة مصحوبة ببريق ، وكان بالقرب منه نهر ففاضت مياهه ، وقصد فللو رسول إيليا ، فلما أدرك ذلك ولى الأدبار عائدا إلى إيليا ، ولشدة العدو تعثرت رجل الحصان فكبا ، فقام وجسده يرتجف خوفا وركب الحصان وواصل العدو حتى وصل إلى إيليا ، وهو يلهث وكأن روحه ستفارق جسده ، وبعد أن أفاق قليلا ، قص على إيليا ما حدث.

سمع إيليا كل ذلك وهو جالس فلما انتهى القاص تبسم ثم اضجع وأخذ يلعب فى قدمه ، ونظر إلى هؤلاء الشجعان فرأى الحيرة بادية على وجوههم ، وكأن عيونهم ستفارق محاجرها " الله أكبر ، لقد هاجمنا الشيب ولا وريث لنا "

ثم هب قائما وقصد حصانه قوليلى ، ومسح على ظهره وأخذ يمدحه قائلا " قوليلى حصان إيليا ، وهنا أخذ السرج ووضعه على ظهره وربطه جيدا وأخذ عصاه

الغليظة ، وعلق سيفه ورجاجى وأخذ الرمح والغمد والقوس ، واندفع قاصدا فللو .

عندما اقترب منه ، بدأ إيليا يستفزه قائلا " إيها المارد الفاسد ، اللص ، لماذا تدخل مدينتنا بدون إذننا " فتملك الغضب فللو وامتلأ غيظا ، ودفع حصانه وسيضربه بيد من حديد ، وتقابلا ثم تراجعا إلى الوراء ، وسحب كل منهما عصاه ، وأخذا يضربان بعضهما ، ووقف الشجعان يستمعون إلى أصوات الضرب وكأنها ديناميت يفجر الصخور ، وامتلأت الغابة بالأصوات المرتفعة وزئير الرجال ، وقطعت كل الأشجار المحيطة بمكان المعركة واستمرت المعركة حتى تكسرت كل عصيهم الغليظة ، ولم يجرح منهما أحد ، ثم استلا السيوف وارتفع صليل السيوف ، وإذا التقت السيوف ترى ألسنة النار قد تصاعدت ولمعت فى السماء كالبرق ، وبعد وقت قصير تثملت كل السيوف ، فخطف كل منهما الرمح وتبادلا الطعنات حتى تكسرت الرماح . وهنا توقفا عن القتال وأخذ كل منهما ينظر إلى الآخر كما تفعل الديكة . فلما استراحا ، أستأنفا القتال بالأيدى ، وظلا يقتتلان حتى أقبل الليل وطلع النهار وظهرت الشمس ولم يتوقفا ، وقضيا النهار فى المصارعة والملاكمة ، حتى أقبل الليل ولم يتوقفا ، واستمرا هكذا لمدة ثلاثة أيام .

وهنا تذكر فللو أنه في شرخ الشباب ، فأمسك إيليا ورفعه إلى أعلى وألقاه على الأرض وداسه بقدميه ، وأمسك فأسا قصيرا ، ليضربه فى صدره ، فتمايل وتفادى الضربة فشقت الأرض نصفين ، فهب إيليا وأمسك يد فللو بقوة ، ونظر إليه ثم ضحك وقال " أنت صبى تنازل الكبار ، ليس الذئب كالكلب ، والأمر المكتوب لا مغير له، أيها الشاب من أين جئت ، ومن أى مدينة ، ومن أبوك ؟ ! "

قال فللو " الولد يمسك فى أطراف ثوب أمه، وما شأنك ببلدتنا أو والدى !! " فغضب إيليا وكأن هذا الكلام نار تأكل جسده ، فأمسك فللو ورفعه إلى أعلى وألقاه على الأرض، ثم وطئه بقدميه ، تصور رجل قوى يضرب والدا ، وقال له " أن من يكلمك أيها الغلام رجل كبير ، أجبنى عما سألتك عنه ، وأرح نفسه " فرفع فللو رأسه ونظر إلى إيليا وقال " إذا كنت ضخما كالفيل فإننى أسد، لا ينبغى أن يكون كلام الرجل متناقضا ، ما قلته لك فى البداية ، لا مغير له "

فاشتد غضب إيليا ، وأمسك برأس فللو وهم بكسره بيد من حديد كما يكسر البصل آكله ، عند ذلك شعر فللو بالموت المحقق فقال " انتظر ، لا تقتلنى ، سأخبرك " فترك إيليا رأسه ، وبدأ يتكلم فللو بصوت مرتعش " أمى

أميرة ، ولكن أبى رجل محارب مشهور ، مات ، فلما كبرت قلت لابد أن أموت في ميدان القتال مثله . وعندما غادرت المنزل دعت لى أمى ، وأوصتنى قائلة إذا التقيت برجل يسمى إيليا الأبن القوى ، أسأله المغفرة وامضى لشأنك ولا تقاتله ، لأنه هو وحده الذى يستطيع القضاء عليك فى هذه الدنيا ، هو كل ما أستطيع أن أذكره لك من أخبارى " عندما سمع إيليا تصبب جسمه عرقا ، وأدرك أن فللو هذا هو ابنه ، فأوقفه وعانقه وأخذ يبكى ، وقبله قائلا " أبنى ، أسأل الله أن يصبرنا جميعا ، ما حدث هذا بسبب الجهل ، لقد غفرت لك فى الدنيا والآخرة ، وسعدت جدا بوجود من يرثنى " ثم ذكر له ما حدث حتى تزوج هذه الأميرة ، والحالة التى تركها عليها . وهام على وجهه فى الحياة ، وأخبرها إن شاء الله سألتقى بها فى يوم ما " قام فللو ونفض الغبار وركع وودع أباه ، وركب حصانه واستأنف السير .

لقد حدث ما كانت تخشاه الأميرة ، فقد كانت لا تريد أن يعرف فللو أن أباه هو إيليا ، وليس أميرا ، والآن قد عرف كل شيء . عندما وصل إلى المنزل ،لم يتوقف فى أى مكان ، ونادى بكل ما أوتى به من قوة فى صوته " أيتها العجوز العابثة المنافقة ، من ولدتنى بعد أن تزوجت رجلا فقيرا من عامة الشعب ، وليس من الأمراء ، اخرجى لقد انكشف سرك اليوم " فخرجت وهى ترتجف

باكية ، وركعت أمامه وقالت " هــاأنا ذا "" لـــم ينتظــر فللــو طويلا . وأخذ السيف وقطع عنقـــها .

كل هذا الأمر لم يخفف مـــن حـــدة غضـــب فللـــو ، ولـــم يجعل للشفقة سبيلا إلـــى قلبـــه ، فـــالتفت وقـــال " يجـــب أن أعود لإيليا واقتله أنه هو الآخـــر منـــافق " ثـــم أمســـك لجـــام الحصان وأداره واتخذ ســـبيله وواصـــل الســـير عـــدة أيـــام ، حتى وصل إلى المدينة التى يعيـــش فيـــها إيليـــا فوجـــد إيليـــا مستغرقا فى نومـــه ، فدخـــل عليـــه ، ونظـــر إلـــى صـــدره وطعنه بالفأس ، عندما طعـــن فللـــو إيليـــا ، وجـــده يرتـــدى قميصا من الحديد على صدره ، فارتدت الفـــأس إلـــى أعلـــى وكأنها اصطدمت بصخر صلـــد .

استيقظ إيليا من النوم ، فوجد فللو واقفـــا ممســـكا بالفـــأس فقام وأمسك كتفه ، وهزه ثم دفعه إلى الحـــائط ، فمـــات فللـــو فى الحال ولم يتحرك ، وهكذا انتـــهت حياتـــه .

لم يكن أهل المدينة يعرفون أن فللو بـــن إيليـــا ، ففرحـــوا وازداد تقديرهم له بعـــد قتلـــه لـــه . وانتـــهت حيـــاة فللـــو ، واستمر إيليا فى حروبه مقاتلا الظالمين حيـــث كـــانوا .

## إيليا واللصوص :

وذات يوم كان إيليا جالسا يتنسم الهواء في حديقة كبيرة على شاطىء النهر ، يراقب القوارب سابحة فوق الماء ، وأنواع الطيور تلتقط الحب ، تذكر الحرب فجأة . تذكر الأخطار التى خاضها والتى سيخوضها فقال " الله أكبر ، الشيخوخة كبرت وكبر حصانى أيضا ، ولكن قلبى مازال شابا " ثم هب قائما وقال " يجب أن أهيم على وجهى فى الحياة لأعرف ما يجرى فيها " .

عندما وصل إلى المنزل ، وضع السرج على ظهر قوليلى ، واستعد وأخذ طريقه وواصل السير منذ بدأ يرى مظاهر الريف حتى صار لا يرى شيئا إلا الغابة وواصل السير حتى وصل إلى مكان فيه ثلاث سبل تلتقى هذه الطرق الثلاثة تماما ، كتب فوق حجر عريض " من يتبع الطريق الأيمن يجد الثروة الكافية ، ومن يتبع الطريق الأيسر سيجد نساء لا مثيل لهن ومن يتبع الطريق الأوسط سيلقى حتفه "

وقف إيليا يقرأ ، ثم أطرق مفكرا ، ثم قال " لقد بلغ بى الكبر عتيا ، ماذا سأفعل بالثروة ؟ وماذا سأفعل بالنساء ؟

فلأتبع الطريق الذى سألقى فيه حتفى ، لأرى لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا "

جذب إيليا لجام قواليلى ، واتخذ الطريق الأوسط وسار فيه ، حتى دخل غابة مظلمة متشعبة المسالك . وفجأة التقى بجماعة من اللصوص بلغ عددهم أربعة آلاف رجل، يتزعمهم رجل واحد ، كل منهم مسلح بمختلف أنواع السلاح ، ينتظرون من يدخل عليهم فيكون ضيف الآخرة ، وفجأة رأوا إيليا بالقرب منهم ، فتعجبوا لأنهم يعلمون أنه لايوجد مخلوق يستطيع دخول هذه الغابة . فنهروه قائلين " أنت أيها الفارس انتظر " فوقف إيليا حتى وصلوا إليه . فرأوا حصانا لا مثيل له فى المنطقة . فقالوا " إلى أين ذاهب ؟ " وماذا جاء بك إلى هذا المكان ؟ قال إيليا " لقد سلكت الطريق لأذهب إلى شأنى ، لم أعرف باننى سألتقى بكم " فقال كبيرهم " ألا ترونه ينظر إلينا نظرة ازدراء ؟ ربما هو ممن يحتقروننا ؟

سخر منهم إيليا بأسلوب ملتو فطأطأ رأسه قائلا " ويحكم أيها الشباب كيف يحتقركم رجل عجوز فى مثل سنى ، وليس معى من الزاد إلا مائة جنيه ، وهذا الزناد الذهبى الذى ترونه ، كل ثمنه لا يتجاوز ثلاثة آلاف جنيه، وحذائي وقلنسوتي لا يتجاوز عشرة جنيهات ، وهذان الركابان اللذان ترونها فضة قديمة . وسرجى مع

أنه من الحديد لن يزيد ثمنه عن مائتي جنيه . وهذا الحجر الذى ترونه فوق حصاني أنتم تعرفون قيمته ، لا فائدة منه إلا ليساعد الحصان على الرؤية فى الليل . وهذا الحصان أيضا لا فائدة منه إن لم يكن ملكى ، فماذا يجعلكم تقطعون الطريق على ؟ ليس معى أى شى ، أتوسل إليكم أن تتركونى لأذهب به لشأنى "

قال اللصوص لإيليا " منذ أن بدأنا نقطع الطريق على الناس لم نجد أغنياء أو مجانين مثلك " وأمرهم كبيرهم بالقبض على إيليا . لقد كانوا يقفون بالقرب من شجرة ضخمة ، لا مثيل لها فى المكان كله . فلما رأى هؤلاء الرجال هموا بالهجوم والقبض عليه ، أسرع وسحب سهما ونظر إلى الشجرة الضخمة وأطلق السهم عليها . فهوت الشجرة مكسرة ، كأن عاصفة هبطت عليها . وقد جعل الهواء الذى أحدث سقوط الشجرة وصوت سقوطه اللصوص يسقطون على الأرض فاقدى الوعى . وعندما أفاقوا قال كبيرهم لإيليا " لقد رضينا بك زعيما لنا ؛ ونرجو أن تبقى هنا ، وتصير قائدنا ولدينا ثروة من الذهب والفضة واللؤلؤ والجواهر وأنواع مختلفة من الثياب والحيوانات . فإذا اجتمعنا جميعا ومكثنا عشر سنوات نعد الذهب الذى لدينا لن نستطيع عده موافقون على أن تأخذ منه ما تحتاج على أن تكون زعيمنا . "

ضحك إيليا وأنشد أنشودة النصر التى ينشدها المحاربون ، ثم قال " يا أخواني ، لا أريد أن أتعب نفسي بحراسة ثروتكم أو رعاية دوابكم أريد أن أهيم على وجهى فى هذه الدنيا لأحارب ، الثروة والدواب يحرسها التجار والرعاة ، أشكركم ، وإلى لقاء آخر . " ثم ودعهم وجذب مقود الحصان وعاد من حيث أتى . حتى وصل إلى مكان الصخرة عند مفترق الطرق . وعلى الجانب الذى كتب عليه " من سلك الطريق الأوسط سيلقي حتفه " وكتب أنا إيليا الأبن القوى ، سلكت هذا الطريق الأوسط ، ولكن لم ألق حتفى ، ثم أدار حصانه واتبع الطريق الأيسر حيث كتب أن من سلكه سيلقى النساء ، وواصل السير ، بعد حوالى مسيرة يومين وإذا به يواجه فجأة منزلا عجيبا، أكبر من المنازل ولكن لم يصل إلى حجم المدينة كل بناء المنزل من الحديد الأبيض ، لذلك تراه يلمع كالمرآة . وصنع سقفه من الذهب ، ونوافذه من المرايا ، وصنع لكل منها ستارة مختلفة ، وتحيط بالمنزل أزهار مختلفة ، وبه حديقة مملوءة بأحواض من المرمر . لم يتوقف إيليا فى أى مكان ، وقصد منزل القصر مباشرة ، وقبل أن يصل التقى بأربعين فتاة تزينت كل منهن بحلى ذهبية . وارتدت أثوابا من الحرير الأبيض خرجن يستقبلنه ، وأحطن به مرحبات حتى ترجل ، وأخبرن الأميرة .

## إيليا والأميرة :

بعد قليل خرجــت الأمــيرة ، نظــر إليــها إيليــا جيــدا ، فأحس أنه منذ بدأ يتجول فى الدنيا لـــم يــر أبــدا فتــاة فــى جمالها . لم ير مثل الثياب التـــى ترتديــها . وتتبعــها فتاتــان تصلحان لها ثيابها التـــى تجــر علــى الأرض ، بلــغ شــعر رأسها إلى قدميها . عندمـــا وصــل إيليــا عانقتــه وقبلتــه ، وأخذت يديه ودخلت به إلـــى المــنزل ، كمــن رأت صديقــا لها فارقته منذ ســنين .

وأخذت إيليــا إلــى حجــرة الإســتقبال ، وكــانت مطليــة بالذهب ، ووضعت شمعة فـــى كــل ركــن مــن أركانــها ، وفرشت أرضها بأنواع مختلفة مــن الســجاد ، وأنــواع مــن الكراسى إذا جلست عليها غاصت بك مــن ليونتــها ، وتوجــد مائدة فى وسط الحجرة من الحديد الأبيــض ،غطيــت بقمــاش من الحرير ، ووضــع عليــها أنــواع مختلفــة مــن الطعــام والشراب . وفى جانب منــها مكــان لغســل الأيــدي مجــهز بالصابون ومنشفة معلقةِ ، وجلس علـــى كرســي ، والمــائدة أمامهم ، وأخذا يأكلان ويشربان ما لذ وطـــاب ممــا لــم يــر إيليا مثله من قبل . وكـــانت تحييــه وترحــب بــه بصــوت

عذب جذاب . حدث كل هذا وإيليا يراقبها . ويفكر فيما تضمر له من شر .

تأكد إيليا أن هذه المرأة ماكرة تتحايل لتقبله . جعلها هؤلاء اللصوص لإغراء الناس ، وبنوا لها هذا القصر العظيم ، وخصصوا لها هؤلاء الفتيات للقيام على خدمتها. وليرغمنها على البقاء . ولا يوجد في هذا القصر على سعته رجل واحد . اعد ليكون شركا لكل من يدخله من الأمراء أو التجار أو الشجعان ، وكل ما يحملونه من الثروات ومتاع يصير غنيمة الفتاة واللصوص .

وكان بالقصر حجرة زودت بأجهزة تهلك كل من يدخلها ، زينت بأفخر الزينات وفرشت بفرش ثمين . ووضع بها سرير من الحديد طلى بالذهب ، وفرشت السجاجيد والبطاطين في كل مكان بالحجرة . وأسندت الوسائد على الحائط في كل مكان . تتدلى زجاجات عطر الورد من سقف الحجرة والمصابيح الموقدة في كل ركن . وكان السرير على دعامة كبيرة من الحديد تدور به كل اتجاه . ويغطى هذه الدعامة ملايا السرير الغالية الثمنية حتى لا يكتشف سره أي إنسان .

كانت الحيلة المتبعة في قتل الرجال كامنة في السرير، حيث يوجد بئر عميق أسفله كالحجرة الكبيرة وعمقه يصل ارتفاعه إلى ثمان عشرة قدما. وغطى فمه تماما بالفراش،

وقد أعد السرير بطريقة إذا رقــــد عليــه أى إنســان انفصــل السرير عن حائط الحجرة وانقلب فيســقط الراقــد عليــه فــي غيابة الجب ، ثم يعود الســرير إلـــى وضعــه الأول . وكــان إيليا يدرك كل هـــذا .

بعد أن تناول إيليا الطعام وجلـــس يتحـدث مــع الأمــيرة تقص عليه أخبار الحياة ، وهو يقص عليــها بعــض الأخبــار التى تقال فى مثل هذه المواقف . بدأ النــوم يتلاعــب برأســه عمدا ، كمن يشعر بالنوم . فقـــالت لإيليــا يجــب أن يذهــب لينام لأنه يبدو عليه التعب ، قال إيليا " أريد أنـــا أنــام فعــلا " ودخلت حجرة الموت أمامه حيــث البــئر ، وتبعــها ، قــالت له " ها هو السرير نم لتستريح ، لقـــد تعبــت " وهــى علــى وشك الخروج قالت له " اليوم بـــارد جــدا يجــب أن تقــترب من الحائط حيث موقـــد النــار ، ستشــعر بــالدفء ، وتدلــك جسدك لتستمتع بـــالنوم "

قال إيليا " لا أريد أن أستغرق فى النــوم ، لأنــى تعــودت أن أخرج فى الليل لأطل علـــى حصــاني " وقبــل أن تلتفــت قام مسرعا ، وجذبها وألقـــى بــها علــى الســرير ، وضغــط على الحائط حيث طلبت منه أن ينـــام ، وقبــل أن تصــرخ ، سقط السرير وقذفها ، فســـقطت فــى البــئر . وفتــح جانبــا وعاد السرير إلى وضعه الطبيعـــي . ولمــا رأى ذلــك ذهــب إلى ناحية أخرى من الحجرة ، واستغرق فى نـــوم عميــق .

عندما طلع النـــهار ، خـــرج إيليـــا ، واســـتدعى الفتيـــات طلق الوجه ، وقـــال " احضـــروا لـــي مفـــاتيح الحجـــرة السـفلى " ومـــن شـــدة خوفـــهن وارتباكـــهن لـــم يـــترددن ، وأحضرن كل مـــا طلـــب . وطلـــب منـــهن أن يدلـــوه علـــى المكان الذى تفتح منه ، فرأى الباب مصنوعـــا مـــن دعامـــات حديدية كبيرة التى تسقف بـــها الحجـــرات . فغضـــب وألقـــى بالمفاتيح . ودفع البـــاب برجلـــه ففتحـــه ودخـــل الحجـــرة ، فوجد كثيرا من النـــاس جالســـين فـــى البـــئر دون فـــراش أو غطاء ، بعضهم يبكى ، وبعضهم يصلون علـــى النبـــي ، أمـــا الذين طال عهدهم بالأسر وتعودوا عليه فقـــد أخـــذوا ينشـــدون بعض الأناشيد . وبالقرب منهم جثث الذيـــن فـــارقوا الحيـــاة . بعضهم صار ترابا والبعض الآخر مـــازال لحمـــا منتفخـــا ذو رائحة كريهة . نهرهم إيليا قائلا " اخرجـــوا ، وليذهـــب كـــل منكـــم لشـــأنه " وفـــى الحـــال أضطـــرب المكـــان وقـــاموا مذعورين ترتجـــف أجســـادهم ، كـــل منـــهم يدفـــع بـــالآخر منطلقين نحو البـــاب كـــل مـــن خـــرج منـــهم ورأى ضـــوء الشمس لم يلتفت وراءه ، ولم يقف مفكرا إلـــى أيـــن المفـــر ، وسلك كل منهم الطريق الذي وجـــده أمامـــه ، ولـــم كبـــيرهم أطراف سرواله ، وولـــى هاربـــا دون أن يعـــرف وجهتـــه ، ولم يستطع الشجعان فى هذا اليـــوم رفـــع أيديـــهم أو التفكـــير فى معدات القتـــال .

ووجد إيليا ثلاثة خيول كبيرة ، تقف في مربطها لا عمل لها ، فأمسك الأميرة وقيد يديها وربطها في سلسلة وربطها في أحد الخيول الثلاثة . وربط قدميها في سلسلة أخرى ، وربطها في حصان آخر ، ثم ضرب الحصانين فسارا في وقت واحد ولكن في اتجاهين مختلفين . وبعد أن أطلق الحصانين أدار وجهه حتى لا يرى ما ستلاقيه من عذاب الموت . ثم دخل المنزل وجمع ما به من ثروات ، وكل ما يستفاد به من أثاث ووزعه على كل الرجال الذين وقعوا في مكيدتها وسقطوا في هذا البئر . أما هو فلم يأخذ شيئا ولو بسيطا كما أطلق الفتيات اللائي يعملن في القصر ، ثم أشعل فيه النار حتى يحترق . ثم ركب حصانه وعاد إلى الصخرة عند مفترق الطرق ، وكتب عليها " أنا إيليا الأبن القوى ، سلكت الأيسر ، ولكن لم أجد المرأة " وهنا وقف فترة طويلة ، ثم قال " لقد سلكت هذين الطريقين ، ولم أجد هذه الأشياء التي كتب عنها ، فلأتبع الطريق الأيمن وواصل السير ، حتى وجد غابة ، وبعد أن عبرها وصل إلى واد عميق . فلما اجتاز هذا الوادى وجد حوالى مائة حفرة عميقة مثل البئر، كلها مملوءة بالذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ ، تلمع لمعانا يأخذ بالأبصار ، وعلى جانب منها كتب " هذه الثروة كلها لإيليا " فنزل في هذه الآبار جميعا واحد بعد الآخر ، ليرى ما تجمع من ثروة في كل منها وتملكته

الدهشة ، واحتار فيما يفعل بها . إذا اجتمع ألف رجل وظلوا يجمعون فيها لمدة ألف يوم ما استطاعوا جمع نصفها ، فوقف يفكر فيما يمكن أن يفعله ، فركب حصانه وعاد إلى مدينة قب وأخبر ولديما . وطلب منه أن يزوده بألف رجل لينقل هذه الثروة ، وفي الحال أعد له العدد المطلوب وعادوا إلى مكان الكنوز ، وظلوا يعملون ويغترفون منها ولم يتوقفوا ليلا أو نهارا لمدة ثلاثة أشهر ومع ذلك لم ينقلوا ربعها، فعاد إيليا مرة أخرى إلى ولديما وطلب ألفا آخرين ، وضمهم إلى السابقين ، وواصلوا العمل ، ولما قضوا خمسين يوما يعملون جميعا ، دون أن يصلوا إلى نهاية الكنوز ، جمعوا أقصى ما يستطيعون ، وحملوه إلى مدينة قب، وسلم إيليا كل هذه الثروة إلى ولديما ، وطلب منه أن يبني مسجدا ويوزع الباقي على المساكين ، أما هو فلا يحتاج شيئا منها .

## عشاء ولديما الثالث :

أعد ولديما عشاء آخر يفوق كل ما أقامه من قبل ترحيبا بعودة إيليا ، والمساعدة التى قدمها إليه وإلى المساكين من سكان المدينة .

بعث الأمير لكل كبار المدينة والتجار والأمراء ليجتمعوا ، وأقام حفلا عظيما أخذ يوزع فيه الهدايا بنفسه . وقد بلغ من شدة سروره أنه ولى كل من أبناء الأمراء الذين حضروا الحفل إمارة إحدى المدن ، أو القرى . ووزع على التجار ثيابا عظيمة ووهب الشجعان خيولا ودروعا ، وأدوات القتال . ولما جاء دور إيليا علم الأمير أنه لن يستطيع أن يكافئه عما فعل ، فأحضر قميصا مثل البرنس صنع من جلد الأسد وقد زين بقطع من جلد النمر وقدمه إليه . وهذا دليل على أنه أشجع من كل الشجعان .

طأطأ إيليا رأسه معبرا عن شكره وسروره . وبعد قليل قام إيليا وقصد صناع الطعام ، ممسكا في يده الهدية التى قدمها إليه الأمير ورفعها إلى أعلى قائلا " كما أخذت هذا البرنس الذى قدمه إلى ولديما تعظيما ، سآخذ أكبر

أعدائه واقضي عليه وعلى كل ذريتـــه ، إن شـــاء الله حتـــى يصير تحت سلطان ولديمـــا "

وكان من بين طهات الطعام امـــرأة مـــاكرة ، ذهبــت فـــى الحال إلى ولديما وقالت له " هذا الرجل الشـــجاع يقـــول فـــى المطعم لابد أن يقتلك ويقضي علـــى كـــل ذريتـــك " وكـــانت الخمر قد لعبت برأسه فى هذا الوقت ، حتـــى أخـــذ يـــترنح ، فأمر بعض الرجال الشجعان أن يذهبوا إلـــى إيليـــا ويقبضـــوا عليه ويضعوه فى السجن . وكان سجنهم عبـــارة عـــن حفـــرة كبيرة كالبئر يصـــل ارتفاعـــها ارتفـــاع الحجـــرة ، يوضـــع الإنسان فيها مغطى كسكان القبـــور .

نظر إيليا إلى هؤلاء الشجعان كمـــن رأى أبنـــاءه فركعـــوا جميعا في آن واحد، وقالوا أنـــهم يتوسـلون إليـــه ليســـاعدهم وينجيهم من غضبة الأمير ، وهناك يتركونـــه يذهـــب حيـــث يشاء . حتى يعودوا إلى ولديما ويخبروه أنهم فعلـــوا كـــل مـــا أمرهم به . ضحك إيليـــا وقـــال لـــهم " ويحكـــم يـــا أولادى ، أنـى أكبر من ذلك ، ولكن ســـأفعل مـــا تريـــدون مـــن أجـــل توسلاتكم " سار أمامهم وهـــم يتبعونـــه حتـــى المكـــان الـــذى أشار إليه الأمير ، ولكنـــهم عندمـــا قـــالوا لإيليـــا أن يذهـــب حيث يشاء ، أخبرهم بأنه لن يذهـــب إلـــى أى مكـــان وطلـــب منهم أن يحفروا له حفـــرة ويدفنـــوه كمـــا أمـــروا . حـــاولوا إقناعه بالعدول عن قوله ، ولكنه أصر علـــى أن يحفـــروا لـــه

حفرة ليدخل فيها ويدفنوه . فلمـــا رأوا لا مفــر مــن طاعتـــه حفــروا الحفــرة ، فدخلــها ووضعــوا فوقــها الأخشـــاب والتراب وغطوها تمامـــا . وذهبــوا إلـــى الأمــير وأخــبروه أنهم فعلوا كل ما أمرهم بـــه ، فشــكرهم ولديمـــا ، وأحضــر هدايا كثيرة وقدمها إليـــهم .

وبعد أن انصرفوا ، ذهبت زوجة ولديمـــا وقـــالت لبعــض خدمها ممن تثـــق فـــى طاعتـــهن وعـــدم كشـــفهن لســـرها . ودلتهن على مكان وطلبت منهن أن يحضـــرن فيـــه ويوســـعنه حتى يستطيع الإنسان أن يدخـــل منـــه ، وبذلـــك يصـــل إلـــى الحفرة التى دفن فيها إيليا . وفى الحال بـــدأ الحفــر وأتمــوه . فدخلت الأميرة إلى إيليـــا باكيـــة ، فحيتـــه ، فـــهدأها وطلــب منها أن تكف عن البكاء فكـــل مـــا فعـــل الأمـــير لا يضـــيره شيئا ، وعرفها أنه لولا أنـــه رضـــى بذلـــك ، مـــا اســـتطعت الدنيا كلها لو اجتمعت أن تضعه فـــــى هـــذا المكـــان ، وقـــال " جئت إلى هذا المكان لســـببين ، الأول ، مـــن أجـــل هــؤلاء الناس الذين توســـــلوا إلـــى فقـــد أشـــفقت عليـــهم ، حتـــى لا يغضب عليـــــهم الأمـــير ويـــأمر بقتلـــهم . والســـبب الثـــاني تذكرت أنه منـــــذ أن أراد الله أن التقـــى بولديمـــا ، لـــم أفكـــر مطلقا ولو بيني وبين نفسي أن أضـــــره . وأفكـــر فيمـــا كـــان بيننا من أعمال طيبة بالرغم من ذلك يـــأمر بـــأن يفعـــل هـــذا بي هذه الأشياء هي التـــي دفعتنـــي للصـــبر والمجـــيء لـــهذا المكـــان . "

قالت الأميرة " لا تيأس ، سأحضر لك الطعام والشراب كل يوم بنفسي ، وسيأتي اليوم الذي يطلبك فيه الأمير بنفسه ، وسيبكي بالدمع لتصفح عنه ، ولن يكون هذا اليوم بعيدا " وودعته وعادت إلى قصرها . ومنذ هذا اليوم أخذت تقدم له كل ليلة كل ما يشتهي من الطعام والشراب ، ما لم تقدم لولديما مثله . وحملت إليه سريرا وفراشا ، وكل وسائل المتعة .

ومرت الأيام وكان لولديما عدو لدود يفوقه مهارة فى فنون القتال ، ويحكم إحدى المدن المجاورة ، وبعد ثلاثة أشهر فقط من دفن إيليا بعث هذا الأمير إلى ولديما برسول يخبره أنه قادم إليه ، فيستعد للقائه بكل ما لديه من قوة ومحاربين فسيلتقي بهم حتى لو كانوا فى عدد نجوم السماء وحصى الأرض . حتى يأسر أولاده جميعا ويحرق المدن ، وغير ذلك من التهديد والوعيد .

دخل ولديما القصر ، واستدعى الأميرة وأخبرها بكل ما فى الأمر ، فلم تظهر له إن إيليا مازال حيا ، قالت " ما العمل " أرأيت لو كان إيليا حيا لهذا الأمر " وازدادت حيرة ولديما ، وأصبح لا يدرك أين يضع رأسه وأين يضع قدمه ، وعزف عن الطعام ، وفى المساء دخل حجرته وحاول النوم فتعذر النوم عليه من شدة التفكير ولما انتصف الليل قام وجلس ، وأخذ يبكي ، فلما سمعت

الأميرة دخلت إليه وقالت " مثلك لا يبكـــي ، يجـب أن تبعـث إلى حيث دفنت إيليا ، ربما مازال حيـا حتـى الآن ، فتعتـذر له فربما قبل عذرك وســاعدك .

نظر إليها الأمير غاضبا وقال " أنت قومـي تنحـي عنـي بعيدا ، هذا من غباء النساء ، هل سمعتي عـن رجـل يدفـن في حفرة ثلاثة أشهر لا يـأكل ولا يشـرب ، ولا يتنفـس ثـم تقولين أنى أجده حيـا ؟ !

قالت لولديما " أنت تعلم أن إيليا ليس كغـيره مـن النـاس، أبعث إليه وسترى " وأقنعتـه بعـد مشـقة ، فقـام بنفسـه ، وذهبا معا ، وحفر الحفرة وإذ بإيليا راقدا فـى أتـم صحتـه . وقد زاد وزنه وكبر حجمه مـن الراحـة . وألـوان الطعـام المختلفة موضوعة أمامه . فـزادت دهشـة ولديمـا ، وركـع أمام إيليا يطلب منه المغفرة . وقص عليه كـل مـا حـدث . ولما قدمت له الأميرة من خيرات غفر إيليـا لـه . وعـادوا جميعا إلى القصـر ، وعـم السـرور والفـرح كـل أنحـاء المدينة بعد أن علم الجميع أن إيليـا عـاد .

جمع الأمير عددا كبيرا مـن النـاس ، وأعـد عشـاء لـم يسبق لـه مثيـل وأقيمـت الأفـراح ، ولمـا قـاربت علـى الانتهاء، قام الأمير وتقدم بالشكر إلى إيليا علـى مسـمع مـن الناس ، وقص عليهم كيف حدثـت الوشـاية التـى أدت إلـى

دفن إيليا ، فتقدم الناس جميعا محيين إيليا ، وبعــــد قليــل قــام بدوره وشكرهم جميعا ، ثـــم أخــذ علـــى نفســـه عـــهدا بـــأن يحارب فى صفوف ولديما ورجاله ، فعــــاد كــل الحــاضرين إلى منازلهم وقد ملأت الفرحـــة قلوبـــهم .

وبعد ذلك فى منتصف الليل . سمع إيليا مــــن يقـــرع بــاب حجرته فلما خرج ونظر وجـــد حصانــــه قواليلـــى ، فـــانحنى عليه إيليا وأخـــذ يمســـح علـــى ظــــهره وهـــو يبكـــي فرحـــا والحصان يبكي معه ثم أخذه وربطـــــه .

## حرب إيليا الأخيرة :

وبعد أن خلت الطرق من السائرين ، ودخل كل إنسان منزله ، ذهب ولديما إلى إيليا ، وطلب منه المغفرة مرة أخرى ، وأخبره بكل ما قاله له عدوه الجبار قبل أن يأتى بجيوشه ويحيط بالمدينة بأيام قلائل . وهنا تاقت نفس إيليا إلى الحرب ، فقال ولديما أنه يريد أن يجمع له عشرة شجعان غدا ، ولما طلع النهار بعث بعشرة رجال إلى إيليا . ولشدة حماس إيليا لم ينتظر اليوم الذي سيأتي فيه العدو ، فخرج مع الرجال العشرة وعسكروا خارج المدينة ، وفى صباح اليوم التالى طلع النهار على إيليا وقد عسكر بالقرب منهم العدو حيث أقام خيامه فى كل مكان، وربط الخيل فى الخلاء فصارت كالجراد وبالقرب منهم عسكر عدد لا يحصى من رجاله يأخذون قسطا من الراحة . وقبل أن يطلع النهار كانت الحرب قد اشتعلت . كانت خيمة الأمير فى الوسط ويحيط بها الجنود ، لا يستطيع أن يصل إليها إلا الموت فقط ، لأن أحدا لا يستطيع أن يراه، أما ما عدا ذلك فقد كان بعيد المنال .

غضب إيليا وامتلأ قلبه غضبا ، ولم يكن حصانه أقل منه فى ذلك فجمع رجاله وقال لهم " من يذهب إلى قائد

الأعداء ، لنخبره أننا سنفنيه وأن إيليا بنفسه قادم إليه الآن؟ " وهنا قال أحد الشجعان أنه سيذهب ، وأمسك حصانه وركبه وتوجه إلى العدو . فلما رآه قادما من بعيد أسرع إليه حوالى ثلاثين رجلا بالسيوف والرماح ، ولكن لم ينتظر حتى يلتقي بهم . ولم ينتظروا أن يقول لهم شيئا، فسرعان ما انهالوا عليه ضربا وطعنا ولولا أنه يرتدي قميصا حديديا لقضي عليه . ولما تذكر قول الحكماء الكثرة تغلب الشجاعة أدار حصانه وجذب لجامه وولى الأدبار . فلما أدركوا ذلك خرجوا وراءه ولم يستطيعوا اللحاق به ، فلما أعياهم الجرى ، عادوا وأخبروا قائدهم بما حدث . وعاد الرسول إلى إيليا يلهث ، وقص عليه كل ما حدث .

قام إيليا غاضبا ولبس ثياب الحرب ، وأوثق رباط السرج وعلق سيفه ورمحه . وحمل عصاه الغليظة وركب قواليلى . ولكن قبل أن يبدأ القتال قال له قواليلى " يا سيدي إيليا تذرع بالصبر فى هذه المعركة فاليوم سيكون القتال شديدا والعدو عنيدا ، وستنتصر عليهم ولكن أرى اليوم أنك لن توفق اليوم تماما . وسيكون نصرنا محدودا، وهذه إرادة الله . رأيت العدو قد حفر لك ثلاثة خنادق ، وأننى واثق أنني سأستطيع اجتياز الخندق الأول والثاني ولكن لن أستطيع اجتياز الخندق الثالث ، وأسألك الصبر إلى غد "

اشتد غضب إيليا مـــن كـــلام قواليلـــي . وســـحب الســـوط وضربه به وقال سأذهب رغم ذلك ، وليفعلـــوا مـــا يريـــدون به ، واتخذ قواليلي الطريق عدوا ، ولكن كـــان إيليـــا يســـتغل سرعة الحصان شوقا لملاقاة العـــدو شـــعر وكأنـــه يريـــد أن ينزل ويعدو على قدميـــه حتـــى يســـبق الحصـــان . وحدهـــم وجدهم إيليا مشتاقين إلى الحرب وسرعان مـــا بـــدأ القتـــال ، يضربهم ويضربونه ويطعنهم ويطعنونه ، حتـــى وجـــد نفســـه فجأة فى الخنـــدق الأول ، وهجـــم عليـــه الأعـــداء وأشـــبعوه ضربا وطعنا ، ولما استطاع قواليلـــي أن يخـــرج مـــن هـــذا الخندق واصل إيليا القتـــال .

كان إيليا رجل واحد ولكن كألف رجل ! كلمـــا تقـــدم إيليـــا عليهم رأيت آلاف الرجـــال يندفعـــون إلـــى ميـــدان القتـــال ، واستطاع قوليلـــي بشـــق الأنفـــس أن يخـــرج مـــن الخنـــدق الثاني. وقصد إيليا خيمة قائد الجيش مباشـــرة . وقـــد تعجـــب الفرسان من شجاعته وأخذوا يتســـألون مـــن هـــو وتجمعـــوا حوله واشتد القتال ومـــلأ الغبـــار ســـماء المعركـــة وأصبـــح الإنسان لا يرى أحدا ولا يسمع إلا صليـــل الســـيوف وطعـــن الحراب . وازداد إيليا اقترابـــا مـــن خيمـــة قـــائد المعركـــة ، كان كلما ضرد، ، ســـيفه رأيـــت الـــرؤوس تتـــهاوى وكأنـــها أوراق الشجر . ـكثرة تغلب الشجاعة بعد أن قتـــل إيليـــا هـــذا العدد منهم جاء عـــدد آخـــر أكـــثر نشـــاطا ، ولكنـــه عندمـــا صرخ وقع كثير منهم علـــى الأرض .

وفجأة وجد إيليا نفسه فى خندق ثالث كبير وفى الحال تجمع حوله حوالى ألف رجل واندفعوا إلى الخندق ، حتى ملأوه وانهالوا عليه طعنا وضربا ثم ربطوه وحملوه إلى قائدهم فوقف الأمير شاخصا ببصره ينظر إلى إيليا ويتعجب من قوته ، وقبل أن يتكلم الأمير قام أحد رجال حاشيته وقال " يا إيليا ، كن مؤدبا أمام أمير الدنيا واركع أمامه تحية له " وقد أغضبوه بضوضائهم ، فسكت ولم يرد عليه .

وهنا أمر الأمير بفك إيليا وإعطائه سيفه ، وجذب إيليا وأجلسه إلى جواره على فراشه ، ثم قال له " ما أريده منك يا إيليا أن تقبل البقاء معنا ، وسأمنحك كل ما تحتاجه فى هذه الحياة . وسأزوجك ابنتي . وسأوليك على أحد الأقاليم . على أن تساعدني بألا تساعد ولديما مرة أخرى، وإذا رفضت كل ما عرضته عليك سأقتلك فى الحال " .

نظر إيليا إلى الأمير وقال " أنت كلب الأمراء . منافق طالما تتردد أنفاسي في صدري ، وسيفي هذا معي ، فسأهزم كل رجل ولدته امرأة ليس بيني وبينك إلا الحرب. لقد أمرت أن أحارب لأحمى المسجد الكبير فى هذه المدينة وأثبت أركان الدين . وأن الكفار المردة من أمثالك لن تصرف قلبي عن التصدي لأعمال الكافرين ، وسأساعد ولديما ما دمت حيا " .

وهنا سمع إيليا صوتا من السماء " إيليـــا الابــن القــوى ، أرفع يدك إلـــى الســماء ، ســتجد العــون مــن الله ســبحانه وتعالى " فقام إيليا بسرعة ورفع يـــده إلـــى الســماء ، فشــعر بجسمه يزداد قوة وقلبه يـــزداد شــجاعة وزادت قوتــه قــوة خمسين رجـــلا .

وقبل أن ينتبه الحاضرون ، قـــام إيليــا وضــرب الأمــير بجمع يده ففارق الحياة فى الحـــال . ثــم التفــت إلــى بـــاقي الفرسان وأخذ يضربهم حتى تثلم سيفه ، فقصـــد إلــى رجــل ضخم منهم ، وأمسك قدميه ، وأخذ يضـــرب بــه الآخريــن . فــأخذ الرجـــال يتســاقطون كأنـــهم أوراق الشــجر وحيثمـــا نظرت لا تجد إلا جثثا ملقاة فى ميـــدان القتـــال .

وهم على هذا الحال وصل إيليا إلى المكـــان الــذي ســقط فيه نفيره فأخذه ونفـــخ فيـــه ، وبعــد قليــل جــاءه حصانـــه قواليلي مسرعا فأمسكه وركبـــه .

وكان عدد الأعداء قد نقـــص كثــيرا فـــى هـــذا الوقــت . فنظر إلى رفاقه فرآهم جالســين ينعمــون بالراحـــة . فأمســك سهما ووضعه فى القوس وصوبه علــــى كبــيرهم ، فأصابـــه السهم تماما . ووصل إلـــى صــدر مــن قصــده ولكنــها لــم تضره .

فلما رأى الرجل ذلك فأدرك أن إيليا في حاجة إليهم ، وفى الحال جمع كل المحاربين وأخبرهم فأعدوا خيولهم وذهبوا إليه عدوا . فلما وصلوا إليه لم ينتظر وهجموا على الأعداء بالضرب والطعن حتى أرهقوهم وطاردوهم. وقد حصل هؤلاء المقاتلون على الكثير من الغنائم عدا إيليا .

بعد أن انتهوا من القتال تماما ، جلسوا يستريحون ، وأخذ كل منهم يدعى البطولات والأعمال الخارقة ، حتى أصابهم الغرور ، وأخذوا يدعون القدرة على القتال حتى ولو كان فى السموات السبع . فهم واثقون من النصر . فلم يقل إيليا كلمة واحدة بالرغم من أنه يعلم أن هذا النصر لم يكن بقوتهم ولا خططهم ، ولكن بقوة من الله .

الله ملك الملوك ، قبل أن يغادروا المكان الذي جلسوا فيه رأوا الأعداء الذين قتلوهم والذين جرحوهم والذين ضربوهم يقومون فجأة . وبدلا من كل رجل مات قام ثلاثة رجال ، وقام هؤلاء الشجعان واستأنفوا القتال لأنه أدرك أن هذه الحرب ليست فى سبيل الله .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يريهم ، أن الغرور والتفاخر شيئا مذموما.

ومع ذلك فقد حــزن إيليــا عندمــا رأى رفاقــه يحــاربون وهو ينظر إليهم ولا يفعــــل شــيئا . ولكــن لعلمــه أن هــذه الحرب ليست على حق لــم يقــل شــيئا . ولــم يظــهر نيــة مساعدته لهم . واستمر القتال حتى قتــل كــل جنــود ولديمــا تماما .

وهنا ركب إيليا حصانه وقصــــد جبــلا مرتفعــا حيــث لا يستطيع أحد الوصول إليه . فوجــــد صخــرة كبــيرة فصعــد عليها وجلس وعانق ســـيفه ووقــف قواليلــي خلفــه ورفــع رأسه إلى السماء وأخذ يبكــــي بــالدمع الغزيــر كمــا يبكــي الإنسان . نظر إليــــه وازداد قلبــه حزنــا وغضبــا ، ولكنــه تذكر أن هذا شيء بسيط إلى جانب ما حدث لــــه مــن أمــور حتى الآن ولكنه عجز عن الصبر فــــى النهايــة فــانفجر فــى البكاء.

وبعد قليل هدأت نفس إيليا ، وتذكــر أنــه الآن رجــل قــد ملأ الشيب عارضيــــه ، وأن الله قــادر علــى كــل شـــيء ، فســأل الله أن يجعلــه هــو وحصانــه صخــرة ، فســمع الله دعاءه وفى الحال استجاب لــــه . لقــد شــاء الله أن يســتغرق فى تفكير عميق حتى ينسى ما هــــو فيــه . وقبــل أن يعــود إليه صوابه جعلهما الله صخرة . وهكذا انتهت حيـــاة إيليــا .

والآن إذا ذهبت إلى هذا المكان سترى الصخرة على هيئة إنسان يجلس وبجواره حصانه يقف خلفه . ومنذ أن فارق إيليا الحياة لم يركب حصانه أحد ولم يمسك سيفه ، وهذا هو السر فى مدحه لحصانه عندما كان على قيد الحياة . قائلا " قواليلي حصان إيليا لا أبيعك ولا أغيرك "

# الســـــاحـــــر

## Jiki Magayi

تأليف : تافيدا وساسا

## الصب تفضحه عيونه :

كان يعيش في مدينة جلما رجـــل ثــرى ، اســمه المعلــم شيخو ، كان يملك مالا وفـــيرا ، وثيابــا ، وبضـــائع ، وآلات حياكة ،وسيارات للركوب ، وعبيدا ، وقطعانــا مــن الأبقــار، وثلاث خيـــول جميلـــة المنظــر تنعــم بوقــت الفــراغ فــى الإصطبل ، وكان يذهب إلى الإصطبـــل عصــر كــل يــوم ، حيث يجلس فيأتي عبيده وأهل المدينـــــة الذيـــن ينــالون مــن عطاياه فيحيطون به ، يقضون وقتهم فــــى الســمر والحديــث الذي لا فائدة منـــه .

وقد ذاع صيته فى كل مكـــان بســـبب تجارتـــه الواســـعة ، فقد كان يبعث خدمه للتجارة فى كل مكـــان ، بعضــــهم يذهـــب بالمركب والبعض الآخر بالســـيارة وبعضـــهم يحمــل الســلع وثمار الكـــولا علـــى ظـــهور الحمـــير والثـــيران والإبـــل ، ويطوفون البـــلاد يبعـــون ، حتـــى كـــان يصعـــب عليـــه أن يعرف حدود ثروتـــه .

## لم ينجب:

مضى عشرون عامًا على زواجه ، ولكن لم ينجب أبدًا، تزوج كثيرًا ، لم يخل منزله يومًا من أربع زوجات ، أنفق كثيرًا من المال لدى العلماء والأطباء الذين يعالجون بالأعشاب والسحر ، حتى يحصل على علاج للعقم ، ومع ذلك لم تحدث لإحدى نسائه حالة ولادة أو إجهاض ، وكان كلما فكر في الخسارة التى يمكن أن تحل به لعدم وجود الابن ضاقت نفسه ، وضايق كل أهل منزله بما يحدث من شجار، وأحيانًا لا يراه أحد منذ الصباح حتى العصر ؛ حيث يعتكف في حجرته يدعو الله أن يقضي حاجاته ، وكان دعاؤه واحدًا لا يتغير وهو " يا إلهي ارحمني وهبني ولدا أيا كان " .

## يــرى منــاما :

وهو على هذا الحال رأى ذات يــوم منامــا ، رأى فرســة المعلم عبده سحبت لتباع فى السوق ، فــأعجب شــخص بــها أياما إعجاب فاشتراها ، فلما رآها أحبها هو أيضـــا كمــا لــم يحب شيئا من قبل ، فزاد من ثمنها فوافــق صاحبــها ، فدفــع له الثمن ، وأخذها إلى بيته وربطـــها ، فلــم يجــد متنفســا إلا الصبر ، ومكثت الفرســة فــى بيتــه حتــى ولــدت حصانــا صغيرا جميلا يعجب به كل من يراه ، فلما كــبر وبلــغ ســن الركوب ، طلب أن يوضع له الســرج ، وركبــه وخــرج بــه للنزهة إلا أن الحصان جمح وأوقعــه وفــر هاربــا ، وتركــه يتألم مما أصابـــه .

وهنا استيقظ من المنام ، وجسمه يرتعـــش ، وأخــذ يفكــر فى هذا الأمر فى نفسه حتى طلـــع النــهار ، وفــى الصبــاح الباكر بعث إلى أحد المنجمين ولمـــا جــاء طلــب أن يســمع القصة ، فأخذ المنجم يسوي الرمــل ويخــط فيــه ثــم يمحــو الخطوط وهكـــذا حتــى قــال " أرى مشــكلة زواج وولادة ، وأرى أحد منافســيك ولكــن إذا صــبرت ســتنتصر عليــه ، وأرى فى هذا الـــزواج مشــاكل ، إذا أقدمــت عليــه ســتندم

يوماً ما ، وإذا استمعت لمشـــورتي ، لـــن تنـــدم علـــى هـــذا الأمر ، فاتركه كما ترك النبي هـــذه الدنيـــا ، والبـــاقي يعلمـــه الله .

## يشـــك فى القـــول :

بعد أن قام المنجم جلس معلم شـــيخو يفكـــر طويـــلاً يفكـــر فى نفسه فى منامه وما قاله المنجم له ثـــم خطـــر علـــى بالـــه أن المعلم عبده لديه إبنة اسمها زينب فقـــال لابـــد أنـــها هـــى التى رأيتها فى المنام ، فإذا كان الأمـــــر كذلـــك إذا تزوجتـــها ستقضي حاجتى ، ثم تذكر بقيـــة المنـــام ، ونصيحـــة المنجـــم له ، ولكن لشدة رغبته فى الأبن لـــم يعـــر كـــل هـــذا الأمـــر اهتماما إذا قضيت حاجته ، وقال ربما كـــلام هـــذا المشـــعوذ غير حقيقي ، لا يعلم الغيـــب إلا الله ، وبذلـــك هـــدأت نفســـه وكف عن التفكـــير .

وهنا أمر باستدعاء المعلم عبده ، فلمـــا جـــاء انتحـــى بـــه جانباً وقال له " ما جعلنى أستدعيك ، أننـــي أرى حاجـــة لـــى عندك أريد قضاءها ، ولا أعـــرف ، ربمـــا تقضـــى . " ثـــم قال له .

## البنـــت ومـــن تحـــب :

فقال له المعلم عبده " هـــذا الأمـــر صعـــب ، لأن زينـــب منذ نعومة أظفارها تحب ولداً اسمه أبو بكـــر ، تربيـــا معـــا ، وهو يحبها حتى علـــم كـــل إنســـان أنـــه ســـيتزوجها ، لقـــد خطبها أناس وشباب كثيرون ، ولكنها أبـــت إلا هـــو ، وأبـــو بكر أيضاً لا يحب أحداً في هـــذه الحيـــاة إلا هـــي ، ولعلـــك تعرف أن الشـــباب متـــهور جـــداً إذا لـــم يـــتزوج زينـــب لا يعرف أحد ما سيفعل ، وأنا نفسي أيضـــاً لـــن أرتـــاح ، قـــال المعلم شيخو " إذا سمحت لي أن أبعث مـــن يناديـــها لأتحـــدث معها سأخبرك بكل ما ســـتفعل "

قال المعلم عبده " هذا ليس مشـــكلتي ، أنـــها ترجـــع لمـــن تريد ، لأنني اعتقد لو بعثت إليها لـــن تـــأتي ، وبـــالأحرى ألا تتحدث معك ، وليس لدى ما أقوله أكثر مـــن ذلـــك فـــى هـــذا الأمر "

عندما عاد إلى البيت حدث أم الفتاة عمـــا دار بينـــه وبيـــن المعلم شيخو بشأن زينب ، قـــالت الأم " ويحـــك يـــا ســـيدي ، كيف يتم هذا الأمر ، إذا فعلنا ذلك يظن النـــاس أننـــا أغبيـــاء، إياك والتفكير فيـــه " .

## أمـــر باستدعائـــها :

عندما حان العصر أمر التـــاجر باســـتدعاء زينـــب ، فلمـــا قيل لها أن المعلم شيخو يطلبها قالت عودوا إليـــه وقولـــوا لـــه لن تأتي ، ثم بعث إليها مرة أخرى ليحدثها فـــــى أمـــر واحـــد فقط ، وهو مشكلة الـــزواج .

فبعثت إليه مرة أخرى مـــــن يقـــول لـــه أنـــه ســـبق لـــها الزواج، ولا تنوى أن تغيره بآخر ، وعندمـــــا عـــاد الرســـول وأخبره بذلك تألم في نفســـــه وغضـــب وقـــال " عجبـــاً هـــل توجد امرأة فى هذا الكون أبعث إليـــها مـــن يســـتدعيها ، ثـــم ترفض وتقول أنها لن تـــأتي ؟ "

فقال له خادمه الذي بعـــث بـــه " ويحـــك يـــا ســـيدي ، إن مثلك لو أراد ألف امرأة من أيـــة مدينـــة جئنـــك مســـرعات ، ثم تعذب نفسك بسبب مثل هذه الفتاة مهما كـــــان حظـــها مـــن الجمال لا ينبغي لمثلك أن يركع تحـــت قدميـــها "

## قلب فتاهـــا يغضـــب :

وهم على هذا الحـــال ، ذهـــب فجـــأة أحـــد خـــدم المعلـــم شيخو إلى أبي بكر وقال لـــه ، أن المعلـــم شـــيخو اســـتدعى والد الفتاة التى يريد أن يتزوجـــها ، كمـــا بعـــث لاســـتدعائها ولكنها رفضت الحضور ، وفـــي الحـــال غضـــب أبـــو بكـــر عند سماع هذا الكلام ، وأخذ ينظـــر قـــدوم المغـــرب بفـــارغ الصبر حتى يذهب للقاء زينـــب .

وعندما أقبل المغرب ذهب إلى منزلـــهم ، وبعـــث أخاهـــا الصغير ليخبرها ، فخرجت وذهبا إلى المكـــان الـــذي اعتـــاد الذهاب إليه ليتحدثا ، وأخذا يتحدثان في شـــئون الحيـــاة ، ثـــم قال لها أبو بكر " زوجة الســـعداء "

قالت " ما هذا الكـــلام الـــذي تقولـــه اليـــوم ؟ إننـــي أراك اليوم لا تسمع إلا الهراء ؟ قال " مـــا جعلنـــي أقـــول ذلـــك ، أننى سمعت أن المعلم شيخو أكبر أثرياء مدينتنـــا بعـــث إليـــك لتذهبي إليـــه "

قالت " الذي أعطاك هذا الخبر ، لم يقـــل لـــك الـــرد الـــذي بعثت به إليـــه ؟ "

## النســاء أمرهــم صعــب :

قال لي " ولكن مع ذلك غضبت جــداً ، لأننــي أعــرف أن أمركــن صعــب ، أنــهم يقولــون أن الحصــان ، والنــهر ، والمرأة ، لا يؤمن غدرهـــم "

" حتى أنا أيضاً ، ألا ترضى عنـــى ؟ "

" نعم ، إن النساء خالهن واحـــد "

" إذا قدم لي الدليل على ذلـــك "

قال " مـــا جعلنـــي أقــول لــك ، أن الحصــان إذا كنــت تحبينه، ولم تحملينه أيـــة مشــاق ، مــع كــل ذلــك لابــد أن يركلك يوماً ما برجليه ، والنهر كذلـــك تعبرينــه الآن، ولكــن عندما تهمين بالعودة تجدينه قد امتلأ بالمــاء ويصبــح عبــوره محالا ، والمرأة كذلك يقال أن وعدهـــا لا يــدوم أكــثر مــن أربعين يوماً ، فإذا مضــت الفــترة ، ووجــدت مــن تحبــه ، مهما كان الحب الذي يكنه لـــها الحبيــب الأول تغــدر بــه ، المعلم شيخو رجل ثري ، إن لم تجـــدي فيــه شــيئا يحــب ، فستحبينه لمالــه . "

فتبسمت وقالت " ويحك يا أبو بكـــر ، لـــو كنـــت سأســير على ماله منـــذ الآن حتـــى غـروب الشــمس لــن يغريــي بالزواج منــه "

قال " إذا رأيت الكلب يشمشم فـــي الحــذاء فــاعلمي أنــه سيخطفه ، ولكن أنت حرة فيمـــا تفعليــن " وأســتاذنا وعــادا إلى منزلهما ، فنام وهو مشـــغول البـــال .

ولما علم الثري بما دار بينـــها وبيــن أبــي بكــر قــال " لأرى هذا الغلام أن كل من ينازلني لابـــد أن يخـــر صريعــا " ثم أمر باستدعاء رجل يسمى المعلم ســـمبو ، الـــذي يخشــاه كل إنسان فى المدينة حتى الأمير نفســـه ، فلمـــا أقبــل عليــه وعده بالمال الكثير ، وأخبره بما بينـــه وبيـــن غريمـــه أبـــي بكر من منافســـة .

## قلـب الفتـاة يتحـول :

قال المعلم سمبو " هذا أمر يسير ، إذ كنت أعمل المستحيل فما بالك بهذا الأمر اليسير إذا كنت تريد الحكم على هذا الغلام بالموت ، أسأل الله أن يقدرنا على هذه المساعدة "

قال المعلم شيخو " لا أريد الموت ، كل ما أريده منك أن تحول قلب هذه الفتاة وقلب والديها عنه "

قال المعلم سمبو " وهو كذلك ، عندما أعود الآن إلى المنزل ابعث لي بخادمك ، سأقدم لك مساعدة ، إذا أقبل المغرب ، أفعل ما سأبعث لك به ، وإذا لم تأت لك أحلق لي لحيتي ، وسأبعث لك بالدواء السحري أخلطه مع المسك وقدمه إليها إذا أخذته ومسحت منه أسفل أنفها ، سينتهي الأمر ، سيحبك حتى والديها ، وغدا رفضوا ستتزوجها " فرح المعلم شيخو وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليه .

## يخلـط الـدواء السحـري :

عندما أقبل المســاء بعـث بمـن أحضـر لـه دواءيـن ، أحدهما خلطة بالمسك والآخر تعطـر بـه ، ثـم بعـث بمـن يستدعى له زينب ، عندما ذهـب الخـادم وجدهـم يتحدثـون مع أبي بكر فاستأذن ، فرد أبو بكر قائلا " مـاذا تطلـب ؟ "

قال الخادم " المعلم شيخو بعثني لزينب يريـد أن يراهـا"

قال أبو بكر " عد ، وقل له لن تـأتي "

عندما عاد الخادم ، هبت قائمة واندفعـت مسـرعة تناديـه أمام أبي بكر ، وطلبت منـه أن يخـبر سـيده أنـها قادمـة ، ولكن على شريطة ألا يثار الأمر الذي بعـث مـن أجلـه أول الأمر .

وهنا قال لها أبو بكر " ها هو ألم أقل لـك بـالأمس ! "

قالت له " ويحك ، يا أبا بكر ، ليس فـى الأمـر شـيء ، رؤية الطعام لا تغني عن أكله ، وذهـابي إليـه ليـس معنـاه الزواج ، وأقسم لك بحق حياتي أن لا أتزوج أحـداً فـى هـذه الحياة إلا أنت ، أى قولى له أننـى قادمـة لا دخـل السـرور

على قلبه فقط ، حتى لا يقول إنني أحرجتـــــه مرتيــن ، إنــك تعرف خلق الرجـــال إذا لـــم تبـــدي لـــهم الاحـــترام يعــانون كثـيرا. "

قال " وهو كذلك ، أنـــت حـــرة فيمـــا تفعليـــن " فأســتأذن وودعتـه .

## يلتقيـــان فـــى الطابـــق الثالـــث :

عندما عـــــادت إلـــى المـــنزل ، اغتســلت ، واســـتعدت ، وقالت أنها ذاهبة إلـــــى أبـــي بكـــر ، وســـتعود الآن ، وبعـــد خروجها لم تقف فى أى مكـــــان إلا مـــنزل المعلـــم شـــيخو ، وجدت مدخل المـــــنزل مملـــوءً بالســـمار ، فتجاوزتـــــهم إلـــى الداخل وانتظرته بالطابق الثالث ، وبعد قليـــــل ارتـــدى المعلـــم شيخو حذاءه ودخــــل المـــنزل فـــامتلأ كـــل المكـــان برائحـــة العطر ، ولما أحست به قادما ، غطـــــت رأســـها .

وعند دخوله قال : " زينب ، جئتي ؟ لمــــــاذا بعثـــت إليـــك من يســـــتدعيك مرتيـــن فرفضتـــي الحضـــور ، هـــل ســـآكل لحمك؟

قالت " لم أجد فرصــــة "

تبادلا التحية ثم قال لــــها " مـــا جعلنـــي اســـتدعيك ، هـــو سماعي لاختيارك وأنك تحبين شخصا ، ولكــــن ســـمعت أنـــك لم تخطبي له ، وحتى إذا خطبتـــي لـــه ، فـــإنني أريـــدك ، إلا أننى أرى ما يمنعنـــــي . "

" ماذا يمنعك ، ألست رجلا ؟ هل الرجـــل يرفــض رجـــلاً مثلـك ؟ "

" حسناً أننى أريدك زوجة لـــــى "

" أنا أيضاً أحبك ، ولكن ليس من أجــــل الــزواج "

" لماذا ليس من أجل الــــزواج "

## حتـــى الآن أحبـــه :

" لأنه منذ طفولتى لــــم أحــب أحـــداً مثـــل أبـــي بكـــر ، ومازلت أحبه حتى الآن ، لم يطلبني أحـــد فـــى هـــذه المدينـــة كلها ، لأن كل منهم لم يجد الفرصــــــة لذلـــك فعـــزف عنـــي، ودعني أقول لك بالحقيقة ، إننـــــي أعــرف أنـــك ثـــري ، وأن أبا بكر رجل فقـــير فـــإذا تزوجتـــك لـــن أشـــعر بـــالجوع أو الظمأ، يبقى أمر واحد ، سمعت أنـــك رجـــل مـــتردد ، يومـــا ما سترى من تفوقنى جمـــالا ، فتقـــول إنـــك تحبـــها ، فـــأنت رجل مزواج ، كل من تتزوجـــها ، إذا قضيـــت معـــها عـــدة سنوات ورأيت أنها لم تنجب تطلقها مـــــع المعاملـــة السـيئة ، وهل لديك أربعة زوجات ، لا يوجد فيهن مـــن تكـبرنى سـنا ولن أستطيع أن أكون ضرة لهن ، وأنت تعلـــم أنـــه لا يمكـــن أن تتزوج عليهن الخامســـة ولا تـــتزوجنى "

قال لها " ليس هـــذا مشـكلة ، طالمـــا أننـــى قلـــت أننـــى أريدك زوجة لى ، إذا كنت تحبيننى قولى وأنـــا أعـــرف مـــا أفعله ، ألا يوجد طـــلاق ؟ "

قالت " ويحك طالما أنـــك ســتطلق إحداهــن لتــتزوجني ، فإنك ستطلقنى يوما ما إذا رأيت من تفوقنـــي جمـــالا "

ليس الأمر كذلك يا زينب ، أريـــد منـــك أمـــرا واحــدا إذا قلت أنك تحبينني ، فسأعرف كيـــف أتصـــرف "

" ليس لدى فرصـــة "

" سأمهلك سبعة أيام ، كل ما تفكرين فيـــه ، عـــودى إلـــى وخبريني به لأعرف ما فى الأمـــر "

" أى مشورة " إنه رأيـــي "

" لا استشـــيري "

وأستأذنت ، وهمت بالخروج فقال لـــها انتظـــرى ، ودخـــل إلى المنزل ، وأحضر مالا ، وبعـــض ثمـــار الكـــولا وقدمـــه إليها .

قالت " لا ، والله لن أخذ شيئا منـــك ، وإذا أخـــذت شـــيئا ، وعلموا فى المنزل سيضربونني ، وكـــل مـــن يســـمع أننـــى أخذت شيئا من يدك ، سيتأكد أننـــى غـــيرت رأيـــي ، كشـــأن النســـاء "

قال " خــذى ، أنــت تعرفيــن ، أنــه لــولا هــذا الأمــر لأعطيتك أكثر من هــذا "

## أعــرف ذلـــك :

قالت " أعرف ذلك ، ولكن لولا أننــــى معــك اليــوم ، مــا أعطيتني شــيئا "

حاول معها كثـــيرا ولكنـــها رفضــت ، وهبــت قائمـــة ، فأمسك بثوبها ، وقال " إذا لم تـــأخذي هــذا ، هــاك شـــيء صغير خذيه لأنه لا يجب أن تأتي لتحيتــي وتخرجــي صفــر اليدين ، أى أنك لـــم تقدرينـــي " ووضـــع يــده فـــي جعبتــه وأخرج الرائحة التى خلطت بالدواء الســـحرى وقدمــه إليــها فأخذته بعد تردد وخرجـــت .

ولما وصلت إلى المـــنزل أخــذت العطــر وقدمتــه إلـــى والدتها ، وقالت " ها هو الشيء الذى قدمه إلـــى أبــو بكــر ، خذيه واحفظيه لي ، وقبل أن تسلمه لها أخـــذت جــزءً علـــى طرف أصبعها ومسحته على وجهـــها .

وفى الصباح بعث المعلم شيخو من يســـتدعي لـــه المعلــم سمبو ، فأخبره بما حدث بينه وبيـــن زينـــب ، فقـــال المعلــم سمبو " طالما أنـــك قدمــت إليــها هــذا العطــر ، لا تطلــب مقابلتها مرة أخرى ، هم بأنفســـهم ســيطلبونك "

شكره المعلم شيخو ، وقدم له بعض المال مـــرة أخــرى.

## الشــاب يغضــب :

ذهب أبو بكر إلى مــــنزل زينــب بنفســه ، واســتدعاها ، وسألها " أحقًا ذهبت إلـــى المعلــم شــيخو بــالأمس بعــد أن افترقنــا ؟ "

قالت " نعــم "

قال " علمت الآن أن ما بيننـــا خــداع ، اريــد أن تقولـــى صراحة إذا لم تحبيننـــي "

قالت " أنك تعرف أن الفتاة كالســـلعة ، كــل مــن يراهــا يطلبها ، وكل يساوم أما المشـــترى ، فـــهو شــخص واحــد ، طالما أننى لم أخطب لأحد فأنت خطيبيـــي " ثــم قــام غاضبــاً وذهب إلى شـــأنه .

ولما عاد إلى المنزل أخبر أمـــه بمـــا حــدث بينـــه وبيـــن زينب ، فقالت أمه " أنني أعلم قبــل ذلــك أنــك لــن تـــتزوج زينب ، لأن كثيراً من الأثرياء يتقدمــــون لـــها ، وليــس كــل شيء في هذه الحياة يتــــم لوجــه الله ولكــن لوجــه المـــال ، فاصبر واطلب من تناســـبك . "

## لابـــد أن أثـــأر :

قال لـها " يا أمي ، إذا كنت ابن حـــلال فيجـب أن أثـــأر ، وسأطوف الدنيا وعلى كــل حـــال ســيعينني الله ، ولكــن لا تقلقي ، فها عبده وأخى الأصغر وجدنا يكفونــك فــي شــئون الحياة ، وسأعود إليك فى يوم ما طالما أن فى العمـــر بقيــة.

فلما سمعت هـــذا الكـلام حزنــت جـداً ، ولـم تسـعفها الكلمات ، لأنها تعلم أن أبــا بكــر إذا غضــب فــلا يســتطيع أحد أن يخفف من حدة غضبــه .

وفى المغرب ذهب إلى والد زينب وقال لـــه " مـــا جعلنـــي آتيك ، أننى علمت أن رغبـــت الـــزواج التـــى بينـــي وبيـــن ابنتك قد انتهت ، هل علمت ذلك ؟ أنني أعلـــم أن الـــثروة قـــد ملأت عينها ، حتى نسيت الوعد الذي قطعتـــه لـــي ، وأريـــد أن تستدعيها أمامك لقول لها كلمـــة "

قال له " أين سمعت هـــذا الكـــلام الفـــارغ ؟ هــل رجــل عجوز مثلي يناقض نفسه ، طالمـــا أننـــي والـــد زينـــب لـــن تتزوج أحداً غـــيرك . "

قال له أبو بكـــر " لا ، لا تظــن أننـــي جئــت أناقشــك ، زوجها لمن تقل أنها تريده ، إن الفتيــــات كثـــيرات "

استدعاها المعلم عبده وأغلظ لها فـــى القــول ، وقـــال لـــها لن تخرجي مستقبلاً من المـــنزل مــرة أخـــرى ، إلا يـــوم أن تزف إلى منزل أبى بكر ، فقـــالت أنـــهم لـــو أوثقـــوا قدميـــها بالقيود فستكسرها ولن تتزوجه ، وخيراً لـــــها أن تـــهيم علـــى وجهها من أن تتزوجـــه .

قام الأب غاضبـــاً وضربـــها ، وداســـها بقدميـــه وقيدهـــا وقال لأبي بكر " عد إلى مـــنزلك ، هـــدأ الله مـــن روعـــك ، أني أعرف كيف أعاملـــها "

قال أبو بكر " لا عليك يا أبي ، حتـــى نلتقـــي "

هل تريد أن تقتلـــها ؟!

لما سمعت أم زينب صـــراخ ابنتـــها عندمـــا كـــان أبوهـــا يضربها طلت وقالت " مـــاذا حـــدث لكـــل هـــذا ؟ أتريـــد أن تقتلها ؟

قال لها المعلم عبده " بخصـــوص مشـــكلة زواجـــها بـــأبي بكر ، أنت لا ترضين أن أقول لـــــه ســـأزوجك زينـــب ، ثـــم

تأتى الآن وتقول أن رجلاً اسمه المعلم شيخو تريد أن تتزوجه ، وإذا وافقت على كلامها سأشعر بالخجل بين الناس ، ولن يحترمني أي إنسان مستقبلاً ، وسيسخر الكل مني ، ويقولون أنني زوجته ابنتي حباً لماله . "

وهنا قالت الأم " أنت تعلم أمور الحياة لا تؤخذ عنوة ، ولكن بالاقناع والتفاهم ، وما أريده منك أن تصبر وتلاطفها ، ربما تعود إلى صوابها ، ولكن إذا قلت الآن سترغمها ، أنت تعرف أخلاق أبناء هذا الزمان ، ربما يكون السبب فى عدم السيطرة عليها تماماً " حينئذ قام وفك قيودها .

وما كاد المساء يقبل حتى توجهت إلى منزل المعلم شيخو ، وقالت له " طالما أنا أبا بكر قد غضب وثار هكذا، أريد أن تتقدم وتطلب الزواج مني "

وعندما طلع النهار بعث المعلم شيخو إلى المعلم عبده أنه يريد أن يتحدث معه فى أمر الزواج ، فبعث إليه المعلم عبده ، بأنه لن يزوجه حتى لو طلب القاضي منه ذلك ، واستمر الأمر بين أخذ ورد حينئذ اجتمع الأخوة واقنعوا المعلم عبده ، فرد عليهم مكرهاً ، بأنه لا يريده من أجل ماله مطلقاً ، وأعلن المعلم شيخو قيمة الهدايا

التى قدمها غريمة للفتاة ، ويوم تحديد حفل الزواج ، أخذ كل أهل المدينة يلومون المعلم شيخو لعدم وفائه .

وفي يوم الزواج طلق إحدى نسائه ، وفى المساء زفت إليه العروس ، وفى اليوم التالى أقيم حفل عظيم لم يقم بمثله أمير جلما ، وحضر إليه أصدقاؤه من كل مكان ، ولم يترك شيئاً يعمل أو يحكى عنه إلا وعمله .

" تبارك الله لقد كان حفل رجل ثري فعلاً " لقد بلغ الإسراف مداه ، واستمر اللهو واللعب لمدة ثلاثة أيام ، ثم أقيمت ليلة الحناء ، وأحضر طعام العرس وبعدها تفرق الناس .

## الشــاب يهيــم علــى وجهــه :

غادر أبو بكر موطنه ، ولم يعــرف إلــى أيــن المســير ، وأخذ يتجول حتى وصل إلى مدينة تســمى " عــش مســتعداً " وهذه المدينة يقصدها كل مــن ارتكــب جريمــة الســرقة أو أمراً محرماً ، هرباً من مدينتهم ، حيث أنشأوا لــهم حبــاً فــى المدينة ، يفعلون فيه ما يريدون ، وليــس فــي هــذه المدينــة إلا المشعوذين واللصوص ، وأدعيــاء الطــب والمومســات ، وصل أبو بكر إلى هــذه المدينــة ، فــأخذ يســمع أصــوات الآلات الموسيقية. والأغاني ترتفع فى كــل مكــان ، فجلــس تحت شجرة يستريح من شدة التعب ، حتى غلبــه النــوم .

جاء رجل ورآه مستغرقاً فى نومه ، فأيقظــه وقــال لــه " أيها الشاب من أين جئــت ؟ "

فاستيقظ من النوم ، وتبادلا التحيــة ، وســأله هــل يوجــد فى هذه المدينة ساحر مشــهور .

قال له الرجل " ألم تسمع اسم هــذه المدينــة ؟ "

قال " ســمعت "

قال هل رأيت عالماً طيب يعيش في هـــذه المدينـــة ؟ نحـــن هنا لا شأن لنا بالعلماء لا نعرف إلا الســــحرة والمشــعوذين.

قال " حسناً دلنى على أكبر ســــحرتكم "

## سأكشف لك سرى :

ذهب به إلى منزل رجل يسمى " رحمتكم مسهلة " عندما وصلا إلى المنزل لم يجداه فقد خرج ليقض شئونه كالعادة منذ ثلاثة أيام ، ولكنهم علموا أنه سيعود في المساء ، فجلس ينتظره ، ولم يعد إلا بعد أن انتصف الليل، وعندما دخل منزله دخل أحد لخدم عليه وأخبره أن ضيفاً ينتظره منذ الضحى ، فخرج وبعث من يستدعى أبا بكرليجلس معه على انفراد فلما رآه أخذ جسده يرتعش لشدة جماله فتبادلا التحية ، وسأله عما أتى به إلى هذه المدينة ، فقال أبو بكر " أن مشكلتى كبيرة ، إن أحيانا الله إلى الغد اكشف لك سري "

وعندما طلع النهار ذهب أبو بكر إلى منزل الساحر وبعد أن تبادلا التحية، قال أبو بكر " ما جاء بي إليك هو الهم الشديد ، الذي أصابتني به فتاة كنت أحبها ، وكانت تحبني حباً جماً ، منذ الطفولة حتى سن الشباب وكنت على وشك خطبتها والزواج بها ، بينما كنت أستعد لأبعث أمى لخطبتها ، فإذا بأحد أثرياء مدينتنا يسمى المعلم شيخو يسمع عنها ، ففرق بيننا طمعاً فقط ، بالرغم من أنه

متزوج من أربع زوجات ، مثـــل هــذا الرجـل لا يجـب أن يظل معي في هذه الحياة ، ولا ينبغــــي لـــي أن أعيــش فــى المدينة لأسمع أنه تزوجها ، لذلـــك عجــزت عــن فعــل مــا أشفى به غليلي ، وهمت على وجهي فى هــذه الدنيــا ، انتقــل من مكان إلى آخر، حتـــى انتــهى بــي المطــاف إلــى هـذه المدينة ، وبينما كنت أسأل الناس ، قيـــل لـــي أنـــه لا يوجـد فى هذه المدينة من يفوقك علمـــاً فـــي فــن الســحر ، لذلــك جئت إليك ، فــإذا وافقــت علــى مســاعدتي لأثــأر منــهم ، هدأت نفســي " .

قال الساحر " الحمد لله لقد جئـــت لمــن يســتطيع تخفيــف آلامك، لقد علمت بأمرك قبـــل أن تخــبرني فعندمـــا افترقنـــا أمس جائتني الساحرة الكبرى وبينت لي كـــل الاســباب التـــى جاءت بك ، ولكن ليس الأمر كما تظن فليســـت الرغبـــة فقــط هي التي دفعت الثري إلى هـــذا الأمـــر ، الســبب أنـــه يريــد أبناً، وقيل له أنه إذا تزوج من هذه الفتاة ســـيرزق بـــالولد ."

حينئذ قال أبو بكر " أحقا هكــــذا ؟ "

قال " إنه سيرزق لأن هـــذا الأمـــر ليــس بيــد الإنســـان ، ولكن بقــدرة الله "

ثم سكت أبو بكر واستغرق في تفكير عميق، وبعد فترة قال " حسناً طالما أن الرغبة في الولد هي التي جعلته يفعل هذا الأمر ، شيء واحد فقط هو الذي سيريح نفسي، هو أن البركة التي يرجوها من هذا الولد تنقلب لعنة له. "

## سيتم ولكن بمشقة :

ثم سكت الساحر وبعد فترة قال " هذا الأمر سيتم ولكن بمشقة ، هل تقبل إذا فعلته لك تتحمل كل آثامه ؟ "

قال أبو بكر " فكل ما يريده الله أن يفعله بي بسبب هذا الأمر فليفعله ، المهم أن تقضى حاجتى "

واستطرد قائلا " ماذا سأدفع إذا فعلت لي هذا الأمر ؟ "

ضحك الساحر وقال " لن آخذ شيئا منك ، لأن كل ما ستفعله بنفسك ، هل تستطيع أن تصبر وأن تحضر لي ما سأطلبه منك ؟

قال " بقدرة الله سأستطيع "

قال الساحر " أريد أن تأتيني بصمغ شجرة الكلجو . "

قال " أين سأجده ؟ لم أر أبداً من حصل عليه "

قال الساحر " ليس في هذه المدينة ، ولكنـــــي ســأقول لــك أين تجده إذا ذهبت، أنت تعرف أننـــــي لــم أولــد فــى هــذه المدينة ، أنا من أهل يــالى ، وتركــت موطنــي منــذ كنــت صبياً بسبب رغبتـــي فــى الوصــول إلـــى ســر الســحر ، وسمعت أن أبي مازال على قيد الحياة هنـــاك ، وهــو يتمنـــى دائماً رؤيتي ، لأنى أكبر أبنائه ، وســأبعث غليــه وســيخبرك أين ستجده ، إني أتذكر أنه كان يحكي لنا عـــن أخبــاره وأنــا طفل "

قال أبو بكر " وكيف يحدث ذلك ، ربما لـــو ذهبــت إليــه لن يصدق أنني جئت من عندك لأنك قلت أنـــك فارقتــه منــذ سنوات طويلـــة "

## يقــدم للشـــاب تميمـــة :

وضع الساحر يده فـــي جعبتـــه وأخـــرج تميمـــة وقـــال " قدمها إليه ، فسيعرف عند رؤيتها ، ومتى التقيـــت بـــه بلغـــه كل أخبارى ، وتحيتي وعرفه أننـــي مـــازالت حيـــاً ، وأنـــى أريده أن يغفر لي كل ما فعلته في حقه مـــن آثـــام .

وإذا عفى عني فليبعث إلى عندمـــا تعـــود ، لأعـــود إلـــى موطنى ، وإذا نلت مـــا طلبتـــه منـــك ، فســـتدفع ثمـــن هـــذه المساعدة التى قدمتها إليـــك "

## لـم يعـرفـه :

عندما طلع النهار سلك أبو بكـر الطريـق وتـابع السـير يبيت يوماً في هذه المدينة ويوماً فـى أخـرى ، وفـى مكـان يجد الطعام ، وفى مكان آخـر لـم يجـد بـدا مـن التسـول فيحصل على قوته بصعوبـة ، وهكـذا حتـى وصـل إلـى المدينة التى بعث إليها بعد شـهرين .

وصل إلى مدينة يالى عنـد الظـهر فظـل يتجـول فـى طرقاتها يسأل عن بيت والد الساحر ، ذهب إلـى كـل مكـان فلم يسمع إلا قولهم " لم نسمع أبـداً عـن هـذا الاسـم ، ولـم نعرف والده " ولما أعياه السؤال جلس تحـت شـجرة ، وبعـد قليل إذا برجل عجوز يعبر الطريق ، فقـام وقابلـه ، وركـع تحية له ، وقال لدى سؤال ، إنني غريب مـن بلـدة تسـمى " عش مستعداً " هاجر إليها سـاحر كبـير منـذ كـان صغـيراً وهو الآن من الأثرياء ، بعثني إلـى والـده ، ومـن غبـائي نسيت أن أسأله عن اسم والده قبل أن أغـادر المدينـة ، كمـا نسى أن يخبرني باسمه أرجو مـن الله أن تعرفـه ؟ "

وقف العجوز صامتاً ، ثم طأطأ رأسه ، ومكث مدة لم يتكلم فقال أبو بكر " ماذا أصابك ؟ هل مجرد السؤال جعلك تحزن كل هذه الحزن ؟ "

قال العجوز " نعم ، هذا الكلام الذى قلته ، ذكرنى بما أطويه في قلبي "

قال أبو بكر " سلامتك يا والدى ، لو أعلم أن هذا الكلام سيحزنك إلى هذا الحد ما سألتك "

قال العجوز " لا شيء ، الله هو مالك كل شيء "

فلما رأى أبو بكر أن نفس العجوز لم تهدأ قال " يا والدى ، بالله ، قل لي ما أحزنك "

قال العجوز " اسمع يا بني ، إن لي ابناً كما تقول هاجر منذ سنوات ، ولكنه مات ، وهذا ما أفكر فيه دائماً، عندما تحدثت إلى أثرت ذكرياتي . "

قال أبو بكر " كيف تأكدت أنه مات ؟ "

قال العجوز " خرج من المدينة ، منذ هذه السنوات ، لم أر من رآه ، واسمع شيئاً من أخباره ، وهذا ما يؤكد لي وفاته . "

قال أبو بكر " ما هو شكل ابنـــك "

أخذ العجوز يصفه ، قائلاً ولكن هذا الوصـــف منـذ كـان صغيراً لا يعرفه أحـــد الآن . "

حينئذ قال أبو بكر " لا تحزن فربمــــا بعثنــى الله لتعــرف أخبار إبنك ، قال العجوز " ليس هـــذا محتمــلا لقـد مضـت أعوام طويلة ، وماذا سيؤكد لي أنه مــــازال حيـاً ؟ "

## يخـــرج بالتميمـــة :

وهنا وضع أبو بكر يـــده فـــي جيبـــه ، وأخـــرج التميمـــة وقال " انظر إلى هذا الشيء هل رأيتـــه أو تعرفـــه ؟ "

أخذه العجوز ونظر إليه جيداً ، وقال " مـــن أيـــن حصلـــت على هـــذا ؟ "

قال " إن الرجل الذي أخبرتك عنـــه هـــو الـــذي أعطانيـــها لأوصلها لأبيه كدليـــل"

قال العجوز " الله اكبر ، فعـــال لمـــا يريـــد ، ولا يعجـــزه شيء ، لاشك أن زكريا مازال حياً وهنا قـــال " تعـــال معـــي إلى بيتي ، لقد اشتقت لسماع أخبـــاره "

ذهبا إلى المنزل ، وأنزله فيه ، وقدم إليـــه الطعـــام فـــأكل، وارتاح ثم قص له كل أخبار ابنـــه .

قال العجوز " بإذن الله ســـوف أبعـــث إليـــه ليعـــود إلـــى وطنـــه . "

ثم استمر قائلا " وأنت كيف التقيت به ، حتى يبعثك لتقطع هذه المسافة الطويلة ، وتتحمل هذه المشقات دون علم بالمكان الذي تقصده ؟ "

## صمـــغ شجـــر الكلحـــو :

قال أبو بكر " سبب لقائي بـــابنك أمـــر محـــزن أصـــابني فى مدينتنا لم استطع تحمله ، فتركتها غاضبـــاً ، ابحـــث عـــن الثأر لما أصابني ، وأثنـــاء طوافـــى فـــى الأرض ، شـــاء الله أن أصل إلى المدينةِ التى يعيش فيها ، وقيل لـــــي أنـــه وحـــده الذي يستطيع تخفيف عني هذه الآلام ، وعندمـــا ذهبـــت إليـــه وقلت له، قال أنه سيلبى طلبي على أن آتيـــه بصمـــغ شـــجرة الكلجو ، فلما قال لي ذلك ، قلـــت ، لا أعـــرف أيـــن أجـــده ، وهذا هو السبب الذي جئت إليك من أجله ، قـــال أنـــه عندمـــا كان صغيراً ، كان يســـمعك تقـــص عليـــه أخبـــاره والمكـــان الذي يوجد فيـــه "

## إلا مـــا شـــاء الله :

قال العجوز " ما هو الأمر الذي أصـــابك بـــالضرر البلـــغ الذي جعلك تضحي بروحك ؟ لتحصـــــل علـــى هـــذا الشـــيء الذي لا يحصل عليه إلا من شـــــاء الله."

قال " طلبت الزواج من فتاة فـــى مدينتنـــا ، فســلبها منـــي أحد الأثرياء بلا حياء، وكان فى اعتقـــادى أن الرغبـــة فقـــط وحب المال ، ولكن عندمـــا ذهبـــت إلـــى أبنـــك وأخبرتـــه ، اخرجني من جهلي ، وقال أنه قيل للـــثري أنـــك إذا تزوجتـــها بلغت المراد ، الذي هو أغلى شيء فى الحيـــاة فـــى نظـــره ، لأنه لم يـــرزق ابنـــاً ، لذلـــك ذهبـــت إلـــى ابنـــك ، أطلـــب مساعدته ، بأن يعيد هذا الابن الذي يرجـــو البركـــة بوجـــوده ينقلب أفسد خلق الله على الأرض ، حتى يكـــون لـــه مصـــدر كل مصيبة ، ويفضل المـــوت علـــى هـــذا الابـــن المنتظـــر ، فقال سيعمل ما تريد ، بعد أن آتيه بصمغ شـــجرة الكلجـــو "

قال العجوز " أيـــها الشـــاب ، الأفضـــل لـــك أن تصـــبر، وتتركه لله ينتقم له ، لأن هـــذا المطلـــب الـــذي تنشـــده ليـــس أمراً طيباً ، لا ينبغي أن تواجه الشـــر بفعـــل الشـــر ، دع الله يحكم بينكـــم "

وأخذ العجوز يهدأ من روعه ، فلما عجز عن إقناعه ، قال " هذا الأمر الذي حدثتني عنه لا أحب أن أفعله ، ولكن طالما أنني حصلت منك على أخبار ابني ، فإنني لن أرفض مساعدتك ، بالرغم من أن ما تحتاجه أمراً سيئاً ، وعليك أن تعرف أن أمامك مشاق كثيرة ، وأنك تقطع حتى الآن نصف رحلتك ، فستبتعد عن الأماكن المأهولة بالبشر بمسافات طويلة، وتدخل في غابات رققى ، حيث تجد مطلبك المنشود ، إذا كتب الله لك التوفيق ، وخفف عن متاعبك ، ولتعلم أن هذا الأمر لن يصل إليه إلا الرجل الشجاع حقا ، وإذا استمعت إلى نصيحتي ، الأفضل أن تعود إلى مدينتكم وتصبر ، وتتركه لله .

قال أبو بكر " مهما كانت المشقات التى سأتحملها لن أعود ، وأفضل الموت في سبيل الوصول إلى هذا الهدف من العودة إلى مدينتي وأعيش لأشعر بالآلام في كل حين."

عندما رأى العجوز أنه يتحمل مشقات السفر قال " امكث هنا يومين لتستريح ، ثم أعطيك الزاد لترحل "

## زينـــب تشعــر بالحمــل :

وبينما زينب في بيت زوجها تسـتمتع بالحيـاة معـه ، لـم يمض شهران أو ثلاثة حتى شعرت بـالحمل ، وعندمـا حـان وقت الوضع ولدت طفـلاً جميـلاً ، قيـل للمعلـم شـيخو أن زوجته ولدت ، ففرح فرحاً لا حدود له ، لأن كـل مـا كـان يرجوه من أكثر من أى شيء فـى الحيـاة .

وفى الحال أخبر أمير المدينـة أن زوجـة المعلـم شـيخو ولدت ، فبعث الأمـير بالـهدايا الكثـيرة ، وفـرح كثـيراً ، وأمر المعلم شيخو أن يذهب الرسل إلى كـل مكـان ليخـبروا أصدقاءه ، وخدمه بأن زوجته قد ولدت ، وقـد مـلأ السـرور قلب كل من سمع أن صديقـهم رزق وريثـاً .

وفى يوم تسمية المولود احتشـد جمـع كبـير ، وذبحـت الأبقار والخراف وأقيم حفل أعظـم ممـا أقيـم يـوم زواجـه بالفتاة ، وأطلق على الابن اسم عبدالله ، ولكـن كـان ينـادى غالباً باسم هدية ، وعم المدينـة هـرج ومـرج عـدة أيـام ، وأخذ يدعو لـه كبـار العلمـاء والشـيوخ ، بـأن يديمـه الله ويجعله ابناً صالحـاً فـى ظـل الإسـلام ، ويتولاهـم كمـا يتولاهم أبـوه .

ودارت الأيام وكبر المولود ، وسترت عورته ، وأدخل المدرسة ليتعلم القراءة حتى كاد يحفظ القرآن ، وكان منذ نشأته ولداً طيباً كريم الخلق ، محبوب لدى الجميع ، وكان مصدر السرور لأبيه دائماً ، لم يترك شيئاً من متع الحياة إلا وقدمها إليه ، وقد بنى له والده حجرة خاصة فى مسكن أبيه الخاص كان ينام فيه رفاقه من الأطفال ، حيثما يكون هدية يلتف حوله الأطفال ، لم يكن بينه وبين أى إنسان فى المدينة إلا الأدب والاحترام فلا يحتقر أحداً، حيثما يسير يباركه كل من يراه .

## البحـــث عـــن غابـــة رققـــى :

أما أبو بكر ، فبعد أن قضـــــى يوميـــن فـــى مدينـــة يـــالى ليستريح ، أحضر له العجوز الحصان الـــذي ســـيركبه أثنـــاء الرحلة ، وأمده ببعض المال ليشترى ما يريـــــده مـــن الطعـــام أثناء الطريق ، وقـــدم إليـــه بعـــض الثيـــاب ليســـتعملها رداء وغطاء ، ودله على الطريق ، وقـــال لـــه " إذا خرجـــت مـــن هنا لا تعرج على أى مكان حتى تصـــــل إلـــى مدينـــة تســـمى سنجا ، إذا وصلت إلى هذه المدينة اســـترح قليـــلا ثـــم اتجـــه شمالا وسر حوالى سبعة أيام ، ثم اســـأل عـــن غابـــة رققـــى وإذا دخلتها تجول بين أشجارها كثيراً ، لعـــل الله يوفقـــك فمـــا تطلبه شيء سحري ، لا يوجد إلا بصعوبـــة وأحيانـــاً يتشـــكل للإنسان بشكل حشرة فيجن أو يمـــــوت "

وقال " لم أر مثله بعيني منذ جئت إلى هـــذه الحيـــاة "

قال العجوز " إذا أظهره الله لك ، ســـترى مكانـــه يضـــيء كأنه الشمس، مع أنه شيء صغير ، ولكـــن إذا وصلـــت إليـــه لتأخذه غالباً ما يختفـــى ، فـــإذا وصلـــت إلـــى مدينـــة ســـنجا ابحث عن علبة صغيرة واطلـــها بـــالدهن ، وضعـــه بـــها إذا حصلت عليـــه .

وتبادلا التحية مع بعضهما ، وقال العجوز " وفقك الله، وخفف عنك المشاق "

قال " آمين "

أعد أبو بكر متاعه البسيط وربطه ، وركب حصانه ، وأخذ يسير فى الغابة الموحشة ، ولم يلتق منذ بدأ الرحلة إلا برجل واحد بالقرب من مدينة يالى ، فقال له الرجل " ويحك أيها الرجل ، إلى أين ستذهب فى هذه الغابة الموحشة ، وليس معك إلا هذا الحصان وهذا المتاع اليسير ؟ فى هذا الخلاء ألا تخشى الأخطار ؟ يبدو أنك غريب ، ولا تعرف هذا الطريق . "

قال له أبو بكر " ذاهب إلى مدينة سنجا "

" سنجا أنك رجل لا تحترم رأى من هو أكبر منك ، ولا أعرف مدى استعدادك ، اذهب حفظك الله "

قال " آمين "

## يلتقى بقطاع الطرق :

أستأنف أبو بكر الرحلة حتى انتصف النهار ، واستمر في المسير حتى أعجز السير حصانه لشدة الجوع والظمأ، وبعد مشقة بلغ نهرا مليئاً بالشلالات ، فنزل وجرد الحصان من سرجه ، وحمل متاعه البسيط ووضعه تحت ظل شجرة ، وسحب الحصان ونزل به إلى الماء فشرب، وأخذ يتقلب في الرمال ، ثم صعد به إلى الشاطئ وقيده، حيث أخذ يرعى العشب النابت على شاطئ النهر ، وخلع أبو بكر ثيابه واستحم في مياه النهر ، ثم ارتدى ملابسه وشرب ، وصعد إلى الشاطئ وجلس بجوار متاعه ، وأخرج زاده وتناول قليلا من الطعام ، وفجأة نظر خلفه فرأى رجلين قادمين من بعيد يحمل كل منهما غمدا ممتلأ بالسهام وقوسا، ركب السهم في وتره ، يقصدانه ، وهو يجلس في هذا الوقت ويكاد الخوف يقتله.

عند قدومهما ألقى أحدهما التحية ، فرد عليه أبو بكر وجسمه يرتعد خوفاً .

قال اللص " أنت ، إلى أين ذاهب ؟ "

قال " سنجا "

قال " هل أنت غريب ، لم تسلك هذا الطريق مـــن قبـل؟"

قلت " منذ أن خلقنى الله ، لم آت إلى هـــذا المكـان "

فقال أحدهما لأخيه " يا له مــن رجـل أبلـــه ، هـل جئنـا لنتحدث ؟ لنفعل ما جئنا من أجلـــه ، ونذهـب "

فقال لأبى بكر " أنت ، عليك أن تختار إمـــا متـــاعك وإمـــا حيـاتك . "

قال أبو بكر " اختار حيـــاتي "

قال " اخلع ثيـــابك وســـروالك ، وضعـــهم علـــى متـــاعك هذا. "

فخلعها ووضعها ، ثم ذهب الآخرليفـــك الحصـــان ، فلمـــا رأى الحصان شخصا غير صاحبه ، أخـــذ يرفســـه ويعضـــه، فنادى عليه اللص قائلا " تعالى إن حصـــــانك ســـيعضنى ! "

فذهب أبو بكر مســـــرعا ، وأمســـك الحصـــان ، ووضـــع اللجام فى فمه ، والسرج على ظـــــهره ، فقـــالا لـــه " اذهـب لشأنك ! " فأخذ طريقه عار إلا من ســـاتر العـــورة .

فلما رآه اللصان بدأ فى المسير ناداه أحدهما قائلا " انتظر !!"

وقف أبو بكر بلا حركة ، لم يرفع قدما ، وجسده يرتعد ، فلما وصل اللص إليه ، لطمه على وجهه ، وسحب سكيناً وقطع جزءاً من أذنه وتركه ، فرقد أبو بكر حيث هو يصرخ ، فاللطم مؤلم ، وأذنه مقطوعة، الغيظ يملأ قلبه لسرق متاعه ، وبعد قليل أفاق ، ولم يلحق به أحد ، وبعد العصر سمع حديث بعض الناس قادمين خلفه فظنهم بعض اللصوص ، فدخل إلى حافة الغابة ، ولجأ إلى شجرة وتوارى بين أغصانها ، فلما اقتربوا منه علم أنهم بعض الحمارة ، فلما رأى ذلك خرج وجلس على الطريق .

ولما وصلوا إليه قالوا " ماذا أصابك ؟ "

قال " جئت من مدينة يالى قاصداً مدينة سنجا ، فقابلني بعض قطاع الطرق ، فجردونى من كل ما أحمل ، وضربونى ، وقطعوا أذني كما ترون "

لما سمعوا كل ما قاله لهم قالوا " لقد رأينا آثار ذلك فى الطريق ، فمرضوه وقدم أحدهم قطعة من القماش ، وحملوه على ظهر الحمار وأوصلوه إلى إحدى المدن ، ومضوا في سبيلهم ، وذات يوم لم يجد منزلاً ينام فيه فنام فى السوق وبطنه خاوية ، ولما طلع الصباح لم يجد ما

يفطر به ، فلم يجد بدا من التسول حيث يتصدق عليه كل من يراه ، ونام فى السوق أياماً طوال ، ذات يوم رآه أحد الناس فسأله عن المكان الذي جاء منه ، فقص عليه كل ما واجهه من أخطار ، فأشفق عليه واصطحبه إلى منزله ، حتى استراح واسترد صحته ، وبعد عدة أيام استراح فيها تماماً ، قدم إليه رب البيت بعض الزاد ، وتصافحا ، وواصل رحلته .

## ينـــام فـــى الســـوق ويقبـض عليـــه :

ومرت الأيام وهو يواصل الرحلـــة ، حتـى وصـل إلـى مدينة تسمى ريمى عشاء ، فبحث عـن مكـان يـنزل فيـه ، ولكن كان يطرد حيث ذهب ، فلـم يجـد مكانـاً ينـام فيـه ، فذهب إلى سوق المدينة ، فوجد كوخـاً فدخلـه ونـام فيـه ، ونام على جنب واحد لـم يتحـرك إلا عندمـا سـمع النـاس يقولون " لص ! لـص " وقصـدوا إلـى السـوق ، ولغبائـه الشديد خرج ووقف علـى بـاب الكـوخ ، حيـث لا يعرفـه أحد، فرآه الناس فقال " النجدة يا نـاس !! هـا هـو اللـص " وفى الحال التف حوله الناس وامسـكوا بـه وانـهالوا عليـه ضرباً وهو يقول " انتظروا ، لست لصاً ! أنـا غريـب جئـت اليوم ، بحثت فى كل المدينة عن مكان أنـام فيـه فلـم أجـد فعدت إلى السوق ونمت فيه ، وهاكم متاعي فـي الكـوخ "

قال الناس " إنه كـذاب ، لابـد أنـه هـو اللـص الـذي يطاردونـه الآن "

وقيده وحمله إلى منزل أمير المدينة ، ولمـا طلـع النـهار أخذ إلى منزل القاضي ، فسأله عن المدينة التـي جـاء منـها فقال من مدينة جلمـا .

قالوا " لم نسمع أبدا عن مدينة بـــهذا الاســـم ، إنـــه يكـــذب وهو اللــص "

حكم عليـــه القـــاضى بخمســـين جلـــدة ، والحبـــس ثلاثـــة أشهر.

صب عليه العذاب ألوانا ، وبعد انتـــهاء الاشـــهر الثلاثـــة ، أطلق سراحه وطرد خارج المدينة ، واســـتمر فـــى رحلتـــه ، ولم ينته كل ما واجهه من صعاب عن مقصـــده ، ولـــم تـــزده إلا تصميماً ، وكانت فكـــرة الانتقـــام تشـــغل كـــل تفكـــيره ، ودارت الأيام وطالت الرحلة حتى بلغ مدينـــة ســـنجا ، وكـــان دائماً يقول فى نفسه " لن أعود إلى موطنـــى ، مـــهما كـــانت الصعاب ، حتى أحصل على صمغ شـــجرة الكلجـــو ، بـــإذن الله "

ولما تذكر المشاكل التى واجهته فـــى ريمـــى وهـــو قـــادم إلى هذه المدينة قصد مـــنزل الأمـــير مباشـــرة ، وقـــال أنـــه غريب سيرحل ولكنـــه يريـــد مـــنزلاً ، فســـأله الأمـــير عـــن المدينة التى جاء منها فقال له ، فأمر أن يؤخـــذ إلـــى مدخـــل السوق ، حيث نزل فى منزل رجل طيب ثـــرى ، مكـــث فـــى المنزل الذي أنزل فيـــه الأمـــير ، ولـــم يجـــد صعوبـــة فـــى الحصول على الطعـــام .

وذات يوم جلس يتحدث مع صاحب المـــنزل ، فقـــال لــــه " لن أمكث طويلاً فى هذا المكان ، إن ما جـــاء بـــي إلـــى هنـــا هو كذا وكذا ودلونى على غابة رققى إننـــي أجــد مطلبـــي هناك "

## يجمـــع الــزاد :

قال الرجل " لابد أنه هناك ، حيـــث توجـد غابـــة ، فيــها كل شيء يبحث عنه الإنسان ، ولكـــن يجـب أن تمكـث هنــا يومين لتستريح ، لأنك تعبت من الســفر ، وبعــد أن تســتريح أزودك ببعض الزاد لتواصل الرحلـــة "

وافق أبو بكر على كلامه ، ومكث يعمــل حمــالاً ، مقــابل قليل من المال يجمعه ليشترى بــه الــزاد . "

وذات يــوم قــال لــرب البيــت ، أنــه يريـد الرحيــل ، فأحضر زاداً كثيراً وقدمه إليــه ، جمــع أبــو بكــر متاعــه ، واشترى العلبة الصغيرة التى طلب منــه الرجــل العجـوز أن يحصل عليها ، حيــث يضــع فيــها صمــغ الكلجـو عندمــا يحصل عليه ، ثم واصل الرحيل ، ينـــام اليــوم فـــى مدينــة وبعد أيام ينام فى أخرى ، حتى وصل إلى مدينـــة نــام فيــها وأخبره أهلها أنه لا مدن بعد ذلـــك .

سأل عن غابة رقفى ، ولكنه لم يجــد رداً مؤكـداً لأن كــل من سأله يرد عليه قائلاً أنه لـــم يذهــب إلـــى هنـــاك أبــداً ، ولكنهم لم يختلفوا على خطورة هـــذه الغابــة ، فلــم يســمعوا عن أحد ذهب إليها وعاد ، فمكث فى المدينـــة لمـــا ســيواجهه من مشــقات .

## يصــل إلــى منــزل صيــاد :

عندما استعد تماماً قام وبدأ الرحلة ، حتى تجاوز الريف ، ومنذ أستأنف الرحلة أخذ يمر على القرى قرية قرية ، حتى أصبح لا يرى إلا المراعي ، وبعد أيام اختفت هي الأخرى عن النظر ، فلم يتوقف وواصل السير حتى وصل إلى منزل أحد الصيادين داخل الغابة الموحشة ، فعرج عليه وألقى عليه السلام فخرج صاحب المنزل وسأله عما جاء به إلى هذه المدينة ، فلما أخبره تملكته الدهشة ، وقال " لو سمعت نصيحتي ، عدت طالما أن فيك بقية من الحياة ، وإذا لم تأخذ بها ومضيت ، فإنك لن تعود، لأن هذه ليست غابة صغيرة أنني لا أعرف مداها بالرغم من إقامتى بها ، فقد يمر ثلاثة أشهر لا أرى فيها مخلوقا واحدا "

قال أبو بكر " سمعا وطاعة ، ولكن طالما أنني قد عزمت على الوصول إلى مطلبي ، فلا شيء مما تقوله لى ممكن أن يثنينى عن عزمي، هل اقطع هذه الرحلة الطويلة ، وأتحمل كل هذه الأخطار والمشقات ، ثم أعود صفر اليدين ؟ "

قال الصياد " كـــل الأخطـــار والمشــقات التـــى واجهتـــها تعتبر بسيطة لما ستلاقيه مســــــتقبلا "

ثم بدأ يقص عليه ما يعرفـه مــا يعرفــه مــن أخبــاره هــذه الغابــة المخيفة والسيئة وما يسكنها مــــن جـــن ، فلمــــا أدرك أن كـــل ما قص عليه لم يخفه ، ولم تثنه عن مقصــــده ، تركــــه وقـــال " فيَ الغد سأصطحبك حتى هذا الجبـــل ، وهنـــا أدلــك علـــى الطريـــق "

لما طلع النهار اصطحبـــــه الصيـــاد فـــى الطريـــق حتـــى وصلا إلى المكان الـــذى حدثـــه عنـــه مـــن قبـــل ، وصعـــدا الجبل، حيث نظر أبو بكر فلم ير شـــيئا علـــى مـــدى بصـــره إلا هذه الغابة الموحشة ، التــــى يخشـــاها الشـــجعان ، وهنـــا قال الصياد هل ترى ذلك الجبل الذى لا تكـــاد العيـــن تـــراه ، ستذهب إليه ، فإذا وصلـــت إلـــى هنـــاك وســـرت مباشـــرة ، اعتقد أنك بعد عدة أيام ســــتدخل الغابـــة التـــى ســـتجد فيـــها مطلبـــك . "

شكره أبو بكر وتبـــادلا التحيـــة وقـــالا " نســـأل الله اللقـــاء مرة أخرى " وعاد الصياد وواصل أبو بكـــــر الرحلـــة .

سار أبو بكر أيامـــا طـــوال حتـــى وصـــل إلـــى الجبـــل ، وواصل السير حتى ظن أنه وصل إلى المكـــان الـــذي يبحـــث عنه ، فوجد كهفا فى باطن الجبـــل ، فوضـــع متاعـــه ، فلمـــا

أقبل المغرب بدأ فى البحث ، ولم يعد حتى طلع النهار ، وهكذا ظل يبحث عدة أشهر ، حتى نفذ زاده ، فبدأ يأكل ثمار الأشجار وجزوع النباتات والحشرات ، ولم ير شيئا خلال هذه الفترة ، حتى بدأ اليأس يسيطر عليه .

ظل يقضى الليالي فى البحث عما ينشده ، وفى النهار يبحث عن كهف فى باطن الجبل أو جزع شجرة فيدخله وينام فيه ، واستمر على هذا الحال حتى عجز عن عد السنوات التى قضاها .

وذات يوم وهو على هذا الحال ، كان يتجول فى الغابة، فرأى شيئا يتلألأ من بعيد كالشمس بين أغصان إحدى أشجار الكلجو ، فتملكه السرور وأخذ جسمه يهتز فرحا ، وجرى مسرعا ليلتقطه ، وأثناء الجرى اصطدمت رجله فى كتلة خشبية ضخمة ، فوقع على أسنانه فبرزت خارج فمه ، فلما قام لم ير شيئا وأظلم المكان تماما كما كان قبل ذلك ، فأخذ ينظر فى كل مكان حوله ، ويبحث حتى طلع النهار ، وبدأ يشعر بالألم الشديد فى أسنانه ، حتى فقدته لذة الحياة ، ومكث فى المكان ليلا ونهارا فلم ير شيئا ، فحزن حزنا شديدا ، وترك المكان وأخذ يبحث فى مكان آخر ، حتى أضناه البحث ولم ير شيئا .

وذات يـوم هبـت عاصفــة شـديدة ، وهطلــت السـماء بالأمطار ، ولكنــه لـم يعبـأ بحـرارة الشـمس ولا غــزارة الأمطار مهما اشتدت ، وأخذ يتجـــول فـى الغابـة مواصــلا البحث ، وأثناء ذلك سمع صوت الرعد الشـديد والـبرق فـى وقت واحد ، حتى عجزت عيناه عــن الرؤيــة ، ثـم أعقــب ذلك ظلام دامس ، وتوقفت الحركة تماما ، وبعــد قليــل رفــع رأسه إلى أعلى فرأى من بعيد ضــوءا شـديدا ، فلـم ينتظــر لحظة وجرى مسرعا وقصد مكانه ، فـــرأى شـجرة الكلجـو الضخمة أمامه كاد يصطــدم بــها ، وبيــن أغصانــها شـيء يلمع ، فتسلقها وهم بانتزاعه ، وفجأة هبطــت صاعقــة علــى الشــجرة فقسـمتها نصفيـن ، فوقــع علــى الأرض فـــاقد الحركة، ولم يشعر أبو بكر بمن ألقاه بعيدا حيــث ظــل راقـدا لا يشعر بما حدث له ، ولم يفق حتى طلـــع النـــهار ، فــرأى الشجرة قد احترقت ، ولا أثر لمـــا رأى أثنــاء الليــل ، فقــام يجر جسده الثقيـــل ، ومضــت عــدة أيــام قبــل أن يســترد صحته ويستطيع مواصلة الســير .

## الرؤيـــة الثالثـــة :

لم يمض وقـــت طويـــل حتـــى رأى هـــذا الـــبرق للمـــرة الثالثة، فأخذ يتجول فـــى الغابـــة ، ثـــم عـــاد إلـــى مرقـــده ، وأوشك النهار على الطلـــوع ، وفجـــأة نظـــر أمامـــه فشـــاهد الضوء كنور الفجر ، فظـــن أن النـــهار قـــد طلـــع ، وتلفـــت حوله فوجد مطلبه وقـــد فـــاق نـــوره هـــذه المـــرة المـــرات السابقة ، فنسى مـــا تكبـــده مـــن نصـــب ، وجـــرى مســـرعا خشية أن يختفى مرة أخرى قبل أن يصـــل إليـــه ، ومـــا كـــاد يمد يده إليه ويلمسه حتـــى رأى ثعبانـــا كبـــيرا أســـودا قطـــر جسمه كفخذ الإنسان لا يرى نهايـــة لـــه ، فـــتراجع للـــوراء ، ولما رفع الثعبان رأسه ونظـــر إليـــه ، رأى عينيـــه كجمـــرة النار ، ولسانه أحمر كألسنة اللهب ، فغطى أبـــو بكـــر وجهـــه بيديه وكاد يسلم نفسه للمـــوت .

ماذا جاء بـــك ؟

ثم سمع صوتا كالرعد يقول له " أنت أيـــها الرجـــل مـــاذا جاء بك إلى هنـــا ؟ ألـــم تمنعـــك الأخطـــار التـــى واجهتـــها مرتيـــن ؟ "

وفى خوف شديد قال " من أنـــت ؟ "

فرد عليه قائلا " أنا ملك الجن الـــذي امتلـك كـل صمـغ الكلجو ، لا يوجد مخلوق يستطيع أن يأخذه مـن بيـن يـدى ، إلا من أجده يستحق الحصـــول عليـــه ، كـاد تطفلـك اليـوم يقضي عليـك " .

قال أبو بكر " أطال الله حياتك ، والله لـــم أكـن أعـرف ، ليس التطفل هو الذي جاء بـــي " وحكـى لـــه كـل الأسـباب التى جاءت بــه .

فانفجر ضاحكا وقال له " أيـــها الشـاب ، إننـا لا نقصـد لفعل الخير ولكن للشر دائمـا ، لـولا أنـك قـادم إلـى منـذ البداية ، ما واجهتك كل هذه الصعاب ، كـل مـا تريـده مـن شر ، أساعدك فيه ولا تطلـــب منـــى خـيرا لأن الشـر مـن طباعنا ، وكل من يسعى لفعله يكون مـــن أصدقائنـــا "

وهنا أغمى عليه ، ولم يشعر بـــأى شـىء ، ولمـا أفـاق وفتح عينيه رأى النهار قد طلع ، وهـــو راقـد أسـفل شـجرة الكلجو تماما ، حيث وقع ، فنظـــر هنـا وهنـاك ، فلـم يـر الثعبان ، فظن أنه كان فى حلـم مخيـف ، ثـم نظـر فوجـد علبته الصغيرة ، حيث ألقاها عندما أغمى عليـــه ، فمـد يـده وأخذها ، فشعر بشـــيء يرتعـش ، ففتحـــها فـرأى ضـوءا شديدا كأنه فى وضح النهار ، فأســرع وأغلقـــها ، وحمـد الله

ولفها فى ثيابه ، وقام عائدا ، ولم يحـــاول أن يتفقــد مـــا فـــى العلبة ، فقد أنساه الفرح والســـــرور كــل شـــيء ، ثـــم أخــذ الطريق متجها حيث يعيش النــــاس ، واســـتمر فـــى المســير حتى خرج مـــن الغابـــة ودخـــل الريــف ، واســـتمر يطــوى الأرض سيرا حتى وصل إلى مدينــــة ســـنجا .

## يجـــد رفيــق الطريــق :

قضى أبو بكر عدة أيام فـــــى مدينـــة ســنجا حتـــى وجــد رفيقا، فالتحق بإحدى القوافل ، وواصل الســير حتـــى وصـــل إلى مدينة يالى ، فلمـــا وصـــل لـــم يتوقــف إلا فـــى مـــنزل الرجل العجوز والد الساحر ، فلما رآه العجـــوز لـــم يعرفـــه ، فقال له أنه أبو بكـــر .

قال العجوز : " من أبو بكــــر ؟ "

قال " الذى جاء إليك من مدينة عـــش مســتعدا "

قال العجوز " أنت كـــذاب ، لأنـــك علمــت بأخبـــار ولـــد يسمى أبو بكر جاء فأكرمته ، جئت تدعى أنــــه أنـــت "

قال أبو بكر " والله أنا هـــو "

قال العجوز " أنا لا أصدق ، لأن أبـــو بكـــر الـــذى جـــاء إلى ، ولد جميل غير مشوه ، أما أنت فشـــكلك قبيـــح ، أســـود ، ليس لك أسنان ، أشعث كقطـــاع الطـــرق . "

قال أبو بكر " أن ما جعـــل شـكلى يتغـير هكـذا ، هــو الجوع ، ومشقات الرحلة ، أترى أثر هذا الجـرح الـذى فـى جسمي ، أنه خمسين جلده حكم على بها فـــى إحـدى المــدن، وهذه الأذن التى تراهــا مقطوعـة ، قطعـها بعـض قطــاع الطرق ، والأسنان التى لا ترها اقتلعتـــها فـى الغابـة ، وإذا لم تكن تصدقنى حتى الآن ، فــإليك دليلــي " ثـم قـدم إليــه العلبة الصغــيرة .

فلما فتحها رأى الضـــوء الشـديد يمــلأ الحجـرة ، قــال " صدقت ! لا شك أنك أبو بكر كيــف حــالك ؟ " .

ثم استطرد العجــوز قــائلا : كــل هــذه الصعــاب التــى واجهتها لم تجعل قلبك يلين ، وتعفو عـــن عـدوك ؟ "

## الثـــأر :

قال " هل يواجه الإنسان كل هذه المشقات ثـم يليـن قلبـه؟ كل هذه المشقات التى واجهتـها سـأثأر لـها ممـن دفعنـي إياها، علاوة على ما فعله قبل ذلـك . "

استراح أبو بكر بعـد مضـى يوميـن ، وذات يـوم قـال للعجوز أنه يريـد أن يعـود إلـى مدينتـه ، فـأمده العجـوز بالزاد ، وبعث معه الشقيق الأصغر للسـاحر ليعـرف مكـان أخيه ، وتبادلا التحيـة ، واصطحبـهما حتـى وصـلا إلـى الطريق ، فواصلا السير الطويل حتى وصـلا إلـى مدينـة " عش مسـتعدا "

ولما وصل أبو بكـر اتجـه إلـى مـنزل السـاحر ، فلـم يعرفه أحد من الخـدم .

قال " جئت إلى رب البيت " فدخلـوا واخـبروا سـيدهم أن ضيفا بالباب، ثم دخلوا بعد خروج سـيدهم ، بعـد أن تبـادلوا التحية سألهم من أين جـاءوا .

قال أبو بكر " يا سيدي هل نسـيتني ؟ "

قال " نعم ، نسيتك ، أخبرني مـــن أنـــت "

قال " أنا أبو بكر ، من مدينة جلما الـــذي طلبـت منـــه أن يذهب للبحث عن صمغ شـــجرة الكلجـــو "

قال لأبى بكر ! " والله لـــم أعرفـــك ، أرى شـــكلك تغـــير تماما ، لعلك كنت مريضـــا ؟ "

قال أبو بكر " يــــا سـيدي ، لــولا أن الله قـــد كتــب لــي الحياة، لمت ، كل ما فى هـــذه الدنيـــا مـــن مشــاق واجهتــها جميعا ، وأشكر الله الذي بلغني ما أريـــد ، إن الشـــيء الـــذي طلبته مني قد حصلت عليه ، هاهو الغلام الـــذي جـــاء معـــى شقيقك الأصغـــر ، أرســـله معـــى والـــدك ليـــأتى لرؤيتـــك ، ويعرف أين تقيـــم "

فرح الســـاحر فرحـــا شـديدا برؤيـــة شـــقيقه الأصغـــر ، وأخبره أن والده مازال حيا ، وقال لأبى بكـــر " اذهـــب إلـــى حجرتك ، وغدا بعد أن تســـتريح نتحـــدث ، فقـــام أبـــو بكـــر ودخل حجرته ، وقدم إليه الطعـــام فـــأكل ، وبـــدأ يســـتريح ، وتركه الساحر مـــع شـــقيقه الأصغـــر ، يســـأل عـــن أخبـــار المدينـــة .

وعندما طلع النهار جاء أبو بكر وقال للساحر " ها أنا قد حصلت على ما طلبته ، أريد أن تصنع لي ما أريد لأعود إلى منزلي ، لأنني لم أره منذ عشر سنوات تقريبا، وأظن أنهم لا يعتقدون الآن أنني حي "

## يعطيه الدواء السحرى :

قال الساحر " وهو كذلك " وصنع له الدواء السحرى وقدمه إليه " خذ هذا ، عندما تصل ، وترى الغلام اغسل يديك به ، ولا تمس شيئا بهما غيره ، وعندما تراه حاول أن تقتلع شعرة من رأسه ، وضعها فى هذا الدواء وأبحث عن قبر جديد وأحضره وضع الشعرة والدواء فيه ، تقضى كل حاجتك "

مد أبو بكر يده وأخذهما فى فرح وسرور وشكره شكرا كثيرا ، ثم قال " ولكن هناك مشكلة كيف سأجد الفرصة لأمسح جسمه بالدواء ، وكيف أحصل على شعرة من رأسه ، ربما سيكون هذا أمرا عسيرا "

قال الساحر " ليس هذا أمرا عسيرا فمن يتحمل كل هذه المشقات ويستطيع الوصول إلى ما يريده ، هل يعجزه هذا الأمر ؟ ولكن خذ هذه التميمة لا تسمح لأى إنسان فى هذه الحياة أن يحرمك منها . " فكرر أبو بكر له الشكر .

لم يمكث هذا اليوم فى المدينة فقد قـــام واســتأنف رحلتــه عائدا حتى وصل إلى بوابة مدينة جلمـــا بعــد أيــام طــوال ، لم يعرفه كل من التقى به حتى وصل إلـــى منزلــه .

لما وصل إلى المنزل لم يتوقف إلا فـــى داخلــه ، وكــانت أمه تجلس عصرا خـــارج المــنزل ، فــرأت رجـــلا يدخــل عليها المنزل فقالت " من هذا الرجـــل الــذي يقتحــم المــنزل دون أن يستأذن ؟ " فلم يقل أبو بكـــر شـــيئا .

## يعـود إلـــى منزلـــه :

قالت " إذا لم تخرج سأستنجد منـــك كـــاللص "

حينئذ قال " أمـــى "

ثم قامت مسرعة وعانقته وقـــالت أبـــو بكـــر ، مـــن أيـــن جئـت ؟ "

قال " ها أنا ذا ، لقد شاء الله أن نلتقى مـــرة أخـــرى "

ثم انفجـــرت فـــى البكـــاء ، فســمع الجـيران ، فجـــاءوا مسرعين ، يقولون " ماذا حدث ، مـــاذا حـدث ؟! "

قالت " ابني عاد " فامتلأ البيت كله بـــالفرح والســـرور .

قالت الأم " اشكرك يا ألـــــهى ، لقـــد أرجعـت لـــي ابنـــي سالما " وفى الحال قامت وأحضـــرت لـــه الطعـــام ، فـــأكل ، واستراح ، وذاع الخبر فى كل مكان بأن أبو بكـــر قـــد عـــاد، وكان أخوه الأصغر فى الســـوق ، فلمـــا ســمع ذلـــك تـــرك

بضاعته ، وعاد إلى البيـــت مســرعا ، فلمـــا وصـــل وجــده جالسا مع أمه ، قال " يا أمى ، أيـــن أخـــى ؟ "

قالت " ألا تراه جالســـا ؟ "

قال " أخى مرحبا بقدومك " فـــرد التحيـــة .

حينئذ قال أخوه الصغير " والله لو تقابلت مـــع أخـــى فـــى الطريق قبل ذلك ، لمضى كل منـــا دون أن يعـــرف الآخـــر ، إلا إذا تكلم معى ، لأننى أرى شكله قد تغـــير تمامـــا . "

وجلسوا يتحدثون ، وأخذ الناس يتوافـــدون عليـــه مـــهنئين بسلامة الوصـــول .

وذات يوم وهم جالسين سأل أخـــاه الأصغـــر " مـــا أخبـــار زينـــب ؟ "

قال " لم يمض وقت طويـــل بعـــد رحيلـــك حتـــى انجبـــت زينب ابنها ، ولد جميل طيب ، محب للعمـــــل ، يحـــترم كـــل إنسان فى المدينة ، هـــذا هـــو الطريـــق الـــذي يســـلكه إلـــى المدرسة ، سأدلك عليه ، لقد صار صبيـــا كبـــيرا .

وبينما هم جالسون ظهرا وإذ بهدية ، ينادى الأولاد ليذهبوا معه إلى سوق الجمعة ، فقال شقيقه الأصغر " ها هو هناك وسط الأولاد ، ذو الثوب الجميل . "

قال أبو بكر " حقا لقد كبر الولد ، أن من تتوفر له النعمة لا ينقصه النمو "

قال " ويحك يا أخى ، ألا تنظر للسنوات الطوال التى قضيتها ! "

قال " صدقت "

ثم استطرد أبو بكر قائلا " والآن ألا ينام فى المنزل "

قال شقيقه الأصغر " ويحك هذا الولد أكبر من أن ينام فى المنزل ، لقد سمعت أن أباه قد بنى له طابقا كبيرا فى مسكنه الخاص ، وفرشه بأثاث رائع ، ينام فيه مع خدم أبيه .

قال أبو بكر " وأى حجرة فى المنزل تنام أمه ؟ "

قال " سمعت من النساء أنه بنى لها منزلا كبيرا ذات حجرات ثلاث تقيم فيه "

## يستعمل الــدواء السحــرى :

وذات يوم بعد أن خلت الطرق من الســـالكين ليــلا ، قــام أبو بكر ، وغسل يديه بــالدواء الســحرى الــذى قدمـــه إليــه الساحر ، وتوجه إلى منزل المعلــم شــيخو ، ودخــل مســكنه الخاص ، ورأى الحجرة التى ينام فيـــها هديـــة، فلمـــا دخلـــها وجد الكل مستغرقا فى النوم ، فعرى جســـد الغــلام ومســحه بيده ، وأخذ المقص مــــن ســـترته ، وقــص شـــعر رأســـه ، وخرج لشــأنه .

ودخل مكانا آخر فى المنزل ، وذهب إلـــى حجــرة زينـــب فوجدها مستغرقة فى نوم عميق ، فنادى عليـــــها " زينـــب ! "

فتلفتت وهى فى سكرة النوم ، وقـــالت " مـــن ؟ "

قال " أنا أبو بكر ، الـــذي أذللتيـــه علـــى أعيـــن النـــاس ، ألست تعرفين أنه بســـببك هجـــرت المدينـــة ، وهمـــت علـــى وجهى فى الدنيا ، وذقت كل العذاب ، ولكنـــــى عـــدت لأقـــول لك ، لقد حان وقت الجـــزاء ، واســـمعى مـــا ســـأقوله لـــك ، لتعلمى أنه كل مـــن يذلنـــي لا يعيـــش ســـالما ، ابنـــك الـــذى ولدتيه ، سيصير فاسدا ، لقد طلبتموه بركـــة ولكنـــه ســـيصير لكم لعنة ، وسيجلب لكم العار والهم ، حتى يكـــون يومـــا مـــا

سببا فى قتل أبيه " ثم التفت وعاد من حيث أتى ، وذهب إلى شأنه .

وفى الصباح استيقظت زينب ، تفكر فى نفسها ، وتقول " اليوم رأيت مناما مخيفا ، إنه صوت أبى بكر الذى سمعته فى المنام ، كأنه فى حجرتى يتكلم معى ، هذا الكلام أزعجنى ! " ثم قامت مذعورة ، وذهبت لترى ابنها، فوصلت إلى حجرته الخاصة ، وأطلت لتراه مستغرقا فى النوم ، فعادت إلى حجرتها ، وقد هدأت نفسها قليلا " إنه مجرد منام فقط " واستقر هذا الأمر فى نفسها ، ولم تذكره لأى إنسان .

عندما خرج أبو بكر ، أعد الدواء السحرى ، وخرج فى الليل إلى المقابر ، ووجد قبرا حديثا فحفره وألقى فيه الدواء ، وأهال عليه التراب، وغطاه وعاد إلى المنزل واستسلم للنوم .

## بـــدأ الولـــد ينحـــرف :

عندما طلع النـــــهار ، اســـتيقظ هديـــة ، وبعـــد أن غســـل عينيه وصلى ، دخل لتحية أبيه وأمـــه ، فقدمـــت إليـــه طعـــام الإفطار ، وأخبرها أنه سيذهب إلى المدرســـة ، وخـــرج إلـــى حجرة أبيه وأخـــذ شـــلنين وخـــرج لشـــأنه ، وبـــدلا مـــن أن يتوجه إلـــى المدرســـة ، تخلـــف عـــن رفاقـــه وذهـــب إلـــى المدينة، وأنفق المـــال .

ولما دخل أبوه ، عد المال فوجـــــد أنـــه ينقـــص شـــلنين ، فنادى ربة البيت وقال " من دخل هـــذه الحجـــرة ؟ "

قالت " منذ خروجك لم أر أحـــدا يدخـــل إلا هديـــة ، مـــاذا حـــدث ؟ "

قال " لا شـــيء "

وتعجب فى نفسه ، وقال " إنـــــي متـــأكد مـــن أن ابنـــي لا يسرق ، هذه حيلـــة النســـاء ، لأنـــهن يشـــعرن بحبـــي لـــهذا الولد. " لأنه يعرف أنهن يحقـــدن عليـــه . " ولكـــن إذا كـــان هو ، سأسأله عندما يعود ، لابد أنــــه ســـيخبرني "

وانتظر وانتظر ، فلم يعـد هديـة ، فبعـث أحـد خدمـه ليذهب ليرى ماذا أصاب هدية حيث لم يعد إلـى المـنزل .

فأخبره معلمه أنه لم كـان ينـوى أن يذهـب بنفسـه إلـى منزله ليعرف ماذا أصابه لأنه لم يره اليوم فـى المدرسـة .

## الأب يتعجب :

عندما عاد الخادم أخبره ، ازدادت دهشته لأنه لم ينقطع عن الذهاب إلى المدرسة من قبل ، ثم أرسل من يبحث عنه فى كل مكان فلم يجده ، حتى عاد إلى المنزل عصرا .

فسأله أبوه " إلى أين ذهبت وتأخرت هكذا ؟ "

قال " ذهبت إلى المدرسة ، وانتظرت لأكتب الدرس ، ولم انته منه بسرعة "

سكت الأب وهو يشعر بالحزن ، لأنه يعرف أن الكذب لم يخرج من فم ابنه قبل الآن .

قال أبوه " هل رأيت مالا على الفروة ، عندما دخلت حجرتى فى الصباح ؟ لأننى تركت بعض المال عليها فنقص شلنين ، لعلك تعرف من أخذهما ؟ "

قال هدية " وما شأنى ، هل جعلتنى عليها حارسا ؟ "

ثم ذهب المعلم شيخو إلـــى زينــب ، وقـــال لـــها " مـــاذا أصاب هذا الولد اليوم ؟ لأننى لم أســمعه يتحـدث إلــى كمــا يتحـدث الآن "

فأحسست بجسدها يتصبب عرقا ، وتذكــرت المنــام الــذي رأته ، وقالت " ماذا قال لــك ؟ " قــال " ســألته فقــط ، هــل رأى شيئا فقدته ، فقال لي قولا سخيفا وها هـــو أيضــا يكــذب على ويقول أنه ذهب إلى المدرسة مع أنه لـــم يذهــب "

قالت " الأفضـــــل أن تتركـــه ، وسأســأله أنـــا ، لابـــد أن هناك ســببا "

ولما خرج الأب قامت ، وأعدت له طعامـــا شـــهيا وقـــالت " إذا دخل ليأكل اسأله ، لابد إنـــه ســيخبرني بمـــا يضايقـــه ، لأنه لا يخفى عنى شـــيئا "

وعندما أعدت الطعام ، بعثت من يناديـــه ليـــأكل ، فمكـــث مكانه ولم يعر أى اهتمام ، حتى برد الطعـــام ، فدخـــل وقـــال مخاطبا أمه " أين الطعـــام؟"

أحضرته إليه ، فلما كشفه ، قال " هل آكـــل طعامـــا بـــاردا هكذا ، كأنه طعام يقدم إلـــى الكلـــب ؟ " ثـــم رفســـه بقدمـــه ، فانقلب الإناء ، وقام وخـــرج .

فقالت " انتظر أريد أن أتحدث معك ، مــــاذا أصـــابك ؟ "

قال " لقد شبعت من الأســـئلة " وخـــرج لشـــأنه ، وتركـــها تبكى حزنا وهما، ولم ينم فى البيت فى هـــذا اليـــوم ، وذهـــب إلى حانات اللهو والطرب حيث قضــــى الليـــل .

## يســرق كـالفــأر :

ودارت الأيام ولم يزد حال الولد إلا ضـــلالا فقــد كــثرت مشاجراته مع الأولاد فى المدينة ، وكــثرت الشــكاوى منــه ، ورفض الذهاب إلى المدرسة وأخذ يتســـكع فــى الشــوارع ، ولا ينام فى المنزل ، وإذا دخل المنزل سرق كـــل مــا يــراه من مال أبيه وأمه ، وعاداه كل إنسان فـــى المدينـــة ، وأخــذ الناس يتساءلون فى دهشة " ماذا حدث ؟ لولـــد طيــب كــهذا، لم يحدث أن حيا إنسانا واقفا ، ولم يســـمع أنــه تشــاجر مــع أحد ، يضل الآن ويسرق كما يســرق الفــأر "

أصبح المعلـــم شــيخو وأم الولــد لا ينعمــان بالراحــة أو السعادة ، وكلما جلست مع ضراتها أخـــذن يعيرنـــها قــائلات " اذهبى هناك ، عندما تحمليـــن تلديـــن ابنـــا ، يصــير لصـــا كالفـــأر " فلــم تجــد أمامـــها حـــلا إلا البكــاء المتواصـــل ، وتضرب الأبن ، والأب يضربه ، وأســـفاه ! جفــت الأقـــلام وطويت الصحـــف .

وأخذت زينب تفكر كثيرا فيما ســمعت وهـــى فـــى ســكرة النوم ، وقالت أحقا هذا ، حسبنا الله فمن عمـــل هــذا العمـــل ،

ولكن أغلب ظن أهل المدينة أن ضراتها هن اللاتي فعلن هذا بالولد ، لشدة غيرتهن منه .

وذات يوم نادى المعلم شيخو أم الولد ، وقال لها " ناديتك لأنى أريد أن استشيرك في أمر هذا الولد الذي حيرني ، ها أنذا بعد أن كنت في مركز كبار رجال هذه المدينة صرت كالفأر ، لما سببه هذا الولد لي من خجل ، وها هو يرفض الذهاب إلى المدرسة ، ويتسكع في المدينة دون جدوى ، وأحيانا تمضي سبعة أيام دون أن يقع بصري عليه ، حتى أبعث إليه من يستدعيه ، وإذا استمر على هذا الحال ، فلا أعلم ما سيجلبه لي مستقبلا من العار، فما رأيك ؟ "

قالت " يا سيدي أي أمر تراه المرأة ؟ إن هذا الأمر أخطر من أن أتكلم فيه ، ماذا سأقول ؟ ولكن اصبر ، سنجتاز هذه المرحلة بقدرة الله .

قال " لن نستطيع الحياة معه على هذا الحال ، سأبعث به إلى معلمه ليقيده بالسلاسل ، ويمنعه من الخروج حتى يحفظ القرآن " فانفجرت باكية .

وبينما يستعد ليبعث من يستدعى المعلم سمبو عندما يطلع النهار فإذ بهدية يهرب من المنزل في الصباح الباكر ، ويخرج يتسكع كعادته ، ولما شعر أنه إذا بقي في

المدينة سيبعث والده من يستدعيه ، تذكر أنه يوجد سوق على بعد خمسة أميال من مدينة جلما ، حيث يجتمع فيه كثير من المتسوقين ، فقصده وهو يعلم أن أحد خدم أبيه فى هذا السوق يبيع بعض السلع .

عندما ذهب قال لخادم أبيه ، إن المدرسة قد تعطلت الآن لأن العيد قد اقترب ، فطلب من والده أن يأتى إليه فى السوق ، قال الخادم " يا هدية لعلك تكذب فلم يسبق لك الحضور إلى هنا ، أو لعلك هربت من المدرسة؟"

## لـــم أهـــرب :

قال " والله لم أهرب ، وإذا كنت تظنننـــــي أكـــذب ، ابعـــث من يســـأله "

قال " لا بأس ، أجلـــس "

وكان الحانوت مملـــوء بـــالعملاء الذيـــن جـــاءوا لشـــراء حاجيات العيد ، وكان من بين هؤلاء مـــن يحمـــل مالـــه فـــى حقيبته ، فوضعها فى متاعه الذي اشـــتراه وربطـــه . وكـــان هدية يراه عندما ترك المتـــاع وأخـــرج المـــال ودفـــع ثمـــن الخمار الذي اشتراه . وأرجعـــه مكانـــه . وبعـــد قليـــل قـــام العميل وذهب ليتبول . ثم أخذ متاعه الـــذى اشـــتراه ليربطـــه مع المال ثم يذهب إلى شأنه . بعد أن انتـــهى مـــن التبـــول ، رأى ثوبا فوقف يساوم فى ثمنه وكان هدية قـــد غـــافل عيـــون الناس وغادر الحانوت ، وسرق المال وذهـــب لشـــأنه ، ولـــم يستأذن أحدا ، وبعد ان انتـــهى العميـــل مـــن شـــراء الثـــوب تبعه التاجر إلى الحانوت ليقبض الثمـــن ، فلمـــا عـــاد ورفـــع طرف متاعه ليأخذ المال ، لم يجـــد شـــيئا .

وفى الحال أخذ يستغيث ، وهب واقفا فى الحانوت فوقف الجميع وأخذوا يبحثون فى متاعه فلم يجدوا شيئا ، فبحثوا عن هدية فلم يجدوه وذهب الجميع بضوضائهم إلى القاضي ، وذكروا أمامه الوقائع ، فأمر بالعودة إلى الحانوت والبحث فيه مرة أخرى ، فلم يعثروا على المال حينئذ أحد الذين كانوا يجلسون فى الحانوت " غفر الله لك يا سيدي ، لقد جاء ولد إلى الحانوت ، وعند رؤيتي له لم أطمئن إليه ، ولما خرج سرق هذا المال الذي نبحث عنه ولم نجده "

## القاضـــى يعرفـــه :

سأل القاضى صاحب الحـــانوت " أى ولـــد "

قال " مغفرة يا سيدى ، هدية بن سيدى المعلـــم شـــيخو ؟"

قال القاضى " هذا الولد لص ! لا شك هـــو الـــذي ســـرق المال . " وأمر بالبحث عنه فلم يجدوه إلا بعـــد مشـــقة .

ولما أحضر أمـــام القـــاضى ســـأله " أنـــت دخلـــت ذلـــك الحانوت اليـــوم ؟"

قال " لم أدخل حانوته ، لقد جئت إلى الســـوق الآن فقـــط"

قال القاضي " قل لي الحقيقة ، لم أطلبـــك إلـــى أى أمـــر " وبعد مماطلة وإنكار اعترف بأنـــه دخـــل .

قال القاضي " قل لي الحقيقـــة ، عندمـــا دخلـــت الحـــانو ، لم تر هذا الرجل هناك ومعه المـــال ؟ "

قال " غفر الله لك يا سيدي ،لـــم ألاحظـــه ، الـــذي يذهـــب لشراء أى شيء هل ينتبه إلى مـــال النـــاس ؟ "

قال القاضي " هل رأيته عندما قمت مـــن الحـــانوت ؟ "

قال " رأيتـــه "

" لماذا خرجت أنت أيضا مـــن الحـــانوت عندمـــا خـــرج ، ولم تستأذن من أى إنسان ؟ " فســـكت

قال القاضي " أين المال الذي سرقته منـــه ؟ إذا قلـــت لـــي الحقيقة سأخفف عنك الحكم ، ولـــن أســـجنك "

حينئذ قال هدية " لقد أخذت المـــال "

سأل القاضى العميل " كم مـــالك ؟ "

قال " ثلاثة جنيهات وثلاث شـــلنات "

قال القاضي " هل سمعت يا هديـــة ؟ "

قال " هو كذلـــك "

" أين هـــي "

" صرفت ثلاثين شلنا وبقى جنيـــهان "

" أعطنى الجنيـــهين "

" حفرت حفرة ودفنتهما هنـــاك "

بعث القـــاضي معـــه أحـــد الخـــدم فذهبـــا معـــا ، وحفـــر وأحضرهمـــا

وأمر القاضي باســـــتدعاء أبيـــه بســـرعة ، وفـــى الحـــال ذهبوا واستدعوا المعلم شـــيخو .

ولما حضر ذكر له القاضي جميع الوقـــائع ، وقـــال " هـــا هو ابنك ، لم يبلغ السن الشـــرعي لسـجنه ، فعليـــك أن تـــرد المال وتذهب بابنك وترى ماذا ســـتفعل معـــه ، فعندمـــا يبلـــغ السن الشرعى سيسجن إذا فعل ذلك مـــرة أخـــرى."

أخرج المعلم شيخو المـــال ، ودفعـــه ، وشـــكر القـــاضي ، وخرج بهديـــة .

## يقيد الولد :

عندما عاد إلى المنزل كان العصر قد حان ، وكادت الشمس تغرب ، فدخل بهدية المنزل وقيده ، وفى هذه الليلة منع عنه كل شيء حتى الطعام .

وفى الصباح أمر خادمه بالذهاب إلى المعلم سمبو واستدعاه ، فلما جاء دخل المنزل ، وساق هدية أمامه وأحضره لدى معلمه ، وقال له " ها هو ، لقد أعيتني معه الحيل ، فإذا تركته عندى ، ربما قتلته يوما ما من شدة الغضب اذهب به ، وقيده بالسلاسل ، ولا تفك قيده حتى يحفظ القرآن، بل لا تتركه حتى لو حفظ ، إلا إذا رأيت حاله قد تغير ، ولا تخفف عنه شيئا كل ما يفعله الأولاد مرة به، بغض النظر عن كونه ابني "

قال المعلم " أمر عجيب ، ولد لم تكن العيون تحب أن ترى غيره ، محب للقراءة يحترم الجميع ، يفسد فى ساعة واحدة ، نسأل الله العون " وذهب بهدية ليقيده .
وأخذ يضايق كل التلاميذ والمعلمين أثناء وجوده فى المدرسة " ولا يكادون يضعون شيئا من متاعهم إلا ويبادر

بسرقته ، واستمر على ذلك مدة عام ، حتى كاد أن يحفظ القرآن ، وذات يوم طلب المعلم سمبو أن يذهبوا ويقطعوا العشب من الغابة ، ولما ذهبوا أخذ كل منهم يقطع ما أمر به ، إلا هدية استطاع أن يبتعد عن باقى الأولاد ، وأخذ منجله وبعض الحجارة وظل يضرب بها القيد حتى انفتح، فسوى مساحة من الأرض وكتب عليها بيده يقول " يا سيدي هاك حديدتك ، ولتبحث عمن تقيده بها غيري " وأخذ القيد والمنجل ووضعهما على الأرض وولى هاربا.

انتهى الأولاد من جمع العشب ، وربط كل منهم ما قطعه ، وبحثوا عن هدية فلم يجدوه حتى عثر أحد الأولاد على القيد والمنجل فأخذهما وقرأ ما كتب ، فأعادهما إلى مكانهما ونادى الأولاد ليروا ، فلما عادوا أخبروا المعلم سمبو .

## الولـــد يهــرب مـــرة أخـــرى :

وفى الحال ذهب إلى المعلم شيخو وقال لـــه وهـــو آســف " جئت لأخبرك أنني بعثت الولد ليجمع العشـــــب مـــع رفاقـــه ، فـهرب "

قال المعلم شيخو " صه ، فقد وقع ما كنـــت أخشـــاه ، لقــد فارقنى الولد الآن ، وأنى على يقين أن الله لـــن يجمعنـــي بـــه مرة أخرى إلا على الحزن والعار ، فمـــا العمـــل ؟ "

أما هدية فقد هام على وجهه كشأنه ، وبحـــث عنـــه أبـــوه كثيراً ، فلم يسمع عنه خـــبرا واحـــدا ، فلـــم يجـــد بـــدا مـــن الصبر ، وأخـــذ يحـــدث نفســـه قـــائلا "لا شـــك أن الأخبـــار ستأتيني فى أى وقت بأنه ارتكب جريمة فـــى مكـــان مـــا ، إلا إذا توفـــاه الله "

أخذ هدية يتسكع فى البلاد حتى شـــاء الله أن يصـــل إلـــى مدينة كبيرة مثل جلما ، بينهما وبيـــن قطـــار الســكة الحديـــد مسافة ليست بعيدة ، وعندمـــا وصـــل إلـــى هـــذه المدينـــة ، بحث عن قرعة صغيرة ، ليتلقى فيـــها المـــال الـــذي يجمعـــه من التسول إذا أقبل المساء ، أو يعمل خادمـــا لأحـــد التجـــار

وكان أحيانا لا يرد المال لصاحبه فينهال عليه ضربا ويطرده .

وذات يوم ذهب إلى موظف يعمل في حانوت تجارى، وأبدى له رغبته فى أن يعيش معه ليحضر إلى زوجته الماء ، ويخدم فى المنزل ، فلما شعر الرجل أنه ولد ذكى، وحسن المنظر ، قال له سأستشير زوجتى، إذا رضيت فسآخذك .

وأخذ يمر عليه كل يوم ، وذات يوم قال له الكاتب " اذهب إلى بيتي وامكث فيه . " سأله الكاتب " أين مدينتكم؟"

قال " مدينتنا بعيدة ، لا أعرفها ، لأن والدى مات منذ كنت طفلا صغيرا ، فتركت لجدتى ترعانى ، فماتت هى الأخرى فى مدينة ما ، هو ما جعلنى أطوف فى البلاد . "

ومكث فى منزل الكاتب ، وقد وضعت فيه الزوجة وزوجها ثقتهما ، حتى أخذ يدخل الحانوت فى أى وقت يشاء . إذا ذهب الرجل إلى منزله لتناول الطعام تركه يحرس له الحانوت . وتخلى هدية عن طبعه السيء ، ولكن ذلك كان تخطيطا ماهرا خبيث .

## يعـد لارتكـاب جريمـة :

وذات يوم قال للكاتب " سمعت أن البطاطين والملابس الأوربية تربح كثيرا فى مدينة سامبو ، وأرى أن تزودنى بسلع لأذهب إلى هناك ، وربما حصلت على ربح أكثر ، وإذا بعت السلعة أشترى بعض الفول السودانى "

قال الكاتب " حسنا ، عنما يأتى القطار غدا سأعد لك بعض السلع لتذهب بها ، وسأعطيك بعض المال " ففرح كثيرا .

وفى المساء أعد له بعض السلع بمبلغ عشرين جنيها ، وفى الصباح أحضر عشر جنيهات وقدمها إليه ، وطلب منه أن يشترى بها بعض الفول السودانى قبل أن يبيع السلعة . ووضع له البضاعة فى القطار .

وما كاد هدية يخرج بهذا المال حتى بدده مع ما بدد من ثمن السلعة ، ولم يشتر شيئا ، ومضت الأيام ولم يسمع عنه الكاتب خبرا واحدا ، فبعث إليه أحد خدمه ليذهب إليه ليعرف ماذا أصابه . وكشأن الناس فى هذه الحياة ، لا يعدم الثرى من يلتفون حوله ، فأسرع أحد

الأولاد وسبق خادم الكاتب وأخبر هدية بأن الكاتب قد بعث خدمه ليبحثوا عنه ، فلما علم بذلك جمع ما تبقى لديه من بضاعة وأخفاها ، ثم أشعل النار فى الحجرة التى يقيم فيها ، ثم عاد وجلس حائرا .

ولما جاء خادم الكاتب ووجد أن هدية لا يملك شيئا حتى الثياب فيما عدا خرقة بالية ، سأله أين البضاعة ؟ "

قال " البضاعة أتت عليها النيران ، وسرق منى المال" .

لم يقل له خادم الكاتب شيئا ، ثم عاد وأخبر سيده ، وفى الحال بعث من يتجسس عليه ، فعلم أنه بدد المال ، وهو الذي أشعل النار فى الحجرة بيديه .

وعنما عاد الخادم مرة ثانية طلب من سيده أن يشكو هدية إلى الأمير ، فبعث بمن جاء به مسرعا ، واستمع الأمير إلى كل الوقائع ، واستدعى هدية وتأكد من سوء سلوكه ، وسأله عن مدينتهم ، فقال أنه من جلما ابن المعلم شيخو من جلما

قال الأمير " لعنك الله ، لقد صرت ولدا فاسدا ، طالما سمعت أخبارك " وفى الحال كتب رسالة وبعثها إلى جلما ليخبر أباه أن ابنه قد قبض عليه مذنبا .

## استدعى أبوه :

عندما وصلت الرسالة إلى المعلم شيخو قرأها ، فوقع فى المنزل من شدة الحزن والغضب ، وقال " لقد عرفت أننى لن ألقى هذا الولد مرة أخرى إلا لأمر محزن "

وفى أحد الأيام استعد وأخذ بعض المال ليدفعه كتعويض ، وبعض الثياب والمال ليستميله ليعود معه إلى المنزل ، وبعد عدة أيام وصل إلى المدينة التى حبس فيها، فأمر الأمير باستضافته ، وعندما طلع النهار جاءوا بهدية من السجن ، وذهب المعلم شيخو وذكر الوقائع أمامه ، فقال الأمير " كم عمر ابنك يا معلم شيخو ؟ "

قال " أطال الله عمر الأمير ، عمره اليوم أربعة عشر عاما وثلاثة أشهر "

قال الأمير " لم يبلغ الرشد ، طبقا للشريعة الإسلامية ، والقانون لا يعاقبه بالحبس ، ولكنك أنت الضامن له ، فعليك أن ترد المال الذي سلبه من الكاتب ، وبعد أن تدفعه ، سنعطيك ابنك ، لتذهب به إلى منزلك لترعاه ، وإذا لم تستطع رعايته ، لن تنتهى مشاكلك معه . " فدفع

المعلم شيخو المال ، وشكر الأمـــير ، واســـتلم هديـــة وعـــاد إلى منزلــهما .

قضى المعلم شيخو الليل يسترضيه ليتخلـــى عـــن طباعـــه، ولم يترك شـــيئا إلا ووعـــد أن يقدمـــه إليـــه ، إذا عـــاد إلـــى المدينة وغير سلوكه ، وفى هذه الليلـــة اشـــترى لـــه قميصـــا يصنعه النوبيون وســـروالا مزركشـــا وعمامـــة وقدمـــها إليـــه فوعده هدية بأن يكون ولدا طيبا إذا عـــاد إلـــى المدينـــة ولـــن ينحرف مرة أخـــرى .

ولما طلـــع النـــهار ذهـــب المعلـــم شـــيخو إلـــى الأمـــير واستأذنه فى الرحيـــل ، وبـــدأ رحلـــة العـــودة هـــو وخدمـــه وابنه. ومرت الأيـــام ولـــم تبـــق إلا اســـتراحة واحـــدة فـــى الطريق يصلون بعدها إلى مدينة جلما ، فلمـــا أقبـــل الليـــل ، وخلى الطريق من السالكين ، بعـــد أن نـــام الجميـــع ، دخـــل هدية الحجرة التى ينام فيها أبوه ، وأخذ مالـــه وثيابـــه وولـــى هاربا .

## الولــد يهــرب مــرة أخــرى :

ولما طلع النهار لم يجد المعلم شيخو هديــة ، فبحــث عــن الثياب والمال فلم يجد لها أثرا ، ونــادى خادمــه وقــال لــه " لقد سرقت ، أين الولــد؟"

قال " عندما فارقته ليلا قال لي أنه ســيذهب ليتجــول فــى المدينة ، وذهبنا معا ، ولكنى عــدت قبلــه . "

قال المعلم لا حول ولا قوة إلا بــالله ، وســلم أمــره إلــى الله ولم يجد ما يقوله للناس ، فبحــث عــن الولــد فــى كــل مكان فى فى المدينة فلم يعثر له علــى أثــر ، فركــب وعــاد إلى المدينة حزينا حائرا وقد أعيتــه الحيــل . وبعــث بخدمــه فى كل البلاد ليبحثوا عن هديــة ، فعــادوا إليــه بعــد عــدة أشهر ولم يسمعوا عنه خــبرا .

لقد هرب هدية ولم يتوقف إلا فى مدينة كــانو ، وبــاع مــا سرق من أبيه بثمن بخس ،الســروالين اللذيــن قدمــهما إليــه أبوه ، وأخذ يبدد المال ويحيا حياة المفســدين ، وأخــذ يســرق كل ما يقع تحت يديــه .

وذات يوم منعت الحكومة التجول ليـــلا ، فخــرج بعــد أن نام الناس ، ودخلا منزلا ، فرآه الحـــراس ، فتغــافلوا عنـــه ، ثم ذهبوا واستنجدوا برجلين وجاء الخمسة واختبــأ كــل منـــهم في أحد أركـــان المـــنزل ، ودخـــل أحدهـــم المـــنزل وأيقــظ الخادم وقال له " رأينا الآن لصا يدخل هـــذا المـــنزل ، أدخـــل وأيقظ ســيدك . "

فدخل الخادم وأحاطوا بهديـــة وأمســكوا بمـــا ســـرق مـــن الأقمشة وثيـــاب النســـاء ، وقيـــده بالثيـــاب التـــى ســـرقها ، وأمسكه الخادم وأخذ يصيح " لص لـــص " فـــألقى هديـــة مـــا استطاع من مسروقات ولكن الحـــراس ســـرعان مـــا دخلـــوا وقبضوا عليه ، وذهبوا به إلى رئيـــس الحـــراس ليـــلا حيـــث قضى الليـــل .

وفى الصباح قادوه إلـــى مـــنزل القـــاضى ، فحكـــم عليـــه بالسجن ســـنتين .

## شخص يأتى بأخبار الولد :

ومرت الأيام وذات يوم جـاء رجـل مـن كـانوا بسـلعة ونزل فى منزل المعلم شيخو ، وأثنـاء الحديث قـال " لقـد كثر اللصوص فى مدينة كانو ، منذ أكـثر مـن سـتة أشـهر قبض على ولد شكله كذا وكذا ، دخل مـنزلا وسـرق متـاع النساء ، فحكم عليه بسـنتين "

عندما سمع المعلم الوصف الذى ذكـره الكنـوى ، حـدث نفسه قائلا " لابد أن هذا الولد هو ابني " ثم نـادى مـن يثـق فيه من خدمه ، وقال له " أنت تـرى الآن مـا بينـي وبيـن أهل المدينـة ، لا أرى منـهم إلا الأكـاذيب ، لقـد صـرت سخرية لدى الجميع بسـبب هـذا الولـد ، أريـد أن تذهـب لمدينة كانو ، سأعطيك بعض السلع لتبيعـها ، اذهـب وعـش هناك ، وأسأل سـرا عـن الولـد، وانتبـه جيـدا ، لعـل الله يهديك إليه فى السجن ، وإذا رأيته ابعث لـي برسـالة . "

قال الخـادم " وهـو كذلـك ، أسـأل الله أن أراه " وزوده المعلم شيخو بالبضائع واشترى له ثلاثيـن جـوالا مـن اليـام وجهزها للنقل بالقطار ، وذهب الخادم وعـاش فـى المدينـة

يبيع البضاعة ، ويتسمع الأخبار ، وبـــاع اليـــام وبعــث إليــه بأنه لم يعثر عليه حتى الآن ، وطلب منه مزيــدا مـــن اليـــام ، فبعث له بخمسين جوالا أخـــرى ، وذات يـــوم خـــرج ليتسـلم اليام من محطة القطار فقـــابل هديـــة مـــع المســـاجين الذيـــن خرجوا للعمــل .

عندما رآه هدية شاح بوجهه ، فأخذ الخـــادم يتحـــدث مـــع السائق بعد أن بادله التحية ، وقال له " أنـــــه رأى ابـــن ســيده المقيم فى مدينة جلما ، ضمن هـــؤلاء المســاجين ، وقـــد فـــر من منزل أبيه منذ عدة سنوات ، فنادى الســـائق هديـــة وقـــال له " ها خادم أبيك " فجاء وتبادلا التحيــــة وســـأله عـــن أمـــه وأخبار المـــنزل ؟

قال له الخادم " كم شهرا بقى لـــــك ؟ "

قال " بقى ستة أشهر " والواقع أنــــه ســيخرج بعــد شـــهر واحد فقط وأخرج الخادم بعض المال وقدمــــه إلـــى كـــل مـــن السائق وهدية وذهب المسجنون إلى مكـــان عملـــهم ، وذهـــب الخادم إلى المحطة ليتسلم اليـــام .

وكلما أراد الخادم أن يـــرى هديـــة ، جـــاء ووقـــف فـــى الطريق ، فيحيه إذا التقى به فى الطريق ، ثـــم كتـــب رســـالة وبعثها إلى المعلم شـــيخو بأنـــه رأى هديـــة وجـــها لوجـــه ، وتحدث معه ، وبقى له ستة أشـــهر ثـــم يفـــرج عنـــه ، ولـــم يعرف الخادم أن هديـــة غـــادر الســجن ، وذات يـــوم ذهـــب

وجلس فى المكان الـــذي تعــود أن يـــراه فيـــه ، فلمـــا رأى السائق قال لـه " أين هدية اليوم؟ هل غير فرقتـــــه اليــوم ؟ "

قال السائق " لقد أفرج عنه أمس ، لقد ظننـــــت أنـــه بحــث عنك وذهب إليـــك .

قال والله لـــم أره

وفى الحال عاد إلى منزلـــــه ، وأعـــد متاعـــه ليعــود إلـــى مدينة جلما ، وقال لسيده كيف اختفـــى أثـــر هديـــة ، وكيــف علم أنه أفرج عنه وأن أحدا لم يعـــرف وجهتـــه "

## يتبـع الولـد الطويـل :

عندما خرج هدية من السجن ، التقى بلــص اسـمه الولـد الطويل ، قال أنه سيركب القطار إلى مدينـة ليجـوس ، لأنـه يقيم هناك ، فطلب منـه هديـة أن يقـوده ليذهبـا معـا إلـى هناك، لأنه لم يذهب إلى هناك أبـدا ، ولا يعـرف عنـها إلا ما يسمع من الأخبار ، عاشا معـا فـى مدينـة ليجـوس ، إذا ما شاء الله وسرقا معا ، كل ما يسرقه يعطيـه لهديـة ليبيعـه فى السوق ، ويأته بثمنه وعلى هذا عاشا معـا ، حتـى صـار هدية لصا خطيرا ، وصار النـاس يلجـأون إليـه لاسـترداد مسروقاتهم ، وبذلك جمـع مـالا كثـيرا ، وصـارا لصـان مشهوران فى مدينة ليجوس والمـدن المجـاورة .

وذات يوم سرقا من أنكرا سـرقة كبـيرة وهربـا فبحثـوا عنهما فلم يجدوا لهما أثرا فقـد قصـدا المرتفعـات واختفيـا بها وظلا يبددان ما سرقوا بحثوا عنهما فى كـل مكـان فلـم يسمعوا خبرا عنـهما ، فلـم يكمنـا فـى أيـة مدينـة فـى المرتفعات ولكنهما قصدا الغابـات الموحشـة ومكثـا فيـها ، ولم يغادراها إلا إذا نزلا إلى المدينة للسـرقة ، ثـم يعـودان مسرعين ، وبذلك لم يستطع أحد الوصـول إليـهما .

## والـده وأمـه يتشـاوران :

ضايق أمر الولد المعلم شيخو ، وعجز عمـا يفعلـه حتـى يرتاح قلبه وضميره بعد أن ظـل يعيـش فـى حـزن وألـم وترقب لما تأتى به الأيام من أخبـار مؤسـفة بسـبب ابنـه ، فقد أصبح لا يسـتطيع أن يواجـه أهـل المدينـة مـن شـدة الخجل ، إذا رأى بعض سكان المدينة مجتمعيـن ظـن أنـهم لا يتحدثون إلا عن ابنه ، وإذا خرج إلـى مكـان مـا ووجـد جمعا من الأولاد ، ظن أنهم يسـخرون منـه ويقولـون " هـا أبو اللص قادم " وإذا التقى بمـن يعـرف أخبـار ابنـه فـى الطريق شاح بوجهـه حتـى لا يقـع عليـه بصـره ، حتـى أصبح لا يخرج من منزله خجلا ، فجلس فـي بيتـه فريسـة للأفكار والظنـون .

أما زينب فقد مكثت فى منزلها فى هـم وقلـق ، لأنـها إذا اجتمعت مع ضراتـها ودار بينـهن أى حديـث سـواء كـان حادا أو غير حاد ، أخذن يسخرن منها قـائلات " مـا أسـوء هذا الزوج ، يذهب الرجـل فيـتزوج مـن تنجـب لـه ابنـا أمهر من الفأر فى السرقة " . فتنفجـر فـى البكـاء ، حتـى حرمت من متعة الحياة ، وذبل جسـمها ، وفـى أحـد الأيـام ذهبت إلى زوجها وقالت له " لقـد رفضـت كثـيرا الـزواج

منك ولكنك أرغمتني ، وهذا ما جلب لي هذا الزواج ، والله لو كنت أعلم قبل أن أتزوجك ما سيصير من أمرى ما قبلته لو كان مزاحا ، وكان الأفضل منه أن ألقى بنفسي فى البحر أو أموت ، ماذا يسرني فى هذه الحياة ؟ والله بيني وبينك فيما بقى من حياتي"

لقد ملأ هذا الكلام قلب المعلم شيخو حزنا وغضبا ، حتى أصبح كل أمله أن يهجر مدينته ومنزله وكل ما يملك، ويذهب إلى أية مدينة لا يعرفه أحد فيها ، ويعيش فيها هاديء النفس .

وذات يوم استدعى زينب وانفرد بها وقال لها " السبب الذي ناديتك من أجله ، هو الكلام الذي سمعته منك وملأ قلبي حزنا وهما ، هل تظنين أن ما يقوله الناس عنا لا يضايقني ؟ سأخبرك أنني فكرت فى نفسي فى أن أهجر المدينة ، وأترك كل شيء، وأذهب لأعيش فى مدينة أخرى فى سلام ، حيث لا يعرفنى أحد ، هل تأتين معي؟"

قالت " لن أترك والدى ، لأذهب إلى مكان لا أعرفه وأعيش فيه ، إذا كنت ستذهب فاذهب وإلى أن نلتقى . "

قال " هل الحياة فى هذه المدينة تسعدك حتى لا تريدين هجرها ؟ ألا تعرفين أننى إذا هاجرت من المدينة ، فستنصب على رأسك وحدك كل ألسنة الناس، حتى

يسمونك بأم الولد الفاسد ، ومن أجلك هجر زوجك ماله ومنزله ؟ "

قالت " كل ما يريدون قوله فأنك أنت السبب "

واتبع كل السبل لاقناعها ، وبصعوبة استطاع التغلب عليها ، ولكنه اتفق معها أنه سيخبر الناس أنه سيتوجه إلى حج بيت الله الحرام ، حتى لا يعرفوا مقصده .

## يهجـران المدينـــة :

وذات يوم جمع كل زوجاتـــــه وقـــال لـــهن " لقــد نويـت الذهاب لأداء فريضة الحـــج ، ولكـــن ســأذهب مـــع زينـب فقط. وعليكن أن تصبرن ، حتى يجمعنا الله مـــــرة أخــرى .

وأحضر مالا كثـــيرا وطعامـــا وتركـــه لـــهم ، واســتدعى كبير خدمه وولاه كل شئون المنزل واســـتأذن مـــن الأمـــير ، ولم يذهب مع أحـــد مـــن خدمـــه ، وأحضـــر زاده ووضعــه على ظـــهر الحمـــار ، وأحضــر جمـــلا وركبتـــه زينــب ، وخرج واصطحبه أهل المدينة مودعيـــن ، وهـــم فـــى دهشـــة من هذه الرحلة التى يقوم بـــــها .

وواصلا السير ومرت الأيـــام ، وبعـــد شـــهرين تقريبـــا ، عندما أدرك أنه بعد تماما عن المنطقة التـــــى عـــرف فيـــها ، نزل فى مدينة كبيرة تسمى جروجى وهى مدينـــــة بـــها ســوق كبير . فذهب إلى منزل الأمير وأخبره أنـــــه ضيـــف ، يريــد أن يهبه الأمير مكانا يعيش فيه ، لأنه يـــرى المدينـــة منطقــة تجاريــة .

فرح الأمير فرحا شديدا وسأله " مـــا اســـمك ؟ "

قال " المعلم عثمـــان "

" من أى مدينة جئـــت "

فاختار مدينة لم يسبق للأمير سماعه من قبــــل وذكــره .

أعد له الأمـــير مـــنزلا وأنزلـــه فيـــه ، واســتأنف حرفــة التجارة ، حتى جمع بعض المـــال ، فـــأصلح منزلـــه جيـــدا ، ونمت ثروة المعلم عثمان شيئا فشيئا ، وصـــــارت تشـــد إليـــه الرحال ويمتلأ منزله بـــالخدم .

## ينتقـلان إلـى مكـان جديـد :

وذات يوم كان هديـة ورفيقـه يتجـولان ، فانتـهى بـهم المطاف فى قرية بالقرب من مدينة جروجـى فـنزلا فيـها ، وذات يوم خرجا يتجـولان فـى المدينـة ، فـالتقى برجـل ، وأخذا يتحدثان معه ، قائلين " هذه المدينـة بـها الكثـير مـن الأثرياء ، ليست كمدينتنـا "

قال " فعلا هذه المدينة ، الحمد لله يعمـها الرخـاء "

قالوا له " لقد مررنا على بوابـة ذلـك المـنزل ، ورأينـا منزلا ذا حائط مرتفع ، وتحيط بـه الأشـجار ، كأنـه مـنزل السلطان ، هل هو منزل الحـاكم؟"

قال " من أى ناحية ؟ " فأشارا إليـه

قال " لا ، ليـس مـنزل الحـاكم ، مـنزل رجـل ثـرى غريب ، اسمه المعلم عثمان ، نزل هـذه المدينـة منـذ عـدة سنوات قليلة ، والآن تشد إليـه الرحـال "

قالوا " لماذا حصن منزله هكــذا ، وأحاطــه بــهذا الســور من الأخشاب لا ترى هذا السور فـــى مدينتنــا حــول مــنزل الأمير ، هل يخشى اللصـــوص؟"

قال " نعم ، إنكم تعلمون أنه رجــل ثــرى ، لقــد ســمعت أن من يتحـــدث عــن اللصـــوص ، أمامـــه مــن خدمــه أو زواره، لا يرحب بهم بعد ذلـــك "

قالوا " ربمـــا ســرق مــرة ، ســنذهب لنشــترى بعــض الأشـياء "

وسارا فى طريقهما ، ولفا حول مـــنزل المعلــم عثمـــان ، وأخذا يحومان حوله ، ويتفقدانه جيدا ، وعندمـــا انتــهيا ســلكا طريقهما وعادا إلى الغابة وكـــل منــهما يقــول للآخــر " إذا وفقنا الله سنجمع ما فى هذا المـــنزل مــن ثــروة ، إذا كــان يتهرب من اللصـــوص بتحصيــن منزلــه هكــذا ، فســيعرف كيف يقهرونـــه " .

وعندما أقبل الليل وخلت الطـــرق مــن الســالكين قصــدا هذا المنزل الـــذى طافــا حولــه نــهارا ، وأخــذا يســترقان الخطى ويتواريان فى ظل الحـــائط فلمـــا اقتربـــا منـــه طافـــا حوله يبحثان عن مدخل لهما ، ولمســـا البوابـــة فســـمعا لـــها صوتا مرتفعا ، فقالا لنتجول فـــى المكـــان لعلنـــا نجــد ســلما خشبيا ، فسارا فى الطريق حتى رأيـــا رأس ســلم مــن بعيــد

فى منزل ما ، فذهبا إليه ، وحنـــى هديـــة ظـــهره ، وصعــد رفيقه فوقه وأمسك الحـــائط وتسـلق عليــه ، ونـــزل وأخــذ السلم وسنده على الحائط ، وصعد وســحبه وأعطـــاه لهديـــة ، وأخذاه وذهبا به وأسنداه على حـــائط مـــنزل المعلـــم عثمـــان وصعدا عليه وسحباه وأنزلاه داخل المـــنزل ، ونـــزلا عليـــه ، وأخذا يدوران فى المنزل ليعرفا مسالكه ، ثـــم قصـــدا حجـــرة صاحب المنزل الخاصة ، وأخذا يســترقان الســمع ، فســمعاه يغط فى نوم عميق ، وطلـــب هديـــة مـــن رفيقـــه أن ينتظـــر على البوابة حتى يدخل فـــإذا سـمع حركـــة بـــالداخل أنـــذره وإذا لم يسمع شيئا ، سيمده بكل ما يجد مـــن متـــاع .

ودفع هدية الباب ببطيء ودخـــل ، ووقـــف صامتـــا ، فلـــم تصدر أية حركة مـــن صـــاحب المـــنزل ، فدخـــل متســـللا ، فاصطدم بإناء من معدن فوقـــع، فاســـتيقظ صـــاحب المـــنزل وقال " أنت أنت من من ؟ " فاختبـــأ هديـــة .

## الولــد يقتــل أبـــاه

إلا أن صاحب المنزل رأى ظلــــه علــى البــاب فدفعــه ، فقام هدية مسرعا وأمســـكه بشــدة وأوقعــه علــى الأرض ، فهب رفيقه مسرعا ودخل المنزل ، وســـد فمـــه ، فحــاول أن يتخلص منه ، فاستل هدية سكينا وطعن به أبـــاه فــى قلبــه ، وجذبه حتى شعر بجســـده يتـــهاوى ، حينئــذ ســمع أصواتـــا ينطلق من الخـــارج . فشــعرا بـــالخوف ، وهمـــا بـــالفرار ، وعند ذلك سمعا امرأة تقول " ماذا يحدث فى هـــذا البيــت ؟"

فرد عليها هديــــة قــائلا " لا شــىء أنـــا أطــوف حــول المنزل"

قالت " وى ، عندما تكلـــم تذكرنـــى بـــابني عبـــدالله " ثــم أشعلت الكبريت فرأت أبنها ، ورأى أمــــه التـــى فارقـــها منـــذ عدة ســنوات .

## يتحــدث إلـــى والدتـــه :

قالت " عبدالله هل عدت ؟ " إلا أنــــه عجــز عــن الكــلام ،فوقفا ينظران لبعضهما ، والولـــد الآخــر مختبـــيء ، حتـــى مل الانتظار فقال " أنت ، ألا تعــرف أننــا فـــى خطــر ممــا فعلنا ، ثم نقف ونتحدث مـــع النســاء ؟ " ولكنـــه لــم يعــره اهتماما ، حتى غضب رفيقه وقـــال " انتظــر لشــأنك وســأفر أنا "

قالت زينب " ماذا جاء بك إلـــى هــذا المــنزل فـــى هــذا الوقت من الليـــل؟"

قال " هل نسيتي حرفتـــي ؟ "

قالت " هل عجزتم عـــن الســرقة حتـــى تــأتى لتســرق منزل أبيــك ؟ "

قال " أبي ، متى جئتم من جلما وأقمتـــم هنـــا ؟ "

قال " والله تالله ، لـــم أعــرف ، ولا فـــى المنـــام أن هــذا منزل أبي " وهنا أخذ جسمه يرتعش وشـــعرت أمـــه بـــالخوف فقالت " ماذا حـــدث ؟ "

قال " دخلنا حجرة هنا لنسرق ، فهاجمنا رجـــل فطعنـــاه "

قالت زينــــب " طعنتــم رجـــلا ، الله أكــبر ، والآن أيــن يرقد، هيا بسرعة لـــنراه "

فذهبا ودخلا الحجرة ، أشعلت زينــــب الكــبريت ، فــرأت الرجل منكبا على وجهه فـــى الـــدم ، فخفــق قلبـــها وقـــالت " حركة "

فحركة هدية فـــأدرك أنـــه أبـــوه فـــاقتربت منـــه وهزتـــه فأدركت أنه لا يتحرك ، فـــانفجرت فـــى البكـــاء ، وتذكـــرت كلام أبى بكر ، عندما قال لها أن أبنها ســـيقتل أبـــاه .

عندمـــا رأى هديـــة مـــا فعـــل ، طـــار عقلـــه ، وصـــار كالمجنون واستل سكينه وكاد يقتل نفســـــه ، فأمســكت زينــب بيده وقالت " انتظر لا تقضى على نفسك ، لـــى معـــك حديـــث طويل " وقصت عليه كل ما كان بينـــــها وبيـــن أبـــى بكـــر ، وكيف كان السبب فيما أصابه من لعنة وفســـاد فـــى الحيـــاة ، حتى وصل الأمر إلى قتل أبيه . وقـــالت " أرأيـــت كـــل مـــا

فعلت منذ البداية ، لا ذنب لـــك فيـــه ، هـــذا مـــا قـــدره الله ، ولكن علينا الآن أن ننتظر لنعرف الجزاء الـــذى ســـينالنا مـــن الله " .

وكتمت سرها ، ثـــم ســـمعت صياحـــا واســـتغاثة خـــارج المنزل " لص لص : فنظـــروا لبعضـــهما وقـــالت " أســـمعت لقد أمسكوا برفيقك ، بسرعة أخرج حتـــى لا يجدونـــك هنـــا " ثم أمسكت يده وجذبته وطـــافت بـــه فـــى ممـــرات المـــنزل ، حتى وصلا الباب ففتحه له وخرج منـــه ، وعـــادت وأغلقـــت حجرتها ، وبعد قليل سمعت أصوات النـــاس قـــادمين ، حتـــى وصلوا إلى باب المـــنزل ، فقرعـــوا البـــاب ، ففتـــح الخـــادم فنظر فوجد كثيرا من الناس فقال " مـــاذا حـــدث "

قالوا " أمسكنا اللـــص ، رأينـــاه علـــى حـــائط المـــنزل ، فتتبعناه وقبضنا عليه ، اذهب وأيقـــظ ســـيدك "

فأسرع الخادم إلى حجرة سيده ، فـــرأى البـــاب مفتوحـــا ، فوقف على الباب وأخذ يناديه " يا سيدي ، يـــا ســـيدي " فلـــم يرد أحد ، فرفع صوتـــه فلـــم يـــرد أحـــد ، فدخـــل الحجـــرة فتعثرت رجله فى جثة رجل ، فصـــرخ وقـــال " اقبلـــوا هـــا هو اللص " فقصدوا البـــاب مســـرعين يصيحـــون ، واندفـــع الناس إلى داخل المنزل ، واختلفوا فيمـــن ســـيدخل ، فأشـــعلوا مصباحا فرأوا رجلا ممددا غارقا فى دمائـــه فدخلـــوا فعلمـــوا أنه صاحب المـــنزل .

هـو ، هـو :

فقال الجميع لا حول ولا قـوة إلا بـالله " لابـد أن اللـص هو الذى فعل هذا ثم انـهالوا عليـه ضربـا ، فـأخذ يصيـح ويقول اتركونى ، لم أقتله رفيقي هو الـذى قتلـه ؟

قالوا : " كذاب ، أين هو رفيقـك ؟ "

قال " مازال حتى الآن داخل المنزل ، لـم يخـرج ، لأنـى عندما خرجت تركته بـالداخل " .

قالوا " كذاب ، كيف يفعـل الإنسـان هـذا العمـل ، ثـم تخرج وتتركه فى الداخل ، هل تظننـا مجـانين ؟ "

قال " والله تالله هذا حقيقي ، ابحثوا عنه ، لابـد أنـه فـى الداخل لم يخـرج "

ثم انتشروا فى المنزل ، ولـم يـتركوا مكانـا إلا وبحثـوا فيه ، فقد اتبعوا كل المسالك والطرقات ، فلـم يـروا أحـدا ، فسألوا النساء نساء المنزل هـل خرجـت إحداهـن ، فقـالوا جميعا لم يخرج أحـد ، إلا عندمـا سـمعن الصيـاح ، فقـال الناس " لقد عرفنا منذ البداية أنـه كـذاب "

ثم ذهبوا به إلى منزل الأمير ، فأمر بارساله إلى السجن فى نفس الليلة ، ثم عادوا وكفنوا المعلم عثمان ، وعاد الكل إلى منزله .

وعندما طلع النهار أخذ الولد الطويل من السجن ، وسألوه عن اسم الولد الذي يدعى أنه معه ، فقال " أظن أن اسمه أبو بكر "

" أنت لا تعرف اسمه أيضا "

" أظن أن اسمه هكذا "

" من أية مدينة ؟ "

" لا أعرف اسم مدينته "

" وأنت ما اسمك ؟ "

" الولد الطويل "

" من أية مدينة "

" إيبو "

" كذب ، هل توجد مدينة فى هـــذه الدنيـا اسـمها ايبــو ؟ وارجعوا به حتى نتحقق من كلامــــه . "

وقضى فترة فـــى السـجن أثنــاء التحقيـق ، وكــان فــى السجن بئر عميق جـدا مملــوء بالمــاء ، وذات يــوم خــرج عصرا ليحضر الماء منه فوقـــع فــى البـئر ، فلمـا جـاءوا لإنقاذه وجدوه قد مـــات .

أخرجوه وذهبوا إلـــى الأمـير وأخـبروه أن اللــص قـد مات، فقال الأمير " لقد نال جزاءه " أمـــا هديـة فلـم يتوقـف فى أى مكان بعد أن خرج مـــن المـنزل ، وبعـد أن تجـاوز المدينة توجه إلى مدينة جلما مباشــرة ، وبعــد خروجــه مـن المدينة هبت عاصفة شديدة ، وســقط المطـر غزيـرا ، فلـم يأبه لكل هذا ، فقد كان كل همه هـــو الوصــول إلـى مدينـة جلما ، لم يتوقف ، ولم يلتـــف حولــه كأنــه كلـب مجنـون حزين لما ارتكب من آثام ، ويفكــر فيمــا قالتــه لــه أمــه ، وأصبح لا هدف له فـــى الحيــاة إلا أن يلتقــى بــأبى بكــر ، وينتقم لما أصابــه .

## يذهب لأخذ الثأر :

طلع عليه النهار فى الطريق ، واشتدت حرارة الشمس، وأقبل الظهر ثم المغرب ، واستمر على ذلك يومين لا يأكل ولا يشرب ، حتى إذا وجد شيئا فشيئا قليلا من الطعام اشتراه ، يأكله وهو يسير فى الطريق وإذا شعر بالحاجة إلى النوم ، ينام قليلا ، ثم يقوم ويستأنف الرحلة ، وهكذا حتى وصل إلى مدينة جلما ، ولم يتوقف فى أى مكان فى المدينة إلا فى منزل عدوه أبي بكر ، فدخل المنزل دون استئذان ، فوجد امرأة فلما رأته كالمجنون أشعث أغبر والسيف مسلولا فى يداه أصابها الرعب .

زجرها قائلا " أنت ، أين أبو بكر ؟ "

تحيرت ، ولم تستطيع الكلام رعبا ، فأمسك عنقها وهزها قائلا

" لألم نسمعيني أسألك ؟"

فأشارت له بيدها فى إحــدى الحجــرات ، وقــد أعجزهــا الخــوف عــن الكــلام ، فألقاهــا علــى الأرض ، ودخــل الحجــرة، فقــامت ، وقبــل أن يصــل أسـرعت وتصــدرت الباب، وقالت " لا تدخــل إ إن صــاحب البيــت يعــاني مــن آلام الاحتضــار "

قال " افسح لأسبق القدر إليه ، فاليوم حــانت نهايتــه "

ثم دفعها ودخل الحجرة ، وقال " أين أنــت ؟ " فلــم يســمع إلا حشرجة المحتضر وبعد برهة استطاع أن يــرى مــا فــى الحجــرة ، فــرأى رجــلا راقــدا علــى الســرير ، وعينــاه شاخصتان إلى السماء ، فتقــدم إليــه ، وأمســك كتفــه وأداره وقال " أبو بكــر ؟ "

ففتح فمه بصعوبة وقال " مــن ؟ "

قال " أنا هدية ابن المعلم شــيخو ، اليــوم حــانت لحظــة الجــزاء "

عندما سمع أبو بكــر هــذا الكــلام حــاول أن ينــهض ، ولكنه وقع علي ظهره وجسده يرتعش ، وتذكر كــل مــا قالــه لزينب قبل سنوات عديده ، فاســتغرق فــى تفكــير عميــق ، وأخذ يحدث نفسه قائلا " أعرف ذلك طالما قيــل لــي أن مــن

يعمل مثقال ذرة خيرا يـــره " ثـــم نظـــر إلـــى هديـــة وقـــال " جئت تنتقم منى ؟ ولكن القدر سبقك إلى ، لقـــد فعلـــت كـــل ما أريد أن أفعله فيك وانتهى الأمـــــر "

## لقــد تأخــرت :

ثم تمالك قوته واسـتطاع أن يجلــس ، ومـد يــده مشـيرا إليه ، وقال بصـــوت مرتفــع : لقــد تــأخرت ، الثـأر يــوم القيامة ، ثم وقع على الأرض وأســلم الــروح "

خرج هدية ، ولم يره أحد ، وأخذ يقول فـــى نفســه وهــو سائر " الله اكبر ، الله القاهر يفعل ما يشـــاء بعبـاده ! "

بعد أن خرج جاءت المرأة مـــع جيرانــها وهــم يتســاءلون أين الرجــل ؟!"

قالت " فى حجرة رب البيـــت " فدخلــوا فوجــدوه ميتــا ، وحيدًا ، فبحثوا فى كل المنزل فلم يجـــدوا أحـــدا "

قالوا " ما شكل هذا الرجـــل ؟ "

قالت " لن استطيع وصفـــه "

لأننــى حينما رأيته عجزت عن الكـــلام

فقالوا " لابد أنها رأت عزرائيـــل "

وامتلأ المنزل كله بصراخ النســـاء

ذهب هدية وجلس تحت شـــجرة خـــارج المـــنزل بـــالقرب من النهر ، بعد أن هدأت نفسه ، أخـــذ ينـــدم علـــى كـــل مـــا فعله منذ كان طفلا صغيرا حتى قتـــل أبـــاه ، ومـــرت عليـــه كل الأحداث كأنها حلم مخيـــف ، فقـــال " الله أنـــت المـــالك ، اعف عنـــي "

## يعــود إلــى منــزل أبيـــه :

ثم قام إلى النهر واستحم ، ودخل المدينـــة وقــص شــعره، واشترى ثوبا وارتداه وقصد مـــنزل أبيـــه ، والتقـــى بالخـــادم الذي ولاه أبوه أمر المنزل فـــى الســنوات الماضيـــة ووجــد النساء قد تفرقن جميعا فأخبره أنه هدية ابــن المعلــم شــيخو، وأن أباه قد مات فتعجــب الخـــادم لأنـــه يـــأس مـــن ســماع أخباره وأخبار أبنـــه .

أخذه الخادم وذهب معه إلــــى مـــنزل الأمـــير ، وبعــد أن تبادلوا التحية ، سأله الأمير من أيـــن جـــاء .

قال " من عند أبـــي "

قال الأمير " هل هو حي ، منذ أن فارقنا لـــم نســمع شــيئا من أخبـــاره؟"

قال هدية " عندما هاجر من هنا ذهب إلــــى مدينـــة تســمى جروجي ، حيث عاش هذه السنوات ولكنـــه مـــات الآن لذلـــك جئت لأرى حال المنزل قبل أن أعود لأحضـــــر والدتـــى "

قال الأمير " هل اهتديـــت ؟"

قال " أطال الله حياتك " لا أحب أن أسمع شـــيئا عــن هــذا الأمر ، ما مضىٰ لا رجعة لــــه "

## الأميـــر يباركـــه :

عندما سمع الأمير ذلك فرح كثـــيرا ، وباركـــه ، وقـــال " إذا كان ما تقوله حقا ، أريد أن تعود وتقيـــم هنـــا مـــن أجـــل المحبة التى تجمعني بـــأبيك

قال هدية " أطال الله حياتك ، شـــكرا ، عندمـــا أعـــود لـــن أنال شيئا من ميراث أبى حتى أرد الحقـــوق إلـــى مـــن لـــهم على "

ثم استأذن وخرج ، ولم يـــأخذ شـــيئا مـــن مـــنزل أبيـــه ، حتى الزاد ، وواصل رحلة العـــودة إلـــى جروجـــى فوصلـــها بعد عدة أيـــام

ذهب إلى أمـــه وأخبرهـــا بكـــل مـــا حـــدث وقـــال " الآن ينبغي أن نعود إلى مدينتنا وتعيشين هناك فـــى مـــنزلك "

قالت " وهو كذلك أنـــت تعـــرف أننـــى لـــم أهجرهـــا إلا مكرهة لأعيش هنـــا "

ذهبت وأخبرت الأمير أن ابنها قــد جــاء فقــال الأمــير " هل المعلم عثمان له ابن ؟ " أحضريه لأراه " فذهبــت إليــه.

عندما دخل نظر إليه الأمير وقال " لا شك أنــه ابنــه ثــم التفت إلى زينب وقال له " وهو كذلك وهــل لــه أخ ؟ "

قالت زينب هو الوحيــد "

سألها الأمير " هل تأتى لتعيشي فــى سـنكا ؟ "

قال " لا ، جئت لأعود بوالدتــى "

فأمر الأمير أن يذهبوا به ليدلوه على كــل ممتلكــات أبيــه ويقدرونها ويخصموا منها العشر فلما تــم ذلــك سـلموه كـل شيء .

فطالب أن يجمع لــه كــل فقــهاء المدينــة ليدعــوا لأبيــه فاجتمع عدد كبير أمام منزل أبيه فخرج بكثــير مــن الأشــياء وأخذ يوزعها عليهم جميعــا ، حتــى انتــهت فدعــوا الله إن يرحم المعلم عثمان ثم تفرقــوا .
وفى اليوم التالى طلب أن يجمع لــه كــل المسـاكين فلمــا اجتمعوا خرج إليهم بمــا تبقــى لديــهم فــى مــنزل أبيــه ، ووزعه عليهم ، ولما نفذ المال أخــذ يــوزع عليــهم الثيــاب

والدواب ولكثرة ما كان لديه من ثـــروة لـم يبـق أحـد فـى المدينة إلا ونال من خيره ووزع كـل مـا ورث تمامـا ولـم يترك لنفسه الأبـرة .

وعندما انتهى من توزيـــع المـيراث ذهـب إلـى الأمـير واستأذنه فتعجب كل سكان المدينة الذيـن لـم يـروا صنيعـا مثل هذا من قبل ، وترك المدينة وسارت أمـــه وهـو خلفـها حتى وصلا إلى مدينة جلما ، فأنزلها فى مـنزل أبيـه وأخـبر الأمير وانتهوا من أمور الميراث وسلم كـل شـيء ليـد أمـه وقال لها " افعلي كل ما ترينـــه مناسـبا أمـا أنـا فسـأذهب وأبحث عما يخفف عني مــا ارتكبـت مـن أثـم ، لعـل الله يرحمنـي "

ثم خرج وهو لا يمتلك إلا عصاه ، وحقيبـــة كتبـه وإنـاء للوضـوء .

# المشروع القومي للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمدا المبادئ التالية :

١. الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
٢. التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
٣. الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
٤. ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
٥. العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
٦. الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

# المشروع القومى للترجمة

| | | |
|---|---|---|
| ١- اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢- الوثنية والإسلام | ك. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣- التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقى جلال |
| ٤- كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كاريتنكوفا | ت : أحمد الحضرى |
| ٥- ثريا فى غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦- اتجاهات البحث اللسانى | ميلكا إفيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧- العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكى |
| ٨- مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩- التغيرات البيئية | أندرو س. جودى | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠- خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى |
| ١١- مختارات | فيسوافا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢- طريق الحرير | ديفيد براونيستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣- ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٤- التحليل النفسى للأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن المودن |
| ١٥- الحركات الفنية | إدوارد لويس سميث | ت : أشرف رفيق عفيفى |
| ١٦- أثينة السوداء | مارتن برنال | ت: بإشراف: أحمد عتمان |
| ١٧- مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة | چورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠- قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح |
| ٢١- خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجى | ت : ماجدة العنانى |
| ٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢٣- تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤- ظلال المستقبل | باتريك بارندر | ت : بكر عباس |
| ٢٥- مثنوى | مولانا جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦- دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧- التنوع البشرى الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨- رسالة فى التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩- الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | جان سوفاجيه - كلود كاين | ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب |
| ٣٢- الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤- الرواية العربية | روجر آلن | ت : حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥- الأسطورة والحداثة | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٦- نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | ت : حياة جاسم محمد |
| ٣٧- واحة سيوة وموسيقاها | بريجيت شيفر | ت : جمال عبد الرحيم |
| ٣٨- نقد الحداثة | ألن تورين | ت : أنور مغيث |
| ٣٩- الإغريق والحسد | بيتر والكوت | ت : منيرة كروان |
| ٤٠- قصائد حب | أن سكستون | ت : محمد عيد إبراهيم |
| ٤١- ما بعد المركزية الأوربية | بيتر جران | ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد |
| ٤٢- عالم ماك | بنجامين باربر | ت : أحمد محمود |
| ٤٣- اللهب المزدوج | أوكتافيو پاث | ت : المهدى أخريف |
| ٤٤- بعد عدة أصياف | ألدوس هكسلى | ت : مارلين تادرس |
| ٤٥- التراث المغدور | روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين | ت : أحمد محمود |
| ٤٦- عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | ت : محمود السيد على |
| ٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨- حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ت : ماهر جويجاتى |
| ٤٩- الإسلام فى البلقان | هـ . ت . نوريس | ت : عبد الوهاب علوب |
| ٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى |
| ٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية | داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٢- العلاج النفسى التدعيمى | بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل | ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣- الدراما والتعليم | أ . ف . ألنجتون | ت : مرسى سعد الدين |
| ٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح | ج . مايكل والتون | ت : محسن مصيلحى |
| ٥٥- ما وراء العلم | چون بولكنجهوم | ت : على يوسف على |
| ٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود على مكى |
| ٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى |
| ٥٨- مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٩- المحبرة | كارلوس مونييث | ت : السيد السيد سهيم |
| ٦٠- التصميم والشكل | جوهانز ايتين | ت : صبرى محمد عبد الغنى |
| ٦١- موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور - سميث | مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى |
| ٦٢- لذّة النّص | رولان بارت | ت : محمد خير البقاعى . |
| ٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة) | آلان وود | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٦- خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٦٧- مختارات | فرناندو بيسوا | ت : المهدى أخريف |
| ٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى |
| ٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أوخينيو تشانج رودريجث | ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى | داريو فو | ت : حسين محمود |

٧٢- السياسى العجوز | ت . س . إليوت | ت : فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ | چين . ب . توميكنز | ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر | ل . ا . سيمينوڤا | ت : حسن بيومى
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية | أندريه موروا | ت : أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى | مجموعة من الكتاب | ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية | رونالد روبرتسون | ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف | بوريس أوسبنسكى | ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» | ألكسندر بوشكين | ت : مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة | بندكت أندرسن | ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل | ميجيل دى أونامونو | ت : محمود السيد على
٨٣- مختارات | غوتفريد بن | ت : خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد | مجموعة من الكتاب | ت : عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) | صلاح زكى أقطاى | ت : عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل | جمال مير صادقى | ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم | جلال آل أحمد | ت : ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب | جلال آل أحمد | ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث | أنتونى جيدنز | ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف | ميجل دى ثربانتس | ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربر الاسوستكا | ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر | كارلوس ميجل | ت : نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | ت : عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة | صمويل بيكيت | ت : فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى | أنطونيو بويرو باييخو | ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة | قصص مختارة | ت : إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا مج ١ | فرنان برودل | ت : بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى | نماذج ومقالات | ت : أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية | ديڤيد روبنسون | ت : إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة | بول هيرست وجراهام تومبسون | ت : إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج) | بيرنار فاليط | ت : رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح | عبد الكريم الخطيبى | ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء | عبد الوهاب المؤدب | ت : محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى | برتولت بريشت | ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع | چيرار چينيت | ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى | د. ماريا خيسوس روبييرا متى | ت : د. أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر | نخبة | ت : محمد عبد الله الجعيدى

| | | |
|---|---|---|
| ١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى | مجموعة من النقاد | ت : محمود على مكى |
| ١٠٩- حروب المياه | چون بولوك وعادل درويش | ت : هاشم أحمد محمد |
| ١١٠- النساء فى العالم النامى | حسنة بيجوم | ت : منى قطان |
| ١١١- المرأة والجريمة | فرانسيس هيندسون | ت : ريهام حسين إبراهيم |
| ١١٢- الاحتجاج الهادئ | أرلين علوى ماكليود | ت : إكرام يوسف |
| ١١٣- راية التمرد | سادى پلانت | ت : أحمد حسان |
| ١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع | وول شوينكا | ت : نسيم مجلى |
| ١١٥- غرفة تخص المرء وحده | فرچينيا وولف | ت : سمية رمضان |
| ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) | سينثيا نلسون | ت : نهاد أحمد سالم |
| ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام | ليلى أحمد | ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال |
| ١١٨- النهضة النسائية فى مصر | بث بارون | ت : لميس النقاش |
| ١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق | أميرة الأزهرى سنبل | ت : بإشراف/ رؤوف عباس |
| ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط | ليلى أبو لغد | ت : نخبة من المترجمين |
| ١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات | فاطمة موسى | ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال |
| ١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان | جوزيف فوجت | ت : منيرة كروان |
| ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية | نيقل الكسندر وفنادولينا | ت: أنور محمد إبراهيم |
| ١٢٤- الفجر الكاذب | چون جراى | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ١٢٥- التحليل الموسيقى | سيدريك ثورپ ديڤى | ت : سمحه الخولى |
| ١٢٦- فعل القراءة | ڤولفانج إيسر | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٢٧- إرهاب | صفاء فتحى | ت : بشير السباعى |
| ١٢٨- الأدب المقارن | سوزان باسنيت | ت : أميرة حسن نويرة |
| ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة | ماريا دولورس أسيس جاروته | ت : محمد أبو العطا وآخرون |
| ١٣٠- الشرق يصعد ثانية | أندريه جوندر فرانك | ت : شوقى جلال |
| ١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) | مجموعة من المؤلفين | ت : لويس بقطر |
| ١٣٢- ثقافة العولمة | مايك فيذرستون | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٣٣- الخوف من المرايا | طارق على | ت : طلعت الشايب |
| ١٣٤- تشريح حضارة | بارى ج. كيمب | ت : أحمد محمود |
| ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت | ت. س. إليوت | ت : ماهر شفيق فريد |
| ١٣٦- فلاحو الباشا | كينيث كونو | ت : سحر توفيق |
| ١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية | چوزيف مارى مواريه | ت : كاميليا صبحى |
| ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف | إيڤلينا تارونى | ت : وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٣٩- پارسيڤال | ريشارد ڤاچنر | ت : مصطفى ماهر |
| ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار | هربرت ميسن | ت : أمل الجبورى |
| ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية | مجموعة من المؤلفين | ت : نعيم عطية |
| ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل | أ . م. فورستر | ت : حسن بيومى |
| ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى | ديريك لايدار | ت : عدلى السمرى |
| ١٤٤- صاحبة اللوكاندة | كارلو جولدونى | ت : سلامة محمد سليمان |

| | | |
|---|---|---|
| ١٤٥- موت أرتيميو كروث | كارلوس فوينتس | ت : أحمد حسان |
| ١٤٦- الورقة الحمراء | ميجيل دي ليبس | ت : علي عبدالرؤوف البمبي |
| ١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة | تانكريد دورست | ت : عبدالغفار مكاوي |
| ١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية) | إنريكي أندرسون إمبرت | ت : علي إبراهيم علي منوفي |
| ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس | عاطف فضول | ت : أسامة إسبر |
| ١٥٠- التجربة الإغريقية | روبرت ج. ليتمان | ت : منيرة كروان |
| ١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١ | فرنان برودل | ت : بشير السباعي |
| ١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى | نخبة من الكتاب | ت : محمد محمد الخطابي |
| ١٥٣- غرام الفراعنة | فيولين فانويك | ت : فاطمة عبدالله محمود |
| ١٥٤- مدرسة فرانكفورت | فيل سليتر | ت : خليل كلفت |
| ١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر | نخبة من الشعراء | ت : أحمد مرسي |
| ١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى | جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو | ت : مي التلمساني |
| ١٥٧- خسرو وشيرين | النظامي الكنوجي | ت : عبدالعزيز بقوش |
| ١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢ | فرنان برودل | ت : بشير السباعي |
| ١٥٩- الإيديولوجية | ديفيد هوكس | ت: إبراهيم فتحي |
| ١٦٠- آلة الطبيعة | بول إيرليش | ت: حسين بيومي |
| ١٦١- من المسرح الإسباني | اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا | ت: زيدان عبدالحليم زيدان |
| ١٦٢- تاريخ الكنيسة | يوحنا الآسيوي | ت: صلاح عبدالعزيز محجوب |
| ١٦٣- موسوعة علم الاجتماع | جوردن مارشال | ت: بإشراف: محمد الجوهري |
| ١٦٤- شامبوليون (حياة من نور) | چان لاكوتير | ت: نبيل سعد |
| ١٦٥- حكايات الثعلب | أ. ن أفانا سيفا | ت: سهير المصادفة |
| ١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل | يشعياهو ليفمان | ت: محمد محمود أبو غدير |
| ١٦٧- في عالم طاغور | رابندرانات طاغور | ت: شكري محمد عياد |
| ١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة | مجموعة من المؤلفين | ت: شكري محمد عياد |
| ١٦٩- إبداعات أدبية | مجموعة من المبدعين | ت: شكري محمد عياد |
| ١٧٠- الطريق | ميغيل دليبيس | ت: بسام ياسين رشيد |
| ١٧١- وضع حد | فرانك بيجو | ت: هدى حسين |
| ١٧٢- حجر الشمس | مختارات | ت: محمد محمد الخطابي |
| ١٧٣- معنى الجمال | والتر ت. ستيس | ت:إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٧٤- صناعة الثقافة السوداء | ايليس كاشمور | ت: أحمد محمود |
| ١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية | لورينزو فيلشس | ت: وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية | توم تيتنبرج | ت: جلال البنا |
| ١٧٧- أنطون تشيخوف | هنري ترويايا | ت: حصة إبراهيم المنيف |
| ١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث | نخبة من الشعراء | ت: محمد حمدي إبراهيم |
| ١٧٩- حكايات أيسوب | أيسوب | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٠- قصة جاويد | إسماعيل فصيح | ت: سليم عبد الأمير حمدان |
| ١٨١- النقد الأدبي الأمريكي | فنسنت ب. ليتش | ت: محمد يحيى |
| ١٨٢- العنف والنبوءة | و.ب. ييتس | ت: ياسين طه حافظ |
| ١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما | رينيه چيلسون | ت: فتحي العشري |

| | | |
|---|---|---|
| ١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام | هانز إيندورفر | ت: دسوقى سعيد |
| ١٨٥- أسفار العهد القديم | توماس تومسن | ت: عبد الوهاب علوب |
| ١٨٦- معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل إنوود | ت:إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٧- الأرضة | بُزُرْج علوى | ت:محمد علاء الدين منصور |
| ١٨٨- موت الأدب | ألفين كرنان | ت:بدر الديب |
| ١٨٩- العمى والبصيرة | بول دى مان | ت:سعيد الغانمى |
| ١٩٠- محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت:محسن سيد فرجانى |
| ١٩١- الكلام رأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت: مصطفى حجازى السيد |
| ١٩٢- رحلة إبراهيم بك جـ١ | زين العابدين المراغى | ت:محمود سلامة علاوى |
| ١٩٣- عامل المنجم | بيتر أبراهامز | ت:محمد عبد الواحد محمد |
| ١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى | مجموعة من النقاد | ت: ماهر شفيق فريد |
| ١٩٥- شتاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت:محمد علاء الدين منصور |
| ١٩٦- المهلة الأخيرة | فالنتين راسبوتين | ت:أشرف الصباغ |
| ١٩٧- الفاروق | شمس العلماء شبلى النعمانى | ت: جلال السعيد الحفناوى |
| ١٩٨- الاتصال الجماهيرى | ادوين إمرى وأخرون | ت:إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية | يعقوب لانداوى | ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد |
| ٢٠٠- ضحايا التنمية | جيرمى سيبروك | ت: فخرى لبيب |
| ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | ت: أحمد الأنصارى |
| ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤ | رينيه ويليك | ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٢٠٣- الشعر والشاعرية | ألطاف حسين حالى | ت: جلال السعيد الحفناوى |
| ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شازار | ت: أحمد محمود هويدى |
| ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى- سفورزا | ت: أحمد مستجير |
| ٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | ت: على يوسف على |
| ٢٠٧- ليل إفريقى | رامون خوتاسندير | ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | ت: محمد أحمد صالح |
| ٢٠٩- السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | ت: أشرف الصباغ |
| ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى | سنائى الغزنوى | ت: يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١١- فردينان دوسوسير | جوناثان كلر | ت: محمود حمدى عبد الغنى |
| ٢١٢- قصص الأمير مرزبان | مرزبان بن رستم بن شروين | ت: يوسف عبدالفتاح فرج |
| ٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر | ريمون فلاور | ت: سيد أحمد على الناصرى |
| ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيدنز | ت: محمد محمود محى الدين |
| ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢ | زين العابدين المراغى | ت: محمود سلامة علاوى |
| ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | ت: أشرف الصباغ |
| ٢١٧- مسرحيتان طليعيتان | ص. بيكيت | ت: نادية البنهاوى |
| ٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا) | خوليو كورتازان | ت: على إبراهيم على منوفى |
| ٢١٩- بقايا اليوم | كازو ايشجورو | ت: طلعت الشايب |
| ٢٢٠- الهيولية فى الكون | بارى باركر | ت: على يوسف على |
| ٢٢١- شعرية كفافى | جريجورى جوزدانيس | ت: رفعت سلام |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٢٢- فرانز كافكا | رونالد جراى | ت: نسيم مجلى |
| ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر | بول فيرابنر | ت: السيد محمد نفادى |
| ٢٢٤- دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد |
| ٢٢٥- حكاية غريق | جابرييل جارثيا ماركث | ت: السيد عبدالظاهر السيد |
| ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى | ديفيد هربت لورانس | ت: طاهر محمد على البربرى |
| ٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر | موسى ماردينا ديف بوركى | ت: السيد عبدالظاهر عبدالله |
| ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩- مأزق البطل الوحيد | نورمان كيجان | ت: أمير إبراهيم العمرى |
| ٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | ت: مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣١- الدرافيل | خايمى سالوم بيدال | ت: جمال أحمد عبدالرحمن |
| ٢٣٢- ما بعد المعلومات | توم ستينر | ت: مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣٣- فكرة الاضمحلال | أرثر هومان | ت: طلعت الشايب |
| ٢٣٤- الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | ت: فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج١ | جلال الدين مولوى رومى | ت: إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٣٦- الولاية | ميشيل تود | ت: أحمد الطيب |
| ٢٣٧- مصر أرض الوادى | روبين فيدين | ت: عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨- العولمة والتحرير | الانكتاد | ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد |
| ٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلارافر - رابوخ | ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق |
| ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامى حافظ | ت: صلاح عبدالعزيز محجوب |
| ٢٤١- فى انتظار البرابرة | ج . م كويتز | ت: ابتسام عبدالله سعيد |
| ٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى |
| ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١ | ليفى بروفنسال | ت: على عبدالرؤوف البمبى |
| ٢٤٤- الغليان | لاورا إسكيبيل | ت: نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥- نساء مقاتلات | إليزابيتا آديس | ت: توفيق على منصور |
| ٢٤٦- مختارات قصصية | جابرييل جارثيا ماركث | ت: على إبراهيم على منوفى |
| ٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | والتر إرمبريست | ت: محمد طارق الشرقاوى |
| ٢٤٨- حقول عدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله |
| ٢٤٩- لغة التمزق | دراجو شتامبوك | ت: رفعت سلام |
| ٢٥٠- علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ت: ماجدة محسن أباظة |
| ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) | جوردن مارشال | ت: بإشراف: محمد الجوهرى |
| ٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت: على بدران |
| ٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيميونوفا | ت: حسن بيومى |
| ٢٥٤- الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥- أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٦- ديكارت | ديف روبنسون ، كريس جرات | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلى رايت | ت: محمود سيد أحمد |
| ٢٥٨- الغجر | سير أنجوس فريزر | ت: عُبادة كُحيلة |
| ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور | أقلام مختلفة | ت: فاروجان كازانجيان |

٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٣ جوردن مارشال ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود زكى نجيب محمود ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات إدوارد منتويا ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن جون جريبن ت: على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة هوراس/ شلى ت: لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة أوسكار وايلد وصموئيل جونسون ت: لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة جلال آل أحمد ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية ديفيد لودج ت: ماهر البطوطى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى ج٢ جلال الدين الرومى ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ وليم چيفور بالجريف ت: صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢ وليم چيفور بالجريف ت: صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية توماس سى. باترسون ت: شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر س. س والترز ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣- الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط جوان أر. لوك ت: عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا رومولو جلاجوس ت: محمود مكى
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا أقلام مختلفة ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما فرانك جوتيران ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧- الچينات: الصراع من أجل الحياة بريان فورد ت: أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات إسحق عظيموف ت: ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية ف.س. سوندرز ت: طلعت الشايب
٢٨٠- من الأدب الهندى الحديث والمعاصر بريم شند وآخرون ت: سمير عبدالحميد
٢٨١- الفردوس الأعلى مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى ت: جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية لويس ولبيرت ت: سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق خوان رولفو ت: على اليمبى
٢٨٤- هرقل مجنونا يوريبيدس ت: أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامى حسن نظامى ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٣ زين العابدين المراغى ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى انتونى كنج ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائى ديفيد لودج ت: ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منجوهرى الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة جورج مونان ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١ فرانشسكو رويس رامون ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢ فرانشسكو رويس رامون ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى روجر آلان ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤- فن الشعر بوالو ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥- سلطان الأسطورة جوزيف كامبل ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦- مكبث وليم شكسبير ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوانى ت: ماجدة محمد أنور

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ٢٩٨- مأساة العبيد | أبو بكر تفاوابليوه | ت: مصطفى حجازى السيد |
| ٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية | جين ل. ماركس | ت: هاشم أحمد فؤاد |
| ٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١ | لويس عوض | ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال |
| ٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢ | لويس عوض | ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى |
| ٣٠٢- فنجنشتين | جون هيتون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٣- بوذا | جين هوب وبورن فان لون | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٤- ماركس | ريوس | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٥- الجلد | كروزيو مالابارته | ت: صلاح عبد الصبور |
| ٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ | جان - فرانسوا ليوتار | ت: نبيل سعد |
| ٣٠٧- الشعور | ديفيد بابينو | ت: محمود محمد أحمد |
| ٣٠٨- علم الوراثة | ستيف جونز | ت: ممدوح عبد المنعم أحمد |
| ٣٠٩- الذهن والمخ | أنجوس چيلاتى | ت: جمال الجزيرى |
| ٣١٠- يونج | ناجى هيد | ت: محيى الدين محمد حسن |
| ٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى | كولنجوود | ت: فاطمة إسماعيل |
| ٣١٢- روح الشعب الأسود | وليم دى بويز | ت:أسعد حليم |
| ٣١٣- أمثال فلسطينية | خايير بيان | ت: عبدالله الجعيدى |
| ٣١٤- الفن كعدم | جينس مينيك | ت: هويدا السباعى |
| ٣١٥- جرامشى فى العالم العربى | ميشيل برونديتو | ت: كاميليا صبحى |
| ٣١٦- محاكمة سقراط | أ.ف. ستون | ت: نسيم مجلى |
| ٣١٧- بلا غد | شير لايموفا- زنيكين | ت: أشرف الصباغ |
| ٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة | نخبة | ت: أشرف الصباغ |
| ٣١٩- صور دريدا | جايترى ياسبيفاك وكرستوفر نوريس | ت: حسام نايل |
| ٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج | مؤلف مجهول | ت: محمد علاء الدين منصور |
| ٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ | ليفى برو فنسال | ت: نخبة من المترجمين |
| ٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن | دبليو يوجين كليتباور | ت: خالد مفلح حمزه |
| ٣٢٣- فن الساتورا | تراث يونانى قديم | ت: هانم سليمان |
| ٣٢٤- اللعب بالنار | أشرف أسدى | ت: محمود سلامة علاوى |
| ٣٢٥- عالم الآثار | فيليب بوسان | ت: كرستين يوسف |
| ٣٢٦- المعرفة والمصلحة | جورجين هابرماس | ت: حسن صقر |
| ٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة | نخبة | ت: توفيق على منصور |
| ٣٢٨- يوسف وزليخا | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت: عبد العزيز بقوش |
| ٣٢٩- رسائل عيد الميلاد | تد هيوز | ت: محمد عيد إبراهيم |
| ٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت | مارفن شبرد | ت: سامى صلاح |
| ٣٣١- عندما جاء السردين | ستيفن جراى | ت: سامية دياب |
| ٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا | نخبة | ت: على إبراهيم على منوفى |
| ٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا | نبيل مطر | ت: بكر عباس |

# مأساة العبيد وقصص أخرى

كانت لغة الهوسا تكتب بالخط العربى منذ عهد الشيخ عثمان بن فوديو حتى وصل الاستعمار الأوربى إلى هذه البلاد ، وعمل على إضعاف العلاقة بين المسلمين فى غرب أفريقيا وإخوانهم فى بقية أجزاء العالم الإسلامى ؛ فعمل على كتابة لغة الهوسا بالخط اللاتينى ، ورصد مكافأة سخية لمن يكتب الهوسا بهذا الخط ، وبناء عليه قام بعض الكُتّاب بكتابة هذه المجموعة القصصية ، فكانت باكورة الإنتاج الأدبى بلغة الهوسا .

- فكتب أبو كر تفاوا قصة " الشيخ عمر " التى تعبر عن " مأساة العبيد " فى عهد الاستعمار ، وتصور تجارة الرقيق التى كانت تقوم على خطف الأحرار وبيعهم فى سوق الرقيق ، وما يلاقونه بسبب ذلك من سخرة وعذاب .

- وكتب محمدو بللو قصة " المغامر " ، وهى تعبر عن شاب مغامر عجز عن مقاومة المستعمرين الغزاة ، فخرج إلى الخلاء فاختطفته العفاريت ؛ فأخذ يحاربها ويحارب فى صفوفها ويحرز انتصارات متتالية ، واستمر معهم فترة من ا... بلاده فوجدها قد تغيرت فى ظل الاستعمار الإنجليزى .